



الحفل الماسي للمجمع

بمناسبة انقضاء خمس وسبعين سنة على إنشائه

(عدد خاص)

شعبان ١٤١٦ هـ

كانون الثاني (يناير) ١٩٩٦م

تقديم

بمناسبة انقضاء خمسة وسبعين عاماً على إنشاء مجمع اللغة العربية بدمشق أقام المجمع برعاية السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية حفلاً تذكارياً في المدة الواقعة بين ٢٦و٢٩/١١/١٩٩٥ دعا إليه نخبة من العلماء والمفكرين من مجامع اللغة العربية والجامعات والهيئات العلمية من شتى الأقطار العربية، وكذلك دعا طائفة من الباحثين من داخل القطرالعربي السوري .

افتتح الحفل في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد صباح يوم الأحد ٢٦/١١/١٩٩٥ بحضور الأستاذ الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية، ممثل راعي الحفل، والسيدة الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي، وعدد من السادة الوزراء والمسؤولين في الجمهورية العربية السورية، وعدد من السفراء العرب وأعضاء السلك الدبلوماسي، والسادة رئيس وأعضاء المجمع وجمع غفيرمن العلماء والباحثين.

وقد ألقيت في هذا الحفل محاضرات وبحوث تناول بعضها نشاط المجامع العربية وتاريخها وماتنهض به من أعمال في خدمة العربية، ولاسيما مجمع اللغة العربية بدمشق ومجلته وتاريخه، وكذلك ألقيت بحوث في موضوعات أخرى.

وفي نهاية الاحتفال أبرق الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع إلى السيد رئيس الجمهورية العربية السورية حافظ الأسد، رافعاً إلى مقامه الكريم باسم السادة المشاركين أصدق آيات الولاء والشكر لرعايته السامية للعيد الماسي. وهذا نص البرقية :

سيادة الرئيس حافظ الأسد

رئيس الجمهورية العربية السورية

إن رئيس وأعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق، وجميع العلماء المشاركين في العيد الماسي لمجمع اللغة العربية من الدول العربية الشقيقة، ومن سورية الأسد، وكذلك جمهور المشاركين في هذا الحفل التاريخي.

يرفعون إلى مقامكم الكريم أصدق آيات التهنئة بحلول العيد الفضي للحركة التصحيحة المجيدة التي هي رمز مجدنا، وفخر أمتنا.

كما يرفعون إليكم أسمى آيات الولاء والشكر لرعايتكم السامية للعيد الماسي للمجمع.

وهم يقدرون أعظم التقدير ماتولونه للعلم والعلماء من وافر العناية وكريم الرعاية.

ويعتزون الاعتزاز كله بموقفكم المشرف في حماية العروبة، والتمسك بالحقوق العربية.

ويشيدون بكل ماقمتم وتقومون به للذود عن اللغة العربية التي هي عنوان الهوية والشخصية العربية، والتي أوليتموها دائماً عنايتكم واهتمامكم وأحللتموها المحل الأرفع الذي يليق بها.

حفظكم الله ذخراً للوطن والعروبة والعربية.

رئيس مجمع اللغة العربية

الدكتور شاكر الفحام

المشاركون في الحفل

أولاً ـ المدعوون من خارج القطر العربي السوري:

شارك في هذا الحفل السادة:

الاسم	الصفة
الأستاذ الدكتور شوقي ضيف	نائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة
الأستاذ الدكتور عبد القادر القط	جمهورية مصر العربية
الأستاذ الدكتور حسن حنفي	جمهورية مصر العربية
الأستاذ الدكتور وديع فلسطين	جمهورية مصر العربية
الأستاذ الدكتور إبراهيم شبوح	أمين المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية – الأردن
الأستاذ الدكتور يحيى جبر	رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطيني
الأستاذ الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي	الجمهورية الجزائرية
الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب	رئيس مجمع اللغة العربية بالخرطوم
الأستاذ الدكتور دفع الله الترابي	رئيس الهيئة العليا للتعريب بالسودان
الأستاذ الدكتور أحمد محمد الضبيب	المملكة العربية السعودية
الأستاذ الدكتور محمد رشاد حمزاوي	الجمهورية التونسية
الأستاذ الدكتور محمد بن شريفة	المملكة المغربية
الأستاذ الدكتور عبد الله الغنيم	رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية
الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد	الجمهورية العربية السورية

ثانياً : المشاركون من داخل القطر

آ – أعضاء مجمع اللغة العربية:

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام	رئيس مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور إحسان النص	نائب رئيس مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد	أمين مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قدورة	عضو مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي	عضو مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور مروان محاسني	عضو مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان	عضو مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور بديع الكسم	عضو مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور زهير البابا	عضو مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور عادل العوا	عضو مجمع اللغة العربية
الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد	عضو مجمع اللغة العربية
الأستاذ جورج صدقني	عضو مجمع اللغة العربية

ب – المشاركون من دمشق

الأستاذ الدكتور إبراهيم الكيلاني

الأستاذ الدكتور بديع حقي

الأستاذ الدكتور نور الدين حاطوم

الأستاذ الدكتور جودة الركابي

الأستاذ الدكتور مسعود بوبو

الأستاذ الدكتور أدهم السمان

الأستاذ الدكتور غدير زيزفون
الأستاذ الدكتور أحمد عمر يوسف
الأستاذ أديب لجمي

جـ ـ المشاركون من المحافظات السورية:

الأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر
الأستاذ الدكتور خالد الماغوط
الأستاذ الدكتور محمود فاخوري
الأستاذ الدكتور عبد السلام العجيلي
الأستاذ الدكتور سامي عوض
الأستاذ الدكتور عبد الإله نبهان
الأستاذ الدكتور صلاح كزّارة



البحوث والكلمات:

(جلسة الافتتاح)

كلمة راعي الحفل للأستاذ الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية
كلمة الأستاذة الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي
كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع
كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف نائب رئيس مجمع القاهرة، ممثل الوفود المشاركة في الحفل

(البحوث)

الرموز العلمية في اللغة العربية وأثرها في التعريب	الدكتور دفع الله الترابي
من تاريخ المجمع	الأستاذ رياض مراد
من اللغة إلى الفكر	الدكتور حسن حنفي
خطط دمشق عند الحافظ ابن عساكر	الدكتور صلاح الدين المنجد
اتحاد المجامع اللغوية	الدكتور شوقي ضيف
النشأة الأولى لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية	الدكتور ناصر الدين الأسد
مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق	الدكتور إحسان النص
قضايا المصطلح والمصطلحية والمعجم في نظر مصطفى الشهابي	الدكتور محمد رشاد الحمزاوي
اللغة والأصالة	الدكتور مروان محاسني
خواطر حول لغة العلم	الدكتور وديع فلسطين
مستقبل العمل المجمعي العربي	الدكتور يحيى جبر
المكتبة الظاهرية بدمشق	الدكتور زهير البابا
الرثاء في شعر شوقي	الدكتور عبد الله الطيب
دعوة إلى تيسير النحو	الدكتور عبد الوهاب حومد

(جلسة الختام)

كلمة الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع
كلمة الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي



جلسة الافتتاح

كلمة

الأستاذ الدكتور محمد زهير مشارقة ممثل راعي الحفل نائب رئيس الجمهورية

ياأيها الرفاق

ياأيها الاخوة

أحييكم أحسن تحية، وأنا ألتقيكم في هذه المناسبة الكريمة، مناسبة الاحتفال بالعيد الماسي لمجمع اللغة العربية في دمشق، بعد أن أمضى هذا المجمع العتيد خمسة وسبعين عاماً ونيفاً، وهويعنى بالنظر في اللغة العربية ومسائلها. من وضع مصطلحات للمستجدات في مختلف ميادين العلم والمعرفة، ووضع مصطلحات للمخترعات والمبتكرات الحديثة. ودأبٍ على إصلاح لغة الكتاب والباحثين، وتقويم الاعوجاج في لغة الدواوين والصحفيين ومن في حكمهم، وتنقيح للكتب، وإحياءٍ للمهم من تراث الأسلاف وما إلى ذلك.

وقد استطاع هذا المجمع، وهو المجمع الرائد على امتداد الوطن العربي، بنشاطه ودراساته، وسائر أعماله، أن يكون القدوة والحافز للبلدان العربية الأخرى، على أن يكون لبعضها مجامعها، كمصر والعراق والأردن والسودان. وأن يكون لهذه المجامع اتحاد، تمّ تأسيسه عام ١٩٧١، ينظم الاتصال بينها، وينسق أعمالها، لما فيه صلاح اللغة العربية، وصلاح الثقافة العربية والتراث الثقافي العربي.

ويسعدني في هذه المناسبة الطيبة، وأنا أنوب عن السيد الرئيس حافظ الأسد في رعاية احتفالكم هذا، أن أنقل اليكم تحياته القلبية، وتقديره للجهود الكبيرة، التي بذلها المجمع في سبيل اللغة العربية، وفي سبيل العلم والمعرفة، على مدى خمسة وسبعين عاماً، وأمانيه الطيبة، في أن يستمر المجمع في حمل الرسالة، وأداء الأمانة، لما فيه مصلحة اللغة العربية، والثقافة العربية، والأمة العربية.

وإذا كان مجمع اللغة العربية في دمشق، قد أنجز الكثير، وحقق الكثير فهو لايزال يطمح إلى تحقيق المزيد، خدمة للغة الضاد. سواء أكان ذلك في ميدان وضع المصطلح والعمل على توحيده ونشره في البلاد العربية، بالتعاون مع المجامع الأخرى، أم كان في مجال تأليف معاجم عربية حديثة شاملة ومتخصصة تلبي رغبات الدارسين والباحثين.

ولقد لقي هذا المجمع من رعاية السيد الرئيس واهتمامه ودعمه الشيء الكثير، من أجل أن تبقى اللغة العربية لغة العلم والمعرفة، لغة البيان والثقافة في حاضرنا،كما كان عليه حالها في ماضينا الزاهر. والحقيقة التي لامراء فيها، هي أن اللغة العربية هي المقوم الأساسي لقوميتنا العربية. وقد جاء في الأثر عن الرسول الكريم (ﷺ) قوله: «ليست العربية من أحدكم بأم ولا أب إنما العربية لسان». وهي في الوقت ذاته، صلة الوصل بين حاضرنا وماضينا، فبوساطتها انتقل إلينا تراث ثقافي عظيم من الأجداد، وإرث حضاري رائع، وهي صلة الوصل، بين العربي وأخيه العربي على امتداد الأرض العربية. وإذا كانت هذه اللغة، قد تعرضت لما تعرضت له من قبل الخصوم، فإنما كان ذلك منهم، لتقطيع أوصال الأمة العربية في الوقت الحاضر من جهة، وقطع صلة هذه الأمة بماضيها، وتراثها الحضاري والثقافي من جهة أخرى.

وقد تنوعت الوسائل والأساليب، التي حاول بها الخصوم النيل من

اللغة العربية لغة القرآن الكريم. فمن ادعاء بصعوبتها وصعوبة تعلمها، إلى ادعاء بتعقيد نحوها وصرفها، وتعذر الإلمام بهما، إلى القول بعسر كتابتها وتشابك قواعدها الإملائية. ثم من دعوة مشبوهة إلى احلال العامية محلها، لإقامة حواجز دائمة بين أبناء الأمة الواحدة، وتمزيق أوصالها. إلى أخرى تقضي باستبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني، لقطع الصلة نهائياً بين الحاضر والماضي. إلى الادعاء بأنها لاتتماشى ومقتضيات العلم الحديث والتكنولوجيا الحديثة. إلى آخر ماهنالك من ادعاءات وتخرصات، ودعوات مغرضة، لاتثبت أمام النقد والتمحيص، وبيِّناتِ العلم والمنطق، وتدحضها أية دراسة لغوية مقارنة، بين العربية وأيٍّ من اللغات العالمية المعاصرة الواسعة الانتشار. ولعله من نافل القول، إنه مامن لغة منذ نشأتها، أحاطت إحاطة تامة بمصطلحات علوم الأولين والآخرين، ماظهر منها وما سيظهر بعد مئات السنين. وإنما لكل لغة قواعد تسير عليها، وتلبي الحاجات الحيوية للناطقين بها، وتتمايز اللغات بغنى مفرداتها، وتعدد مترادفاتها، وكثرة مصادرها، وسعة القدرة على الاشتقاق فيها، وخصائصها الأخرى، وللغتنا العربية في هذا المجال القِدْحُ المعلّى، بشهادة علماء اللغة من عرب ومستشرقين منصفين.

وقد صمدت لغتنا العربية، أمام كل المحاولات المشبوهة، التي حاولت النيل منها، وسوف تبقى عنواناً لقوميتنا، ورمزاً لوحدتنا، وينبوعاً ثرّاً لثقافتنا وحضارتنا، بفضل المخلصين من أبنائها، المنافحين عنها، والمتفانين في إعلاء شأنها والعاملين على تعزيزها، بما يجعل منها لغة الثقافة والحضارة في عصرنا، كما كانت لغة الثقافة والحضارة في العصور الذهبية لأمتنا العربية.

ياأيها الرفاق

ياأيهاالاخوة

وإنها لمناسبة طيبة أيضاً، أن يتم الاحتفال بالعيد الماسي لمجمع اللغة

العربية وجماهير شعبنا، تعيش فرحتها الوطنية الكبرى، وهي تحتفل بالعيد الفضي للحركة التصحيحية المباركة، التي قادها الرئيس المناضل حافظ الأسد، في السادسَ عشرَ من تِشرينَ الثاني عام ١٩٧٠، فقد كان التصحيح المجيد نقلة نوعية هامة، ومنعطفاً تاريخياً حاسماً في حياة شعبنا، هلَّلت له الجماهير والتفت حول السيد الرئيس، تمحضه المحبة والوفاء، وتؤكد له الثقة والولاء. وبايعته بيعة صادقة، على أن تتابع بقيادته الحكيمة والشجاعة مسيرة التحرير والبناء، فلقد نعمت الجماهير في ظل التصحيح المجيد، بالاستقرار والأمن والطمأنينة. فتعززت الوحدة الوطنية، وازدادت عرى العلاقة وثوقاً بين قواعد الحزب وجماهير الشعب. كما ازدادت اللحمة بين مختلف فئات الشعب قوة ومتانة. وكانت الجبهة الوطنية التقدمية، من أبرز انجازات الحركة التصحيحية المباركة في إطار تعزيز الوحدة الوطنية. حققت بها سورية سبقا على الصعيدين العربي والدولي في مجال التعددية السياسية والحزبية. وكانت التجربةالجبهوية في سورية، تجربة حيوية مَرِنَةً تزداد غنى وعمقاً باستمرار. وأما الحرية التي أخذت جماهير الشعب، تنعم بها بعد تبلج فجر التصحيح المجيد، فقد غدت سمة للحياة العامة في سورية في عصر حافظ الأسد. وكذلك الديموقراطية فقد أصبحت ممارسة وتقنيناً، واقعاً حياً تمارسه الجماهير، في المؤسسات التي شهدت النور في ظل التصحيح، من مجالس إدارة محلية، ومجلس شعب، ومنظمات شعبية. وتكرست بالدستور الدائم الذي صانت أحكامُهُ، حريةَ المواطن وحقوقَهُ. وأما في نطاق عملية البناء الداخلي، فإن الجهود الكبيرة بذلت لتحقيق تطور الوطن وتقدمه، في مجالات الزراعة والصناعة والمرافق والخدمات وما إليها، ولقد تحقق خلال ربع القرن الماضي، كثير من الانجازات في عملية البناء الاقتصادي والاجتماعي، وأخذ المواطنون يشهدون بناء سورية الحديثة، يسمو سامقاً في

عهد بانيها الرئيس القائد حافظ الأسد.

وكانت حرب تشرين التحريرية المجيدة في ٦/١٠/١٩٧٣، التي قادها السيد الرئيس حافظ الأسد، القائد العام للجيش والقوات المسلحة، خطوة ثابتة على طريق تحرير الأراضي العربية المحتلة، واسترجاع الحقوق القومية المغتصبة. وفي مقدمتها الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني في العودة، وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني. فقد سجلت فيها قواتنا المسلحة الباسلة، صفحة ناصعة في سجل المجد العربي. وضربت أروع الأمثلة في البطولة والتضحية والفداء، وهي تتصدى للقوات الاسرائيلية براً وبحراً وجواً. وقد أعادت تلك الحرب الثقة إلى النفوس، ثقة المواطن العربي بقدرة الجندي العربي، على استيعاب تقنيات الحرب الحديثة، والقتال بكفاءة عالية، وتحقيق النصر. وأحدثت في قلب الكيان الصهيوني زلزالاً هزه من الأعماق، وأثبتت للجميع أن الحق العربي لايمكن أن يموت أبداً. وتابعت سورية نضالها في سبيل استرداد الأرض واسترجاع الحقوق، وتحقيق، السلام الشامل والعادل، الذي هو هدف استراتيجي لسورية، تسعى إلى بلوغه، وفق صيغة مدريد، وقرارات الشرعية الدولية ذوات العلاقة، وبخاصة قرارات مجلس الأمن الدولي، ذوات الأرقام/٢٤٢- ٣٣٨- ٤٢٥/. ومبدأِ الأرض مقابل السلام، ومقولةِ السلام الكامل مقابل الانسحاب الشامل إلى خطوط الرابع من حزيران عام ١٩٦٧ من جميع الأراضي العربية المحتلة ومن جنوب لبنان. بما يكفل الأمن والاستقرار للجميع في المنطقة. وإذا ماكان ثمة حاجة لترتيبات أمنية فيجب أن تكون على جانبي خطوط الرابع من حزيران، وينبغي أن تكون متوازية ومتقابلة ومتكافئة ومتساوية. ولكن إذا كانت عملية السلام بالرغم من مضي مايزيد على أربع سنوات على بدئها، لم تحقق أي تقدم. فهذا يعود إلى مراوغة اسرائيل

ومماطلتها، وعدم جديتها، ووضعها العوائق المصطنعة في طريق العملية السلمية، لتحول دون بلوغها أهدافها. يدفعها إلى ذلك شعور بالصلف والغطرسة، قائم على ماتمتلكه من أسلحة نووية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل، وماتلقاه من دعم خارجي غير محدود. كما أن لدى اسرائيل رغبة قوية في الهيمنة والتسلط، والاحتفاظ بالأراضي العربية المحتلة. وهي ماضية في سياسة تهويد الأراضي العربية المحتلة، بإقامة المزيد من المستوطنات عليها وتوسيع القائم منها، واستقدام المزيد من المستوطنين. ويصرح قادتها بين حين وآخر، بأن لاعودة إلى خطوط الرابع من حزيران عام ١٩٦٧، وبأن القدس عاصمة أبدية لإسرائيل. وتسعى اسرائيل سعياً حثيثاً للتحكم بمقدرات المنطقة العربية، سياسياً واقتصادياً وثقافياً وعسكرياً، والهيمنة عليها حتى حين، في ضوء صياغة جديدة لها بمسميات جديدة هي الشرق أوسطية، تحاول من خلالها طمس الهوية القومية للمنطقة العربية، ودفع المصير العربي في متاهات الضياع.

هذا ولمواجهة الأخطار التي تستهدف الأمة العربية، والتحديات التي تتعرض لها، كان العمل الوحدوي شغل سورية الشاغل، لأن في الوحدة قوة للأمة العربية، وهي قدرها الذي لامناص منه في النهاية.وإذا كانت المحاولات التي تمت خلال الحقبة الماضية لم تنته إلى تحقيق ماتصبو إليه الجماهير العربية، فإن ذلك لن يثبط من عزيمتنا، وستبقى سورية بقيادة الرئيس المناضل حافظ الأسد، ترفع لواء الوحدة وتقود النضال الوحدوي، حتى ترفرف أعلام الوحدة العربية على امتداد الأرض العربية من المحيط إلى الخليج.

وكذلك كان سعي سورية الدؤوب، لتحقيق التضامن العربي، الذي يمكّن الأمة العربية، من مواجهة التحديات، والتصدي للأخطار التي تتهدد الأمة العربية في حاضرها ومستقبلها. وكم من مرة قرع فيها السيد الرئيس

ناقوس الخطر، مبيناً مايمكن أن ينجم عن الفرقة والتنافر من آثار سلبية، تنعكس على حاضر الأمة ومستقبلها، ولا يزال التضامن العربي في أي مستوى من مستوياته هدفاً لسورية تسعى إلى بلوغه، وتعمل على تحقيقه، صوناً للمصير المشترك للأمة العربية .

يا أيها الرفاق

يا أيها الاخوة

إن سورية بقيادة السيد الرئيس حافظ الأسد، أصبحت قوة إقليمية كبرى، يحسب لها كل حساب في أي شأن من شؤون المنطقة، أو أية قضية من قضاياها، واحتلت مكانة اقليمية ودولية هامة، بفضل القيادة الحكيمة والشجاعة للرئيس القائد، ونظرته الاستراتيجية الموضوعية البعيدة المدى لمختلف الشؤون. وسوف تواصل جماهير الشعب، مسيرتها الظافرة، مسيرة التقدم والاشتراكية، مسيرة الحرية والديموقراطية، بقيادة قائد المسيرة السيد الرئيس حافظ الأسد، أمل الأمة، ورمز عزتها وكبريائها، حتى تتحقق تطلعاتها الوطنية وأهدافها القومية الكبرى.

وفي الختام أتمنى لمجمعكم تحقيق مزيد من التقدم في حمل الرسالة وأداء الأمانة، وهو يواصل بذل جهوده الكبيرة في خدمة اللسان العربي والأمة العربية، كما أتمنى لكم اطّراد النجاح والتوفيق.

والسلام عليكم .

كلمة
الأستاذة الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي

الرفيق الدكتور محمد زهير مشارقة

نائب رئيس الجمهورية- ممثل راعي المهرجان السيد الرئيس حافظ الأسد الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي، رئيس الجمهورية العربية السورية

الرفاق أعضاء القيادة القومية والقطرية

الرفاق أعضاء الجبهة المركزية

أيها الحفل الكريم :

انها لسعادة غامرة أن نحتفل بالعيد الماسي لمجمع اللغة العربية، أول مجمع أنشئ في الوطن العربي بعد زوال الهيمنة التركية وأن يكون مقره في سورية البلد العربي الذي ضرب المثل الصحيح في التعريب في جميع مراحل التعليم والتي ماتزال النموذج والقدوة للبلاد العربية الأخرى في هذا المضمار، وأن يتزامن هذا الاحتفال مع أفراح شعبنا بالذكرى الخامسة والعشرين لقيام الحركة التصحيحية التي قادها السيد الرئيس راعي العلم والعلماء والذي أولى مسيرة التعليم عامة وتعليم اللغة العربية خاصة كل اهتمام حيث يقول سيادته (لغتنا هي عنوان هويتنا) .

ان هذا التوافق بين العيدين يحمل في طياته التعبير المفصح عما يكنه السيد الرئيس حافظ الأسد من تقدير وحب للغة العربية وتكريم لعلمائها

لأنهم بصبرهم وإخلاصهم وجهدهم الدؤوب يحققون التواصل مع الحياة المعاصرة والمتطلبات الجديدة .

أيها الحفل الكريم :

لقد اتخذ السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية العلم ظهيراً ونصيراً وتعليم الإنسان منطلقاً وركيزة في سورية فجاءت الحركة التصحيحية تطويراً للعلم وتوسعاً فيه وتصويباً لمساره ونقلة نوعية في محتواه .

وانها لسعادة لنا أن يشاركنا في احتفالنا هذا رؤساء وأعضاء مجامع اللغة العرب وخبراء لغويون وعلماء باحثون إلى جانب اخوتهم من المجمعيين السوريين .

أهلاً بكم باحثين وعلماء لغة في سورية الأسد التي أضحت في أيامه الغر حاضنة الفكر ورجال العلم ومعقل البطولة .

أهلاً بكم وأنتم تعززون العربية ، أهم معالم الشخصية القومية لغة الضاد وتحافظون عليها وتظهرون خصائصها النادرة، في الاشتقاق والتصريف وتنويع الدلالات ومرونة الاستجابة وجمال الايقاع، وانكم تبرهنون من خلال أنشطتكم أننا لسنا أمة تستهلك الحضارة التي يصنعها الآخرون وإنما نتمرس علوم العصر ونواجه الغزو الثقافي والقيم المتضاربة والتحديات العلمية التي أضحت من خصائص العصر ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين .

بوركت ثمرات عقولكم الخصبة وأنتم تصونون العربية وتستثمرون طاقاتها وتحملون رسالة العربية في ضمائركم وأقلامكم وتتعهدونها لتبقى لغة الحياة، لغة الثقافة والمعرفة، لغة الأدب والعلم .

أيها الجمع الكريم :

ماكان لطلبتنا أن ينعموا بما تحقق لهم من منشآت جامعية وسكن طلابي وقروض مصرفية، وأن يتاح لهم التدريب العلمي لاكتساب المهارات اللازمة وأن يعيشوا صدق الانتماء وعمق الالتزام لولا إيمان السيد الرئيس حافظ الأسد بديمقراطية التعليم مبدأ ومجانيته أساساً وعروبته انتماء، وماكان للجامعات والمعاهد والمؤسسات في سورية أن تعتمد العربية لغة التعليم فيها لولا إيمان السيد الرئيس بأن اللغة هي السبيل لتخليص الأمة العربية من التبعية العلمية والسياسية واسترداد مكانتها في تاريخ العلم والحضارة إذ يقول (إن الحرص على سلامة اللغة يجب أن يبدأ من الصفوف الابتدائية وأن يزداد مع ارتفاع مستوى التعليم) وما المرسوم /٧٥٩/ سبع مائة وتسعة وخمسون القاضي بتدريس اللغة العربية في جميع سنوات الدراسة الجامعية إلا دليل حي على إيمان سيادته بما للغتنا من دور قومي في توحيد كيان الأمة ورفعة شأنها وتأصيل هويتها وتأكيد انتمائها وتوثيق الروابط والوشائج بين دولها وأن تكون اللغة العربية لغة العلم والبحث والحياة اليومية بحيث أضحت جامعاتنا رائدة في التعريب، تعريب اللسان والتفكير والممارسات في أدق تفاصيل حياتنا اليومية .

وما كان لسورية أن يتوفر لها هذا العدد من المجمعيين والاختصاصيين اللغويين والباحثين لولا نظرة السيد الرئيس حافظ الأسد القومية ونهجه الوطني الصادق وقراءته الواعية لحقائق العصر وحرصه على أن تكون سورية حاضنة الفكر ومنارة العلم وموئل العلماء .

ويكفي من خلال المعطيات والأرقام التي قطعتها مسيرة مجمع اللغة العربية في الخمسة والعشرين عاما من عمر الحركة التصحيحية المباركة أن نبين الانجازات والمناشط، فما تحقق من بناء صرح حضاري كبير للمجمع

وأنشطة علمية من أبحاث وندوات وتعريب المصطلحات ومحاضرات واحياء وتحقيق ونشر لكتب التراث وإقامة معارض، وإعداد المشروعات والمعجمات وغيرها يبلغ أضعاف ماتحقق للمجمع في الخمسين عاما قبل التصحيح .

أيها الإخوة الحضور

ونحن نحتفل بالعيد الماسي لمجمع اللغة العربية لابد أن نذكر بكل إجلال وإكبار العلماء أعضاء المجمع الذين أحبوا اللغة العربية وجهدوا في تبيان خصائصها وكشف أسرارها وكانوا قدوة الباحثين في الحيوية والنشاط والهمة العالية والانتاج العلمي الجاد والأصيل فالى من بقيت جذوة الحياة متقدة في اعمارهم إلى آخر يوم من حياتهم كل التجلة والاحترام وإلى رئيس المجمع وأعضائه الحاليين التقدير الكبير وهم يكرمون العلماء ويعملون لتحقيق الرابطة العلمية وتعزيزها قوة ومكانة وترسيخ القيم الايجابية والسلوك الأخلاقي لما فيه المزيد من العطاء والرفعة للوطن .

أيها السادة

لقد وجه سيادة الرئيس حافظ الأسد إلى ضرورة الحفاظ على اللغة العربية والاهتمام بالبحث العلمي الذي هو المدخل الحقيقي إلى علوم العصر والسبيل إلى تحقيق أهدافنا القومية واستئناف دورنا الحضاري حيث قال :

(اننا جميعاً مسؤولون عن الحفاظ على اللغة العربية وعلى قواعدها لأن رابطة اللغة من أهم الروابط) .

وأكد ضرورة التحلي بالصبر وتجنب اليأس وأن لانسمح لأحد باللعب بمقدساتنا وطمس مشاعرنا العربية وهويتنا القومية، فالحفاظ على هويتنا العربية ضورة لمواجهة محاولات التغريب والاستلاب، ويجب أن

تكون لنا وقفة تجاه الأمور الأساسية التي تشكل خطراً على الشعب أو على المصلحة القومية .

الشكر لكل من ساهم وشارك بجهد علمي أو تنظيمي في التحضير لهذا الافتتاح ليكون لائقاً ودليلاً على المستوى العلمي والحضاري الذي وصلت إليه سورية الأسد في مسيرة البناء والتقدم والازدهار .

وباسم وزارة التعليم العالي نرفع إلى سيادة الرئيس حافظ الأسد حامي حمى اللغة العربية ذروة الفصاحة قولاً وتوجيهاً وأصالة بطل السيف والعلم مطوق العلماء بعطاءاته ، وقائد مسيرتنا المظفرة الذي يواجه الأحداث بالحكمة والشجاعة ليبقى الإنسان العربي عزيزاً كريماً وليبقى الوطن حراً مصونا، أسمى آيات الولاء والوفاء .

ونضع بين يديه الكريمتين باقة خضلة عطرة من مشاعر المحبة والفخر والاعتزاز وهو يخط للأمة سطر البقاء والصمود .

وعهداً أن نكون مخلصين للعربية التي تحبون وأوفياء لنهجكم السديد نسعى للأفضل ونصبو للأمثل، تحدونا العزيمة ويشحذنا التصميم عملاً بتوجيهاتكم حيث قلتم :

(لنرتقي بعطاءاتنا إلى مستوى تحقيق الأهداف)

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

الأستاذ الدكتور زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية

ممثل راعي الحفل السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية

السادةُ أعضاء القيادة - السادة أعضاء اللجنة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية - السادة الوزراء - السادة السفراء وأعضاء السلك الدبلوماسي - السادة العلماء - السادة الضيوف

أيها الحفل الكريم

أحييكم أحسن تحية، وأرحب بكم أجمل الترحيب وأخلصه، وأشكر لكم تفضلكم بالحضور، وأُثني الثناء العطر على السادة الأساتذة المشاركين الوافدين الذين تجشموا وَعْثاء السفر، ومشقة الانتقال. فأهلاً بكم في بلدكم دمشق، على الرحب والسعة. قَدِمتم خير مقدم.

لقد جمعتنا اليوم مناسبة هامة، عزيزة على قلوبنا، أثيرة لدينا، تلك هي الاحتفاء بذكرى مرور خمسة وسبعين عاماً على إنشاء مجمع اللغة العربية بدمشق، المجمعِ الرائدِ في البلاد العربية، والذي كان ، بنشاطه الدائب، وجناه الطيب، القدوةَ الحسنة لتأسيس مجامع في البلدان العربية الشقيقة، بلغت، بحمد الله، ثمانية مجامع، ونأمل أن تتلوَها مجامع أخرى.

وحين أستعيد ذكرى تأسيس المجمع تمر أمام عيني طيوفُ الماضي، يوم رفرفت الرايةُ العربية في سماء دمشق في مطلع تشرين الأول سنة ١٩١٨م، بعد

غياب طويل، فعمت البهجةُ بلاد الشام بانزياح الهيمنة العثمانية، وتولّت الحكومةُ العربية زمام الأمور، فألتفّت حولها القلوب، وتطلع أبناء الوطن، والشوق يهزّهم، والحماسة تملأ نفوسهم، إلى عودة المجد العربي، وقيام الدولة العربية التي تجمع شمل العرب في شتى ديارهم، ليستأنفوا مسيرة النهضة، ويصنعوا حاضراً يليق بماضيهم المجيد.

وواجهت الحكومةُ العربية فيما واجهته من قضايا ومشكلات أن اللغة التركية كانت لغةَ الدولة الرسمية، فلم يكن بُدٌّ من تعريب لسان الدولة، وإحلال اللغة العربية محل التركية في مؤسسات الدولة، وفي مدارسها وجامعتها.

وبدأت الحكومة خطوتها الأولى، فوكلت هذه المهمة إلى شعبة الترجمة والتأليف، ثم إلى ديوان المعارف، فكانت الأعباءُ والمهمات أثقل من أن ينهضا بها على ما بذلا من جهد، وما قدّما من عمل جليل، مما دعا الحكومة إلى إنشاء المجمع العلمي العربي في ٨ / ٦ / ١٩١٩م، وكان الأعضاء المؤسسون ثمانية (وهم الأستاذ محمد كرد علي، والشيخ أمين سويد، والأستاذ أنيس سلوم، والشيخ سعيد الكرمي، والشيخ عبد القادر المغربي، والأستاذعز الدين علم الدين التنوخي، والأستاذ عيسى اسكندر المعلوف، والأستاذ متري قندلفت). ثم انضم إليهم الشيخ طاهر الجزائري بعد عودته من الديار المصرية في تشرين الأول١٩١٩م[1] . وتولى الأستاذ محمد كرد علي رياسة المجمع.

---

(١) مجلة المجمع، مج ١، ج١ /ص ٢، ٦، مج ٢، ج ١٢/ص ٣٥٥ - ٣٥٦، مج ٤٤، ج ١ -٢ / ص ١٥٧، تاريخ المجمع العلمي العربي لأحمد الفتيح: ٧- ٨،

وكانت مدة عضوية الشيخ طاهر الجزائري في المجمع قصيرة، فقد عاد من مصر إلى دمشق في تشرين الأول ١٩١٩، فأجمع أعضاء المجمع على ضمه إليهم. ولكن المجمع توقف في أول كانون الأول ١٩١٩م لضائقة مالية، ولم يعد إلى نشاطه إلا في ٧ أيلول ١٩٢٠م. وكان الشيخ طاهر قد توفاه الله في الخامس من كانون الثاني ١٩٢٠م. (مجلة المجمع، مج١، ج١ / ص٥، ١٧، مج٢، ج١٢ / ص ٣٥٥ - ٣٥٦، مج٨، ج١ / ص١، ج ١٠/ ص ٥٨٥، تاريخ المجمع العلمي العربي: ٢٣٥).

وكانت دائرة عمل المجمع في مرحلته الأولى واسعة:

فإلى جانب اهتمامه بوضع المصطلحات للمستحدثات العصرية، وإصلاح لغة الكتب، ونشرِ التراث، وتهذيب لغة الدواوين، وتصحيح الأغلاط الشائعة، والنظر في تيسير طرق تعليم اللغة، والارتقاء بالأساليب، والخروجِ بها من مضايق الركاكة والتصنع إلى باحة الفصاحة وحسن الأداء والبيان ،

فقد كان من مهامّه أيضاً العنايةُ بالآثار والتنقيبُ عنها، وجمعُها والمحافظةُ عليها. وكان يتولى الإشراف على الكتب المؤلفة للمدارس، ويصحح لغتها.

وأخذ نفسه بإلقاء المحاضرات العامة في الموضوعات المختلفة لتثقيف الجمهور والارتفاع بمستواه.

ونجح المجمعُ في مسعاه القريب في التعريب، وفي تقويم الأساليب، بفضل مالقيه من حماسة الناس واندفاعهم، ومن تعاون أساتذة الجامعة الذين نهضوا بمهمة التعليم والتأليف بالعربية في الجامعة.

وهكذا استطاعت بلادُ الشام في مدة وجيزة أن تحقق مايشبه المعجزة، فغدت مؤسساتها ودواوينها تستعمل العربية، وأصبحت المدارس والجامعة تعلّم بالعربية ، واستعادت العربية نضارتها وإشراقها، واستردت جمالها ورونقها بعد شحوب.

ـ وأصدر المجمع في مطلع عام ١٩٢١م مجلته لتكون مرآة أعماله ونشاطه. فكانت تنشر الدراسات التي تتناول قضايا اللغة، وطرق تطويرها، لتستجيب لمتطلبات العصر، وتعرضُ لبحث الأساليب المفضلة في وضع المصطلح والتدقيق في اختياره. ويتراءى على صفحاتها جملة من مختار المحاضرات التي كانت تُلقى في رحاب المجمع، إلى جانب دراسات مختلفة في

تيسير تعليم العربية واصلاح الخط. وأولت المخطوطات العربية النفيسة اهتماماً بالغاً، فعرّفت بها، وبادرت إلى نشر طائفة منها.

ونالت المجلة شهرة واسعة في الأوساط العلمية، وكانت وسيلة المجمع الأولى لتوثيق صلاته بالمؤسسات اللغوية والعلمية والجامعات والمكتبات في البلاد العربية، وفي بلدان كثيرة في آسيا وافريقيا وأوربا. وشارك في تحرير مقالاتها علماء أجلاء في الوطن العربي وخارجه.

وأصبحت مجلةُ المجمع السجلَّ الصادق والشاهد الحي للحياة الفكرية والثقافية التي كانت تمور بحواراتها ومناقشاتها لتستثير في النفوس الظمأَ إلى المعرفة، والارتواء من ينابيعها، ولتؤصّل قاعدة أساسية مؤداها أن لغة الأمة هي وسيلتُها المثلى لإرساء نهضتها العلمية، وقاعدتُها الصلبة لازدهار حضارتها.

وها هي ذي مجلة المجمع، ما تزال ماضية في طريقها منارةً هادية تتابع أداء رسالتها في تبيان مزايا العربية، والكشف عن خصائصها، والدعوة إلى تطويرها، ونشر الدراسات والبحوث التي تتناول أصولها، أو تؤدي إلى تقدمها.

وقد بلغت عِدّةُ مجلداتها هذا العام سبعين مجلداً، فيها الكثير الطيب المفيد.

ولقد أفاد المجمع من تجربته وممارسته العمل في سنواته التسع الأولى، وكان صدور القرار رقم ١٣٥ في ٨ / ٥ / ١٩٢٨م الذي تضمن القانون الأساسي للمجمع[٢]، مفتتح صفحة جديدة في حياته، فقد رفع أعضاءَ المجمع العاملين إلى عشرين عضوا، وجعل المحور الأساسي لنشاطه: حفظ اللغة العربية وترقيتها.

ودأب المجمع جاهداً يعمل دون كلال للمحافظة على سلامة اللغة

---

(٢) مجلة المجمع، مج ١٢ ج ١١- ١٢/ ص ٧٦٥- ٧٦٨.

وتنميتها، وجعلها وافية بمطالب العلوم والآداب والفنون، وملائمةً لحاجات الحياة المتطورة. ويتخذ من الوسائل ما يسعفه في طَلِبته.

ومما يندرج في نشاط المجمع حرصه على إقامة حفلات التكريم والتأبين للعلماء والأدباء والشعراء العرب.

وكان من أبرز من كرّمهم: أمير الشعراء أحمد شوقي، وشاعر النيل حافظ إبراهيم، ومحمد الهراوي.

وكان من أبرز من أبّنهم: الشيخ طاهر الجزائري، وأحمد كمال باشا المصري، ومحمود شكري الألوسي، ومصطفى لطفي المنفلوطي، وحافظ إبراهيم، وأحمد شوقي، ومحمد رشيد رضا.

ثم أقام مهرجانين كبيرين هما مهرجان المتنبي (١٩٣٦م)، ومهرجان المعري (١٩٤٤م) فكانا ذروة الاحتفالات الهامة التي ضمت أدباء العربية وشعراءها وكبار مفكريها.

ومضى المجمع على سَنَنه يوالي نشاطه في خدمة العربية، وإحياء التراث، وإلقاء المحاضرات ووضع المصطلحات، فنشر طائفة من كتب التراث، وصنع فهارس لمخطوطات دار الكتب الظاهرية، وأصدر جملة من المعجمات والمؤلفات التي تتصل بأهداف المجمع، وتُعين على تحقيق أغراضه، وشارك في الندوات والمؤتمرات العربية والدولية.

وكان للأواصر التي انعقدت بينه وبين البلدان العربية بمؤسساتها اللغوية والثقافية الشأن الكبير في توجهها لإنشاء مجامعها. فأنشأت مصر مجمعها (سنة ١٩٣٢م)، وتبعها العراق الذي أسس مجمعه (سنة ١٩٤٧م). وقامت المجامع الثلاثة تؤدي مهماتها في العناية باللغة والعمل على تطويرها، وتابعت جهودها في وضع المصطلحات التي تقابل المستحدثات العصرية، كي تظل العربيةُ المبينة مواكبة لركب الحضارة، نترجم بها علوم

الغرب الحديثة، ونعلّم بها ونؤلّف. كما قدّمت هذه المجامع دراساتها وبحوثها في تطوير العربية، وإيجاد الوسائل التي تساعد على تنميتها وتيسير تعلمها.

ولم يكن بدٌّ من إقامة تعاون بين المجامع الثلاثة ينسّق جهودها في العمل «على ترقية اللغة، والمحافظة على سلامتها، مع مسايرتها للحياة». فتمّ عقد مؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية في دمشق (٢٩ / ٩ - ٤ / ١٠ / ١٩٥٦م) بدعوة من الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، وكان من أبرز توصياته تأسيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية لينظم الاتصال بينها وينسّق أعمالها، ويكون المرجع في توحيد المصطلحات التي تضعها المجامع والمؤسسات العلمية، ونشرها [٣].

ثم قامت الوحدة بين مصر وسورية، فصدر قرار وزاري (رقم ٥٤٠ تاريخ ١١ / ٦ / ١٩٥٨م) ينسق العمل المشترك بين المجمعين. ومهّد هذا التنسيقُ للخطوة التالية، وهي توحيد المجمعين بقرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة (رقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠م). وكان لتجربة المجمعين الغنية أثرها المفيد في صوغ القرار الناظم لأمور المجمع الموحّد، ليكون الاستجابة الصادقة لمطالب المرحلة ومستجداتها، ولتظل العربية لغة العصر المطواع تلبي مايراد منها.

واختير للمجمع الموحد اسم مجمع اللغة العربية. واحتفظ مجمع دمشق بهذا الاسم منذ ذلك التاريخ، بدل اسمه الأول: المجمع العلمي العربي.

وظلّ مجمع دمشق وفياً لفكرة تأسيس اتحاد المجامع يطالب بها ويدافع عنها لإيمانه بضرورة التنسيق بين المجامع، وتوحيد المصطلحات. فلما

---

(٣) مجلة المجمع، مج ٣١، ج٤ / ص ٦٨٧ - ٦٨٨، مج ٣٢، ج ١ / ص ٣ - ٢٢٦، ج٢/ ص ٣٩٥ - ٣٩٩، ج ٣ / ص ٥٥٣ - ٥٥٦.

تضافرت الدواعي ليتم تأسيس اتحاد المجامع اللغوية العربية في عام ١٩٧١م كان من شهود جلسة التأسيس. وتتلخص أهداف الاتحاد في تنظيم الاتصال بين المجامع، وتنسيق جهودها في الأمور المتصلة باللغة العربية وتراثها اللغوي والعلمي، والعمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية العربية ونشرها(٤).

ضمَّ الاتحاد في بدء تأسيسه مجامع القاهرة ودمشق وبغداد، فلما أُسس مجمع اللغة العربية الأردني (عام ١٩٧٦م) انضم إلى الاتحاد عام ١٩٧٧م. ثم أُسس مجمعا تونس والخرطوم عام ١٩٩٣م، وأُسس بعدهما مجمعا طرابلس (الجماهيرية الليبية) والقدس عام ١٩٩٤م، فأصبحت المجامع ثمانية، ونأمل أنْ تسارع الدول العربية الأخرى لإنشاء مجامعها اللغوية.

وقد عقد الاتحاد حتى الآن تسع ندوات، ودرج على أن يكون لمعجمات المصطلح التي تُعدّها المجامع والمؤسسات العلمية جانب كبير من عنايته واهتمامه في تلك الندوات، لما لذلك من شأن في تيسير تعريب التعليم العالي. وقد صدرت عن هذه الندوات توصيات هامة. منها مايساعد على تيسير تعليم اللغة العربية، وبيان الطرق المسعفة لنشر اللغة الصحيحة بين الطلاب والجماهير، والتخفف من العامية. ومنها ما يدعو إلى العناية بوضع المعجمات التعليمية المدرسية، والمعجمات المتخصصة في مختلف الموضوعات العلمية والفنية والحضارية، على أن تكون ثلاثية اللغة، بالعربية والانكليزية والفرنسية، والتوسع في وضع المصطلحات العلمية وتوحيدها واشاعتها، والاهتمام بترجمة الكتب العلمية، واستخدام الحاسوب لجمع كل ما صدر من مصطلحات في العصر الحديث توطئة لتوحيد المصطلح، وتأليف

---

(٤) مجلة المجمع، مج ٤٦، ج٢/ ص ٤٤١- ٤٤٢، ج٣/ ص ٥٩٣- ٥٩٨، مج ٤٧، ج٢/ ص ٤٦١ .

المعجم الموسوعي الشامل.

وإننا لنرجو لاتحاد المجامع أن يكون غده خيراً من يومه، فيغدوَ أقوى على النهوض بمهمة توحيد المصطلح ونشره، وهي أولى مهماته وأغلاها. وسنبذل جميعاً قصارى جهدنا، ونقدم أفضل ما نقوى عليه، لنبلغ الهدف الذي ننشده من نهوض الاتحاد بمهماته على خير وجه.

وبعدُ

فإن الحديث عن مجمع دمشق حديث يطول، فهذا المجمع الرائد قد نضا خمساً وسبعين سنة من سنوات عمره، وهو يعمل دائباً في الحفاظ على العربية المبينة، وإنه ليأمل أن يكون في سنواته المقبلة أكثر عطاء، وأعظم نفعاً، وأن يزداد تعاونه مع المجامع الشقيقة ومع اتحاد المجامع (نرمي جميعاً ونرامي معاً) لتغدو العربية لغة العلم والبحث في كل أرجاء الوطن العربي، نعلّم بها في كل مراحل التعليم، ونؤلف، ونترجم، ونعمل بصبر وتفانٍ لإنبات العلم في أرضنا العربية.

وإننا لنلمح في جوانب الأفق بوارق أمل تشف عن مستقبل واعد.

ويقتضينا الوفاءُ ونحن نتحدث عن مجمع دمشق أن نذكر بالتجلة والتقدير جهودَ رئيس المجمع المؤسِّس محمد كرد علي (١٨٧٦ - ١٩٥٣م) الذي وقف حياته يذود عن المجمع، ويُرسي من دعائمه، حتى علا بنيانه سامقاً. تولّى رئاسته عام ١٩١٩م، وظل في رئاسته يواكب مسيرته ويرعاه باهتمامه حتى وافته منيته عام ١٩٥٣م. وكان من تمام الاعتراف بما أسداه إلى المجمع احتفالُ المجمعيين عام ١٩٧٦م بالذكرى المئوية لولادته.

وتتالى على رئاسة المجمع الأساتذة: خليل مردم بك (١٩٥٣ - ١٩٥٩م)، والأمير مصطفى الشهابي (١٩٥٩ - ١٩٦٨م)، والدكتور حسني سبح (١٩٦٨ - ١٩٨٦م). وقدّم كلٌّ منهم أفضل ما لديه ليتابع

المجمع مسيرته، وينهض بمهامه على خير وجه. فلهم جميعاً ولإخوانهم من المجمعيين الذين كانوا عضداً لهم وعوناً في أعمالهم كلُّ تقديرنا وإكبارنا.

* * *

وإنه لمن يمن الطالع أن يكون احتفالنا بالعيد الماسي للمجمع، والشعبُ في أوج أفراحه وابتهاجه احتفاءً بالعيد الفضي للحركة التصحيحية المجيدة التي قادها الرئيس المناضل حافظ الأسد، والتي حققت بتوجيهاته السديدة الانجازات الكبيرة، وأهابت بالجماهير أن تلتف حول قائدها المظفر في معركة البناء والتحرير والسلام.

إن الحركة التصحيحية المجيدة قد افتتحت صفحة جديدة في تاريخنا، وتناولت بالتصحيح كل جوانب حياتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وحققت المنجزات الباهرة في كل المجالات، ورفعت راية القومية العربية عالياً، وشيدت لسورية العربية مجدها الباذخ، وبناءها السامق بين الدو ل حتى غدت رمز الشموخ والصمود والتمسك بالحقوق.

فلا عجب أن ينال مجمع اللغة العربية من عطاءات القائد المظفر القسطَ الأوفى. لقد عُرف السيد الرئيس بحبه للعربية وإعزازه لها ودعوته إلى التمسك بها، والحفاظ عليها، فهي عنوان هويتنا، وتجسيد شخصيتنا، وسجل مآثرنا، ومستودع ذخائرنا، وعماد وحدتنا، والعاصم لنا من التفرق والشتات. وما أكثر أيادي السيد الرئيس على العربية. لقد أولاها الرعاية والاهتمام، وأحلَّها المحلَّ الأرفع، ووجّه لمزيد من العناية بها، واتقان تعلمها. ثم أصدر التشريعات بزيادة ساعات تدريس اللغتين العربية والأجنبية في الجامعات، ليكون الطلاب أقدر على التعبير بالعربية، وأقوى على فهم اللغات الأجنبية ومطالعة كتبها.

وما أنس لا أنس مالقيه مجمع اللغة العربية من رعاية السيد الرئيس الذي تفضل فاستقبل رئيس المجمع والمجمعيين في التاسع عشر من شهر أيار سنة ١٩٧٣[٥]، وتحدّث إليهم عن مكانة اللغة العربية وتراثها في حفظ وحدة الأمة العربية واتصال حاضرها بماضيها المشرق. وأكّد لهم تصميم القطر العربي السوري على الالتزام بالعربية في التدريس في كل مراحل التعليم، لأنها المقوم الأساسي في قيام النهضة العربية وإرساء دعائمها. وأبدى السيد الرئيس تقديره لرسالة المجمع وعمل المجمعيين في حماية اللغة وتنميتها وإحياء تراثها. واستمع إلى ما عرضه رئيس المجمع من شؤون المجمع، فأمر بدعم ميزانيته، وتوسيع ملاكه، وبناء مقرّ له جديد، يوازي مكانته العلمية، ليأتي عمله في مستوى المهام المنوطة به.

لقد عزّز السيد الرئيس مكانة المجمع، وفتح أمامه آفاقاً ليكون أقدر على القيام بمهماته، وتأدية أغراضه. وبفضله تمّ تشييد بناء المجمع الجديد الشامخ، ففسح لنا في توسيع عملنا وتنظيمه.

فللسيد الرئيس راعي العلم والعلماء، وراعي العروبة والعربية نرفع آيات الحمد والثناء.

* * *

إننا، ونحن نحتفل بعيد المجمع الماسي، لنتطلعُ إلى غدٍ أكثر إشراقاً، ونتوق إلى تحقيق أمور تقتضيها طبيعة المرحلة المقبلة.

لقد فتحت لنا الحركة التصحيحية المجيدة الأبواب العريضة، فلنتقدم بخطاً ثابتة، يظلّلنا الأمل الأخضر، نخطط لما نريد أن ننهض به، كي نواجه مطالب المرحلة. وإننا لواثقون بأن النجاح سيكون حليفنا.

---

(٥) مجلة مجمع اللغة العربية : مج ٥٠، ج ٤، ص ٩٢٨.

إن من وسائل ترقية العربية وتيسير السبل لمعرفتها وإتقانها:

تأليفَ معجمات عربية حديثة، تلبّي رغبات القراء: طلاباً ومثقفين وعلماء، وتأليفَ المعجمات المتخصصة في المصطلح، على أن تكون ثلاثية اللغات (عربي - انكليزي - فرنسي)، ومشفوعة بشرح صغير يفسر دلالة الألفاظ والمراد بها.

ومن مهمات المجمع أن ينهض بتحقيق معجم أو أكثر من أمهات المعجمات العربية التي لم تنشر، أو لم تحظَ بعدُ بطبعة محققة.

ومن مهماته أن يُعدَّ العدة لتأليف المعجم العربي الشامل

ثم لا بدّ من رسم خطة محكمة للتعاون مع مختلف المجامع تعاوناً فعالاً مجدياً، ولرفع مستوى أداء اتحاد المجامع كي يكون أكثر فاعلية وجدوى. وكذلك الاتصال بالمؤسسات العلمية واللغوية الأخرى التي تُعنى بوضع المصطلح لرسم الخطوات الدقيقة والناجحة لتوحيد المصطلح ونشره في أقطار الوطن العربي.

إن الخطر الكامن هو في تعدد المصطلح العربي إزاء مقابله الأجنبي مما يؤدي إلى الفوضى والارتباك. وينبغي أن تقوم صلة وثيقة بين الجهات التي تتولى وضع المصطلح لتنسيق العمل، والاتفاق على مرجعية واحدة تتولى توحيده ونشره.

وتبقى بعد ذلك أمور أخرى كان قد سبق بحثها ولم يُتَّخذ شيء حاسم بشأنها، فلا بد من معاودة النظر واستكمال الدراسة على هدي ما تم، وتبين الأسباب التي حالت دون المتابعة والإنجاز.

ويأتي في مقدمة تلك الأمور التي تحتاج إلى الدراسة والمتابعة:

العناية بتيسير تعليم النحو والصرف، والاهتمام بإصلاح الخط (الإملاء)، والتوسع في الإفادة من التقنيات الحديثة في تعليم العربية.

كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف

نائب رئيس مجمع القاهرة، ممثل الوفود المشاركة في الحفل

السيد الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية

السيدة الأستاذة الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي

السيد الأستاذ الدكتور رئيس المجمع - السيدات والسادة

إنه ليشرفني ويسعدني أن أهنئ باسمي وباسم الوفود العربية مجمع اللغة العربية الدمشقي بعيده الماسي وبما قدم للأمة والفصحى من أعمال قيمة لغوية وعلمية وأدبية. وإنه لمجمع عظيم تأسس سنة ١٩١٩ أيام كان الاستعمار مطبقا على بلداننا العربية ناصباً حَبائله الماكرة الخبيثة على الأمة ولسانها العربي محاولاً بكل جهده أن تطغى لغته على الفصحى في التعليم أو أن تطغى عليها العامية، إذ كان يعرف أن الفصحى هي العروة الوثقى التي تشدُّ أبناء الشعوب العربية برباط يصل حاضر الأمة جميعِها بماضيها ومستقبلها كما يصل مشرقها بمغربها، وهو يريد لتلك الأمة أن تتمزَّق وأن تصبح الفصحى فيها غريبة على أبنائها.

وفي هذه الأثناء تطلعت الفصحى إلى دمشق التي طالما ازدهرت على ألسنة أبنائها والتي حَمَتْها أيام غارات التتار والصليبيين، ومَدَّتْ إليها دمشق يدها فأسست لها هذا المجمع اللغوي المبارك الشاغل لمكانة الصدارة من مجامعنا اللغوية التي نَذَرت أنفسها للنهوض بلغة الضاد وجعلها وافية

بمطالب العلوم والفنون والحضارة الحديثة، مع العمل على صيانة التراث العربي وتحقيق كنوزه وتقديمها إلى شباب الأمة ليطلعوا على ابتكارات أسلافهم وفلسفتهم وأفكارهم العلمية السَّدِيدة التي أضاءت لأوربا مسالكها إلى حضارتها الغربية الحديثة.

وأنا ـ بكل تجلّة ـ أحيِّي باسمي واسم مجمع اللغة العربية في القاهرة ذكرى مؤسسي هذا المجمع الأصيل، وفي مقدمتهم رئيسه خالد الذكر المرحوم الأستاذ محمد كرد علي، وقد عاونه في تأسيسه ثمانية أعضاء من سورية ولبنان، وضُمَّ إليهم الشيخ طاهر الجزائري، فاكتمل للمجمع عشرة أفذاذ راسخون. ولم ينشأ المجمع وليداً، بل نشأ شابًّا ناضجاً مكتظاً بحيوية علمية دافقة، وضَمَّ إليه أعضاء مراسلين من صفوة العلماء في البلدان العربية والمستشرقين في البلدان الغربية، واتخذ لنفسه شعاراً سيظل يرفرف دائماً فوقه وفوق دمشق وسورية وهو شعار الحفاظ على الفصحى ومقوماتها وأوضاعها في العلوم وغيرها، وبادر بتعريب لغة الدواوين التركية في سورية. وكان المعهد الطبي العربي قد تأسس معه في نفس السنة فاتخذ العربية لغة للتعليم فيه، وضُمَّ إليه في سنة ١٩٢٣ معهد الحقوق، وقامت ـ منذ هذا التاريخ ـ الجامعة السورية. وأصدر المجمع مجلة له تحمل بحوث أعضائه ودراساتهم ودراسات الأعضاء المراسلين منذ سنة ١٩٢١. وبالمثل أصدرت الكلية الطبية العربية مجلة لها سنة ١٩٢٤ وأخذ المجمع والجامعة السورية جادِّين في تعريب التعليم الثانوي والجامعي. وتَمَّ ذلك ـ بعون الله ـ منذ العشرينيات في القرن الحاضر. وبذلك أتاح المجمع والجامعة لسورية أن تكون السابقة لكل البلدان العربية في تعريب التعليم الجامعي، وهي مفخرة لا تماثلها مفخرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(البحوث)

الرموز العلمية في اللغة العربية
وأثرها في التعريب

الدكتور دفع الله عبد الله الترابي

السيد الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

السيد الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس الجلسة ونائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة

السادة العلماء أعضاء المجمع

السادة الزملاء أعضاء الوفود إلى هذا الملتقى الحافل

السلام عليكم أيها الجمع الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته. وبعد فإنه لَيُسعدني أن نلبيَ الدعوةَ الكريمةَ التي تلقيناها من مجمع اللغة العربية بدمشق لنكون من شهود احتفاله بمضي خمسٍ وسبعين سنةً على تأسيسه في السنة التاسعة عشرة لهذا القرن العشرين الميلادي.

فالتحيةُ مقرونةً بالتهنئةِ الحارةِ نزفُّها إلى هذا المجمع العتيق على دأبه المتصل في خدمة اللسان العربي وإحياء علوم العربية وآدابها وبث مكنوناتها

على مدى هذه العقودِ المتتالية من الزمان.

وليس بخافٍ أن هذه الفترة الماضيـة من أوائل القرن العشرين الميلادي اتسمت بتدافع القوى الأجنبية لاستكمال سلطانها وبسط نفوذها على غالب أقطار الوطـن العربي ولما أن وقـعت المنطقـةُ بأسرها تحـت هذا النفوذ عـاشت الأمةُ العربيةُ حقبةً طويلةً ابتليت فيها بأشد أنواع الابتلاء وأعمقِها أثراً.

ولعل من أبـلغ الأذى الذي أصاب الأمـة من عهود الاسـتعمـار وطول مُكْثِه ومن أثرِ سـياساته في التعليم أن اهتزت الثقةُ في بعـضِ مرتكزاتِ الأمةِ الفـكريةِ والحـضاريـة. فلم يكـن ذهابُ الاسـتقـلال السـياسـي وانفرادُ قـوى الاحتلالِ بسلطة الحكم المباشر إلا الوجهَ الظاهرَ من محنةِ الاستعمار.

اللـغـة العـربـيـةُ هي إحدى هذه المـرتكـزات المضـيـعـة بـالإهمـال أو بالسكـوت عنها في عهـود الاحتلال حـتى كادت أن تصبـح اللغة الثانـية في عدد من البلاد العربية.

فما كان يسمح في السودان على عهـد الاحتلال، لأستاذ اللغة العربية أن يتبـوأَ رئاسةَ المدرسة التـي يعمل بها مـهما يكن حـظُّه من العلمِ والتـجربةِ. مدرسٌ اللغة الأجـنبية أو أيٌّ من معلمي الحسـاب أو المواد الأخرى هم أولى بالرئاسـة في نظر السلطة آنـذاك من مشايخ اللـغة العربيـة الذين غالباً مـاكانوا يأتون من المعاهد الدينيـة، ذلك فضلاً عن هيمنة اللغة الأجنبيـةقبل الاستقلال علـى دواوين الدولـة ودور التـعليم وكـثيـرٍ من أنـواع التـعـامل الأخـرى في المجتمع.

ولكن حـتى بعـد زوال السلطـة الأجنبـية المُبـاشِرةَ عن مـعظم الـبلدانِ العربية لا تزال هنالك بقيةٌ مما ترك الاستعمار من حالةٍ ذهنية متمثلةٍ في اهتزاز الثقة بالنفس وشعور داخلي بعدمِ القدرة على مواكبة العصر.

غير أن الأمة العربية لم تكن لتغفل جميعاً أو في كلٍ مستوياتها عن مناهضةِ آثار الغزو الأجنبي على الثقافة العامة أو على محتوى التعليم وأنماط السلوك. ولقد أخذت هذه المُدافعة أشكالاً شتى ليس هنا مجالُ تفصيلها ومالبث بعد حين أن زادت في هذا الإطار العنايةُ باللغة العربية. وانحسر بقدر ملحوظ الجدلُ العقيم المطوّلُ الذي امتد إلى أربعينَ سنةً حول اللغة العربية ـ تصلح وسيلة لتدريس العلوم الحديثة بالجامعات أو لا تصلح ـ وغدا الآن المثقفون العلميون جلُّهم لا يعارضون مبدأ التعريب وإن ظل بعضهم يلوذ بمعاذير يختلقها لإرجاء تطبيقه.

مهما يكن ففي ما تم كسبٌ نَحمَدُ الله عليه، حيث قامت منابر عديدة على امتداد الوطن العربي لدعم اللغة. ونشأت مؤسساتٌ متخصصةٌ لأعمال الترجمة والتعريب ولوضع المصطلحات العلمية وتوحيدها ونشرها.

ولكن بالرغم من العبارات القوية التي يصوغها المؤتمرون والمجتمعون في ندوات التعريب وملتقيات المجامع تعبيراً عن قناعتهم بأن اللغة هي أداةٌ للتفكير بقدر ما هي أداةٌ لتعبير، وأن التعويل عليها في تدريس العلوم الطبيعية فيه منطلق للعقول واستقلالها. وتمكينها من الإبداع والاختراع. فإنك لا تجدُ انعكاسَ ذلك على الواقع إلا في القليل.

لذلك لك أن تُعْجَب أيَّما إعجاب برواد التعليم في هذا القطر الشقيق سورية ولأهل الشأن فيه الذين أنفذوا في وقت باكر من أوائل هذا القرن أمرَهم بالتعريب وثبتوا عليه ثم لم يرتابوا ولم يغيروا.

تلك كانت وقفةً كبرى مع مقتضى العقيدة والعروبة، بقيت مثلاًحياً للدعوة للتعريب وتجميع الخبرات انتفعت بها من بعدُ جامعاتٌ كثيرةٌ خارجَ حدودِ القطرِ السوري.

ولقد تطورت في إثر ذلك الدراساتُ حول الاصطلاحات العلمية

وأُسِسٍ وَضعها. وشارك في هذا العمل خلق كثير من سائر البلاد العربية وصدرت بفضل هذه الجهود مجتمعةً معاجمُ للمصطلحات شملت معظم التخصصاتِ العلمية كما طبعت كتبٌ عربيةٌ كثيرة في الفنون والعلوم بحيث لم نعد بعد اليوم نخشى على الجامعات المعرَّبة من الردة إلى اللغة الأجنبية.

وفي الذاكرة ماحدث للتجربة الرائدة في القرن الماضي لمّا تحولت لغةُ التدريس إلى اللغة الإنجليزية في كليتي الطب بالقاهرة وبيروت ـ في أواخر القرن بعد أن كانت الدراسةُ فيهما باللغة العربية لعشرات السنين، والراجح أن ذلك تم بتحريضٍ من السلطة الأجنبية المستترة أو الظاهرة.

التعريب في السودان:

كان السودان ـ كما تعلمون ـ إلى قبل ستٌ سنوات يعول على اللغة الإنجليزية في تدريس العلوم الحديثة كلها بالجامعات ـ إلا أن اللغة العربية استردت بعد الاستقلال الأرض التي فقدتها وحلّت مكان اللغة الإنجليزية فيما سوى التعليم العالي.

ثم صدر قرار سياسي في الشهر الثاني من عام ١٩٩٠م بإلزام مؤسسات التعليم العالي جميعها بالتعريب. ولم يستثن.

ورغم أن القرار اتُّخِذَ بعد موازنةٍ دقيقة ووعيٍ كاملٍ بكل تبعاته فإن صدورَه أحدث دوياً واسعاً وبدا من أشق التكاليف على الأساتذة وإدارات الجامعات.

ولو لا الثقة الكبيرة لدى الداعين إليه وتوخي الحكمة والتدرج في إنزاله على الواقع لعصفت المعوقاتُ والصعوبات العلمية بهذه التجربة في مهدها.

ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً...

أذكر أنني تحدثت إلى ندوة تعريب المصطلح العلمي وسبل توحيده وإشاعته التي انعقدت بعمّان في رحاب مجمع اللغة العربية الأردني في غضون عام ١٩٩٣م للميلاد وألحتُ في حديثي إلى تعاليم المنهج الذي اتبعناه لإنفاذ هذا السياسة وكان الأمر حينئذ في أوائله، وبقدر ما كان التفاؤل يدفعنا كنا في قرارة أنفسنا مشفقين من ارتداد التجربة لا سيما وأن الطبول دقت من حولنا تهويلاً للمشكلات والعقبات والمخاطر التي تبين لنا من بعد أنها جميعها دون ما أذاعوا به بكثير.

يسعدني أن أقول إلى جمعكم الكريم في هذه المناسبةالتي تمثل مَوسِماً من مواسم اللغة العربية بينما هي عيد فرح وابتهاج بهذا المجمع ومنجزاته: (أقول) إن التعريب قد بلغ في السودان السنوات النهائية في المنهاج الجامعي وتخرجت الأفواجُ الأولى من الذين تلقّوا تعليمهم بكامله باللغة العربية في جامعات السودان على اختلاف تخصصاتهم وتنوعها.

حدث هذا دون خفض للمستويات. ورغمَ انشغال الأساتذة وإداراتِ الجامعات في هذه الأثناء بتدابير مقتضيات الطفرة الكبيرة في أعداد الطلبة المقبولين بالتعليم العالي وزيادة جامعات السودان إلى أربعة أضعاف ما كانت عليه ولعل مما ساعد على هذا الانجاز أن الله وفق كلاً لأن يقوم بدوره في هذا التحول خير قيام.

فلم يقصر الأساتذةُ في أداء واجباتهم...

ولم تقتر علينا الدولة في دعم مطلوبات التعريب...

ولم يبخل علينا الزملاء في الجامعات العربية التي لها سابقة في هذا الأمر بمدنا بنتائج تجاربهم وبدعمنا بالكتب أحياناً وبانتداب الأساتذة.

وهكذا تكاد تجربةُ التعريب بالسودان أن تكون قد بلغت إحدى غاياتها. على أن مقاصد التعريب تتعدى مجردَ مخاطبة الطلاب باللغة العربية في قاعات الدراسة إلى توطين العلوم وتأليفها لتكون بعضاً من النسيج العلمي للبيئة العربية.

واسمحوا لي الآن أن أشير إلى بعض متممات مسيرة التعريب كما تراءت لنا من مراقبة التجربة.

يبدو كأن التعريب يرتكز على شعبتين من حيث البناء اللغوي ـ الحديث هنا ليس عن مطلوبات التعريب ولا عن غاياته أو وسائلِ تنفيذه.

أما الشعبة الأولى وتمثل الأفق الأول فهي تعريبُ المصطلح وتوحيدُه بما يمكّن من استخدام اللغة في نقل المعاني والفكر وإيصال المعلومة لطالبها ـ وقد ذكرنا آنفا أن العمل في مجال توحيد المصطلح قد بلغ مبلغاً لا نخشى به عليه متى تواصلت الجهود في مراجعة المعاجم واستيعاب الجديد من المصطلحات وترك المفضول لما هو أمثل منه.

فمن المعلوم أن وضع المصطلحات صناعةٌ مستمرةٌ لا تنقطع، وذلك من طبيعة هذه العلوم المتطورة أبداً مع حركة الإنسان في طلب الرزق وتقلبه في الأرض ـ ومعلوم أيضاً أن الإجادة والإتقان لا يتأتيان إلا من خلال الممارسة والتجريب. ومن طلبهما من دون ذلك أضاع الوقت والجهد.

أما الشعبة الثانية فهي في صياغة الرموز والمختصرات في اللغة العربية وهي الأفق الثاني للتعريب. ذلك أن علوم التقانة كالهندسة وعلوم الرياضيات والفيزياء وجاراتها مثل الكيمياء يستحيل تعلمها دون أن تستخدم الرموز والمختصرات.

والناظر لأحوال التعريب الآن يجد معظم التجارب القائمة تنحو إلى

الإبقاء على الصيغ الرياضية وأشكال الرموز على هيئاتها في اللغات الأجنبية.

وهذا وضع اقتضته الضرورة للتيسير في نقل هذه المعارف أو لعلَّ ذلك أيضاً من عدم الرغبة للسياحة بعيداً عن مرافئ هذه العلوم وشطآنها في اللغات الأجنبية.

سألني سائل في ندوةٍ حولَ التعريب انعقدت بجامعةِ الخرطوم منذ وقت قريب. قال إنه نظر في كراسةِ ابنه الذي يدرس الهندسة بجامعة الخرطوم قال وجدت كراسته مزجاً مستغرباً بين شروحٍ وتقريراتٍ مكتوبةٍ باللغة العربية وصيغٍ ورموزٍ شتى محررةٍ باللغة الإنجليزية بحيث صارت صفحات الكراسة في تشابك بين هاتين اللغتين. كأنما هما في تنازع على استحواذ مساحة الصفحة.

وتساءل إن كان هذا هو مبتغى التعريب ومنتهى طموح أهله فيما يدعون الناس إليه. والسائل محقٌ في ما ذهب إليه نسبة للتشويش الذي يُحدثُه مثلُ هذا التداخل بين اللغتين.

ولقد سبق لي أن أشرتُ إلى مثل هذا في ورقةٍ منشورةٍ في مجلة اللسان العربي من قبل عشرين عاماً في محاولةٍ مني لمعالجة بعض هذه الرموز في اللغة العربية.

ثم لقد وَرَدَنا من قبل بضع سنوات توصيات مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته السابعة والخمسين التي بعث بها إلينا الدكتور شوقي ضيف متضمنة توصية (هي السادسة) بضرورة التخلص من هذا التداخل بحيث « لا تكون كُتبنا العلميةُ من جزأين ـ جزء عربي وجزء أجنبي ».

وقد جاء مثل ذلك في ورقة حديثة للأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط ألقاها على مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الأخيرة. حيث قال

« بضرورة وضع قائمةٍ تشتمل على الرموز والمختصرات بالعربية ـ وطرقَ ترجمة المختصرات الأجنبية إلى العربية ـ وهو باب ـ على حدِ قوله ـ تَمسُّ الحاجةُ إليه في هذه المرحلة ».

أدعو إلى ضرورة الالتفات إلى معالجة موضوع الرموز والمختصرات بحيث تتم صياغتها في أشكال مقبولة في الكتابة العربية مع مراعاة المحافظة على الشبه في أشكال الرموز العربية مع مقابلاتها في اللغات الأجنبية المشهورة ـ متى تيسَّر ذلك والحقيقة هنالك من الكتب المطبوعة ما صيغت جميعُ رموزِه باللغة العربية مع وضع الصيغ الأجنبية بجوارها.

إلا أن أوسع دراسةٍ في هذا الشأن هي الكتابُ الذي أعدّ له مجمعُ اللغة العربية الأردني وأجازه اتحادُ مجامعِ اللغة العربية في عام ١٩٨٧م ثم قدمه الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة في مؤتمر التعريب السابع الذي انعقد بالخرطوم في أول عام ١٩٩٤م.

ولّما كانت تجاربُ التعريبِ القائمة لاتزال تستخدمُ الرموزَ في أشكالها الأجنبية وأن كثيراً من الجامعات العربية غيرُ ملتزمةٍ بالتعريب إبتداءً، فإن كتابَ الرموز والمختصرات المشارَ إليه لم يجد حظَّه من التعليقِ والتعقيبِ ولم تستخدم رموزُه استخداماً واسعاً.

ولقد أولت الهيئة العليا للتعريب بالسودان أمر الرموز اهتماماً كبيراً وعناية فائقةً من غير أن تكون في عجلة إلى تطبيقها فما زلنا في السودان حديثي عهدٍ بالتعريب ونريد أولاً أن تستقرَّ اللغةُ العلميةُ العربية لدى الأساتذة ويكونَ بينهم وبينها المودةُ والألفةُ والوئام .

ولكن مصدرَ اهتمامنا بأمر الرموز في هذا الحين جاء من أن الكتابة العربية العلمية لايستقيم أمرها إلا أن يعرَّب نهج كتابة الرموز. وأن التعريب من دون ذلك يظل عملاً ناقصاً مبتوراً .

مما تجدر الاشارة إليه أن كتبَ التراث العلمية حوت صياغات في هذا الجانب تسترعي الانتباه بل يجوز الاقتباسُ منها لتمثيل كميات ومقاديرَ علميةٍ حديثة .

كتاب الجامع بين العلم والعمل لأبي العز اسماعيل الجزري حوى ثلاثة وستين رمزاً منها أحد وعشرون حرفاً من حروف المعجم وأبدالها مثلها وأحد وعشرون حرفاً أخرى منقلبةً عنها . وجميع كتب التراث العلمي تزخر بأنواع الرموز والمختصرات.

وممن اشتهر باستخدام الرموز في الماضين أبو الحُسْين علي القلصادي (المتوفى سنة ٨٩١ هـ - ١٤٨٦ م) نُسب إليه رمز الجذر (وهو جـ ⟵ √)، ورمز الشيء المجهول في المعادلة (وهو ش ⟵ س = ×)، واستخدام القلصادي الحرف الأول من كلمة مال وهو «م» لتربيع الشيء والحرف الأول من كلمة كعب وهو (ك) للمجهول المرفوع للقوة الثالثة (ولاشك عندي أن كلمة Cube الانجليزية مأخوذة من كلمة كعب العربية).

واستعمل القلصادي للجمع الحرف (إلى) وللفرق (أو الطرح) أداة الاستثناء «إلا» وكنا في السودان نستخدم الاستثناء للطرح إلى وقت قريب يقول الرجل لابنه وهو يعلمه مثلاً ثمانيةُ إلا خمسة كم يبقى ؟

ويقول ابن خلدون أن ابن البناء المراكشي وضع رموزاً في الجبر في القرن الثالث عشر.

إلا أن كتبَ تاريخ العلوم تنسبُ معظمَ الرموز الجبرية إلى العالم الأوربي فيتا (Vieta) الذي جاء متأخراً عن ابن البناء وعن القلصادي، ولابد أن العالم فيتا قد نظر في كتب السابقين له.

يقول الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا في كتابه (الجامع في تاريخ

العلوم عند العرب) أن عدم تطور الرموز عند العرب كان نقصاً خطيراً وكان سبباً مباشراً في عدم تسارع الحركة العلمية عند العرب والمسلمين.

مهما يكن فقد بذلنا في الهيئة العليا للتعريب جهداً كبيراً في مراجعة كتاب الرموز والمختصرات الذي بين أيدينا. وبعد طول مُكثٍ مع هذا الكتاب تطابقت آراؤنا مع كثير مما جاء فيه كما ظهرت مقترحات بالإضافة والتعديل على بعض الصيغ وأشكال الرموز فيه – وفي الأمر فسحة وسعةٌ لإجالة النظر.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الشأن أن الدعوة إلى إبقاء الرموز على أشكالها الأجنبية بحجة التوسعة في اختيار الرمز من جملة الحروف الرومانية مضافاً إليها الحروف الإغريقية في صورهما الكبيرة والصغيرة إنما هي دعوة مردود عليها.

فإنك تستطيع في اللغة العربية أن تجمع بين حرفين من حروف المعجم إلى ثلاثة أحرف لترمز إلى مقدارٍ واحد. وهذا يعطيك إمكاناتٍ واسعة للتخير بقدر التباديل المتأتية من ذلك كما هو معلوم من علم الحساب. وليس لأي لغةٍ أجنبية مثل هذه المرونة والتوسعة في تخير الرموز.

ولكن يشترط في هذه الحالة أن تكون الحروف الممثّلة للرمز الواحد متصلة في كتابتها. تحاشياً للالتباس

«مثلا: جا، قا، سا، تصلح رموزاً أمّا أج، را، وا ، فلا يرمز بها».

هذا وهنالك زيادة في سعة الاختيار بما يتيحه تعدُّد رسم الحرف العربي في الخطوط المختلفة.

كذلك فإن الرموز العلمية التي اعتيد على كتابتها في اللغة الأجنبية بالحروف الكبيرة يمكننا الرمز لها في اللغة العربية بالحروف الممدودة.

ويُفضّلُ المدُّ بالألف. فهو أطوع ويتيح مجالا أرحب لوضع اللواحق الفوقية والسفلية عليه «مثال ذلك: K,G,F مثيلاتها كا، جا، فا»

ولا يتّسع لي الوقت للتوغل في تفاصيل المنهج الذي تشكلت بدايته من معالجاتنا لمسألة الرموز . تلك كانت بعض إشارات تلوح من خلالها معالمُ للمنهج الشامل لوضع الرموز

لقد أجملت القول حول الرموز ولكنني تجاوزت المختصرات لسبب أبديه فيما يلي ولخشية الإطالة:

فالمختصرات ضرب من الاختزال للعبارة الطويلة أو للعناوين المتكوّنة من كلمات متعددة وهي لاتدخل عادة في صميم الصيغ الرياضية ومن هذا المنحى فأهميتها دون الرموز.

ولقد يجد المتأمل في صياغات بعض المختصرات الحديثة شيئاً من مظاهر العجمة وذلك منذ أن جعل الناس ينحتون هذه المختصرات من جمع الحروف الأولى من كلمات العبارة أو العنوان المرجوّ اختصاره.

فإذا ماقرأت بعدئذٍ الكلمات المولّدة بهذه الطريقة لأسماء الشركات أو المؤسسات أو الهيئات قلت إنها لاتمتُّ إلى كلام العرب في شيء.

ولقد استثقل بعض العلميين الاختصارات من بعض أنواع التركيب المزجي مثل «كهرمغناطيسية» ، وفضلوا عليها كهربية مغناطيسية.

واستساغوا نحو برمائي. ولامائي. ولامقرر واللامركزية ومثيلاتها وذلك لخفتها.

موضوع المختصرات يحتاج إلى عناية خاصة من مجامعنا لإصلاح أمرها غير أن أثرها في التعريب غير كبير.

وخلاصةُ الرأي أن يدعى إلى جولةٍ أخرى من التداول حول موضوع

الرموز والمختصرات يستكتبُ لها أهلُ الاختصاص إما تعليقا على ماتضمنه كتابُ الرموز أو بتقديم إضافات أو مقترحات أخرى، توطئةً لعرض ذلك كله على ندوة أو في ملتقى علمي بحيث لايكون بمشيئة الله خلاف كبير في المستقبل بين الجامعات فيما تأخذ به من أشكال هذه الرموز والمختصرات.

وبما أن الرموز الأساسية محدودةُ العدد ويمكن جمعُها مع شروحها في كتاب واحد من الحجم المتوسط نجد أنه في الإمكان الوصول إلى درجة عالية من الوفاق حولها.

وفي الختام أرجو ألا أكون أطلت وأثقلت، وأعود لأعرب عن تقديرنا وإعجابنا بالدور المبدع الذي يضطلع به مجمع اللغة العربية بدمشق في خدمة العلوم العربية والوقوف خلف مبادرات التعريب أينما تكون ولاغرو فاللغة العربية هي آصرة العروبة وعُروتُها وهي خزانة الموروث الحضاري كله للأمة ووعاءُ أصول الدين ومنبعُ ثقافتنا المشتركة.

نسأل الله أن يوفق مجمع اللغة العربية بدمشق لصالح الأعمال وأن يبارك لعلمائه فيما يقدمون للأمة من علم نافع وأن يجزيهم عليه خيرا كثيرا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ثبت المراجع

١/ محمد عبد الرحمن مرحبا

الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ـ ط٢ـ مزيدة ومنقحة بيروت: منشورات عويدات، ١٩٨٢.

٢/ الجزري، أبو العز بن إسماعيل

الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل ـ تحقيق أحمد يوسف الحسن ـ جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي ١٩٧٩.

٣/ الملا كاتب الجلبي، مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون جـ٣ ص ١٤٨٨ ـ بيروت: دار الفكر ١٩٩٠.

٤/ مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر

الموسوعة الثقافية حـ ١/ جـ٣ ص ٧٦٧، القاهرة- نيويورك مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٨٢.

٥/ ناصر محمد السويدان

مداخل المؤلفين والأعلام العرب/ محمد ناصر السويدان العريني. - الرياض: جامعة الرياض- عمادة المكتبات، ١٩٨٠.

٦/ دفع الله عبد الله الترابي

مجلة اللسان العربي- المجلد الرابع عشر- جـ ١/ ١٩٧٦ صفحات ٧٧ حتى ٨٩، مكتب تنسيق التعريب- المغرب.

٧/ اتحاد مجامع اللغة العربية

الرموز العلمية وطريقة ادائها باللغة العربية. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧.

٨/ حكمت نجيب عبد الله

دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، الموصل: جامعة الموصل، ١٩٧٦.

٩/ مجمع اللغة العربية (بالقاهرة)

توصيات الدورة السابعة والخمسين: التوصية السادسة.

١٠/ مجمع اللغة العربية (بالقاهرة)

ورقة الدكتور/ محمد هيثم الخياط «في دورة المجمع للعام ١٩٩٥م».



من تاريخ المجمع

الأستاذ رياض مراد

أيها السيدات والسادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فيطيب لي أن أحدثكم اليوم عن مجمعنا الحبيب الذي ضم نخبة من علماء العربية منذ خمسة وسبعين عاماً إلى الآن... إنه مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١)



تسمية المجمع

سمَّى الغربيون المجمع العلمي Academia وهي لفظة يونانية نسبة إلى البطل أكاديميوس الأثيني الذي اقتنى حديقة كان الفلاسفة اليونان يجتمعون فيها فنسبت إليه واشتهرت به. وكان الفيلسوف سقراط يلقي فيها خطباً على طلبته ومريديه، وكذلك كان أفلاطون يعلّم طلبته في غاباتها. فلهذا سمي كل مجتمع للتعليم والمناقشة والخطابة (أكاديمية) وهو باللاتينية Academia وبالفرنسية Académie وبالانكليزية Academy

وعرّبه المتأخرون باسم (المجمع العلمي) وهو اسم مكان على وزن مَفْعَل من فعل (جمعَ يجمع) ومعناه مكان اجتماع العلماء قصد إصلاح العلوم والآداب والفنون.

* * *

(٢)

إنشاء المجمع

لما قامت الثورة العربية عام ١٩١٦ وانتهت بتأسيس الحكومة الفيصلية العربية فـي ربوع الشام في الخامس من شهر تـشرين الأول من عام ١٩١٨ م واجهت فـيما واجـهت من الصعـوبات قضيـة اللغة العـربية، ذلك لأن الـلغة التـركية كـانت هي الـلغة الرسـميـة في البـلاد، ولأن الموظفين الأتراك كـانوا يتولـون معظم الدوائر الحكـومية، والموظفـون العرب كانـوا يجهلون العـربية والتعبير بها ولايعرفون إلا المصطلحات التركية فكان على الحكومة العربية أن تغيّر هذه الحالة، وتحول الـلغة الرسمية من اللغة التركية إلى الـعربية في جميع الدوائر والمدارس والدواوين. وقد تم ذلـك بسرعة فائقة، فتـألفت لذلك لجان عديدة سعت وراء تنسيق هذه الجهود وتعجيل ثمراتها.

وكانت شعبة الترجمة والتأليف أول هذه اللجان، وقد أنشئت في ٢٨ تشرين الثانـي ١٩١٨ وكانت مهمتها تدبـر أمر اللغة العربية الرسـمية، ونشر الثقـافة بين الموظفين واستبدال المصطلحات الـعربية بالتـركية. وقد استعـانت بأسـاتذة اللغة الـعربية وأدبـائها من مثل سليم الجندي وأنيس سلوم وخـليل مـردم بك وعـبد الـقادر المـغربـي وفارس الخـوري ورشـيد بـقدونـس وعبـد الرحمن الشـهبندر وأديب التقي وحـبيب اصطفان وعجاج نـويهض ونخلة زريق.

ثم رأت الحـكومة الـعربيـة أن تجمـع فروع الثـقافـة في دائرة واحـدة، فضـمت أمور المعارف العـامة إلى أعمـال شعبة الـترجمة والتـأليف وجعلتـها كلـها في (ديوان المـعارف) في ١٢ شـباط ١٩١٩ وأسنـدت رئاستـه إلى الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله.

وكانت مهمـة هذا الديوان النظر في أمور المعارف والتـأليف وتأسيس

دار للآثار والعناية بالمكاتب ولاسيما دار الكتب الظاهرية.

وفي الثامن من حزيران سنة ١٩١٩ استقل المجمع العلمي عن ديوان المعارف بأمر من حاكم سورية العسكري العام علي رضا ركابي دفعاً للالتباس الذي يمكن أن يقع بين المعارف العامة وأمور اللغة والمكتبات والآثار، وعهد برئاسته إلى الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله.

وأول من سمي من أعضائه أمين سويد (توفي سنة ١٩٣٦م) وأنيس سلوم (توفي سنة ١٩٣١م) وسعيد الكرمي (توفي سنة ١٩٣٥م) وعبد القادر المغربي (توفي سنة ١٩٥٦م) وعيسى إسكندر المعلوف (توفي سنة ١٩٥٦م) ومتري قندلفت (توفي سنة ١٩٣٤م) وعز الدين علم الدين (توفي سنة ١٩٦٦م)، ثم انضم إليهم الشيخ طاهر الجزائري (توفي ١٩٢٠م) بعد عودته من الديار المصرية في تشرين الأول ١٩١٩م.

(٣)
مقرّ المجمع

كان أعضاء المجمع يعقدون جلساتهم في إحدى الغرف العلوية من دار الحكومة، ثم صدرت أوامر الحكومة العربية بتسليم المجمع بناء المدرسة العادلية التي قامت برعاية الفقه والعربية قديماً وماانقطع عنها العلم وتدريسه منذ أنشئت في سنة ٦١٩هـ حتى الآن. قال كرد علي: (وكأن المولى تعلقت إرادته فقضى أن لايخلي العادلية والظاهرية من علم ينشر وأدب يذكر فاختارهما مباءة للمجمع العلمي يقيم فيها سوق العلم والأدب بعد الكساد على النحو الذي كانت عليه).

وأخذ المجمع بترميم المدرسة وأنفق عليها أموالاً طائلة لإعادتها إلى طرزها العربي القديم. وكان للمهندس الرسام السيد توفيق طارق فضل عظيم في إعادة البناء إلى بهجته وزخرفته ودقة صنعه، وكان للمهندس الفرنسي

(آمي) الفضل في إعادة البركة القديمة وتبليطها وتبليط الساحة ١٩٤٤م.

وعقد المجمع أولى جلساته بمقره الجديد في ٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٧هـ (٣٠ تموز ١٩١٩) .

ثم انتقل المجمع بعد ذلك إلى بنائه الجديد في حي المالكي سنة ١٩٨١

(٤)

أهداف المجمع

قال محمد كرد علي رحمه الله في منشوره في مجلة المجمع المجلد ٦/١ والذي بين فيه أهم أهداف المجمع:

«تألف مجمعنا العلمي العربي في أول الأمر من ثمانية أعضاء ورئيس وقد وكل إليه النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية ونشر آدابها وإحياء مخطوطاتها وتعريب ماينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية وتأليف ماتحتاج إليه من الكتب المختلفة المواضيع على نمط جديد.

وعني أيضاً بجمع الآثار القديمة من تماثيل وأدوات وأوان ونقود وكتابات وماشاكل ذلك ولاسيما ماكان منها عربياً.

كما عني بجمع المخطوطات القديمة الشرقية والمطبوعات العربية والإفرنجية على اختلاف موضوعاتها....

وسيصدر قريباً مجلة باسم مجلة المجمع العلمي شهرية مصورة ينشر فيها أعماله وأفكاره....»

ومن هذا المنشور يتبيّن لنا أن أهداف المجمع هي:

١- النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية.

٢- جمع المخطوطات والمطبوعات.

٣- تأسيس دار كتب عامة.

٤- جمع الآثار القديمة عربية وغير عربية.

٥- تأسيس متحف لهذه الآثار.

٦- إصدار مجلة خاصة بالمجمع ينشر فيها أعماله وأفكاره.

٧- طبع أهم الكتب التي تساعده في تحقيق أهدافه.

٨- وضع المصطلحات العلمية العربية.

وسأتحدث إن شاء الله تعالى عن ثلاثة من هذه الأهداف تاركاً الأهداف الباقية للسادة العلماء ليتحدثوا عنها في هذا المهرجان.

١- النظر في اللغة العربية

عمل المجمع في سنواته الأولى عملاً شاقاً ودؤوباً، خدم اللغة العربية بصمت وإخلاص، وتركز معظم نشاطه اللغوي في مجالين:

- المجال الرسمي .
- المجال الشعبي .

في المجال الرسمي

واجه المجمع في بداياته مشكلة المصطلحات الإدارية وترجمتها إلى اللغة العربية، فطلب من دوائر الحكومة ومعاهد التدريس الجامعية والثانوية والابتدائية أن تنبئه بما تحتاج من الألفاظ وضعاً وتعريباً، على أن ترسل إليه من جانبها ممثلاً اختصاصياً يشترك في أبحاث المجمع، ويوضح مفهوم الألفاظ في جوها الفني الخاص بها.

وحين تجمعت لديه قوائم بهذه الألفاظ بدأ بالنظر فيها فأبقى بعضها على حاله لصحته وعروبته وبدّل بعضها كل التبديل وعدّل الآخر تعديلاً

قليلاً أو كثيراً حتى اجتمع لديه من ذلك قوائم جديدة تمثل لغة الدواوين العربية. لذلك جاءت الكلمات المعربة في ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كلمات عربت أو حوّلت عن أصلها مثل تعريب الطابو إلى ديوان التمليك، والبوليس: الشحنة أو الشرطة، والنوبتجي: الآذن أو البواب، والرابور: التقرير، والبول: الطابع.... وهكذا.

والقسم الثاني كلمات عدلت بعض التعديل كدائرة العدلية التي غيّرت إلى دار العدل، ومأمور السجن: السجان، ومأمور الإطفائية: الإطفائي، وأوراق موروودة: واردة، وأوراق مرسولة: صادرة.

والقسم الثالث كلمات مختلفة مثل ماصة عربت إلى مكتب، وقاصة: خزانة، وقولتق: متكأ ، ودوسيه: إضبارة أو ملف، وروزنامة: تقويم، وصوبا: مدفأة... وهكذا.

وقد اعتمد أعضاء المجمع في تعريبهم على كتب اللغة المعروفة والتي أسْمَوْها (المراجع الموثوقة) كتاج العروس والمخصص والصحاح وأساس البلاغة وتهذيب الألفاظ وفقه اللغة والنهاية في غريب الحديث والأثر، والمزهر، وغريب الحديث لابن قتيبة.

واعتمدوا أيضاً على جهود الذين سبقوهم في العالم العربي في هذا المجال من أمثال أحمد تيمور باشا الذي جرت بينه وبين المجمع مكاتبات بشأن الكتب والرسائل التي نشرت في مصر باللغة العربية عن تعريب ألفاظ المصطلحات العلمية والفنية وماألف في تصحيح الألفاظ العامية.

* * *

في المجال الشعبي

وأما في المجال الشعبي فقد عمل المجمع في اتجاهات عدة منها:

١- محاضرات المجمع

٢ - حفلات ومهرجانات

٣- عثرات الأقلام.

٤- عثرات الأفمام.

وأعد المجمع قاعة للمحاضرات افتتحها في يوم الأحد ١٧ من نيسان ١٩٢١، وكانت المحاضرة الأولى في اليوم ذاته، واستمر إلقاء المحاضرات مرة كل أسبوعين، فلما زاد إقبال الناس على هذه المحاضرات جعلها المجمع مرة كل أسبوع. وقد بلغ عدد الحاضرين يومها أربع مئة، وهذا عدد كبير زاد عن أمكنة القاعة حتى اضطر كثير منهم أن يقفوا على الأبواب والنوافذ ليتابعوا هذه المحاضرات.

ثم ارتأى المجمع بعد ذلك أن يخصص بعض هذه المحاضرات للسيدات وأن تقوم بتنظيمها بعض المعلمات الفاضلات.

وأما المحاضرون فهم أعضاء المجمع أو من يكلفهم المجمع إلقاء المحاضرات من الرجال والنساء وقد يقترح المجمع موضوع المحاضرة أو يقترحها المحاضر.

وجرت العادة أن يلقي أحد الشعراء بعد المحاضرة قصيدة في الحماسة أو في موضوع يناسب المقام.

وبلغ عدد المحاضرات التي ألقاها أعضاء المجمع وغيرهم مايقرب من أربع مئة محاضرة أُلقيت مابين ١٧/٤/١٩٢١ و ١٢/٤/١٩٤٦ مع انقطاع حدث من كانون الأول ١٩٣٢ وأيار ١٩٤١

وكانت المحاضرة الأولى والمحاضرة الأخيرة للشيخ عبد القادر المغربي، وهو من غريب المصادفات، فأما الأولى فكانت بعنوان (طرفة بن العبد)

وألقيت في ١٩٢١/٤/١٧ والأخيرة بعنوان (سياسة تمخضت بلغة) في ١٩٤٦/٤/١٢

ونشرت بعض هذه المحاضرات في كتاب بعنوان (محاضرات المجمع).

- ظهر الجزء الأول منه سنة ١٩٢٥ وفيه ١٧ محاضرة
- وظهر الجزء الثاني منه سنة ١٩٥٤ وفيه ٢٦ محاضرة
- وظهر الجزء الثالث منه سنة ١٩٥٥ وهو قسمان:

القسم الأول للمتوفين من أعضاء المجمع وفيه ثلاث عشرة محاضرة

والقسم الثاني يحتوي على أربع عشرة محاضرة.

***

وأما الحفلات فقد كانت على النحو التالي:

١- حفلة تأبين الشيخ طاهر الجزائري في ١٩٢٠/١٢/٥

٢- حفلة تأبين أحمد كمال باشا المصري في ١٩٢٣/١٠/٩

٣- حفلة تأبين محمود شكري الآلوسي ومصطفى لطفي المنفلوطي في ١٩٢٤/٨/٢١

٤- حفلة تكريم أمير الشعراء أحمد شوقي في ١٩٢٥/٨/١٠

٥- حفلة تنشيط الشعراء الشباب في ١٩٢٧/١١/٤ وهم زكي المحاسني وجميل سلطان وأنور العطار وعبد الكريم الكرمي

٦- حفلة تكريم حافظ إبراهيم في ١٩٢٩/٦/١٧

٧- حفلة تأبين حافظ إبراهيم في ١٩٣٢/١٠/٥

٨- حفلة تأبين أمير الشعراء أحمد شوقي في ١٩٣٢/١١/٢٣

٩ - حفلة تكريم محمد الهرّاوي بك الشاعرالمصري في

١٩٣٣/٨/٢٨

١٠- تأبين السيد محمد رشيد رضا في ١٩٣٥/١٠/٣١

ويضاف إليها حفلات استقبال الأعضاء وحفلات تأبين من يتوفى منهم وهي كثيرة .

وفي مجال المهرجانات أقيم منها مايلي:

١- مهرجان المتنبي الألفي بمناسبة مرور ألف سنة هجرية على وفاته في ١٩٣٦/٧/٢٣

٢- المهرجان الألفي لأبي العلاء بمناسبة مرور ألف سنة على ولادة أبي العلاء في ١٩٤٤/٩/٢٥

٣- مهرجان الاستاذ محمد كرد علي في ١٥- ١٩/ ١١/ ١٩٧٦م، بمناسبة مرور مئة عام على ولادته.

ويضاف إليها مهرجان العيد الفضي ومهرجان العيد الذهبي ومهرجاننا الماسي هذا.

وبدأ المجمع ينشر في مجلته عثرات الأقلام باستخراجها من بعض الجرائد اليومية وتصحيحها بعد التَّثبُّت منها بالمراجعة والمذاكرة.

وكانت ترد على المجمع أسئلة واستفتاءات عن بعض الكلمات العربية والاصطلاحات الفنية، فكان يجيب عليها، وينشر بعض الأجوبة في مجلة المجمع والصحف العامة ليستفيد الناس منها، ومن أمثلة ذلك: (السيكارة: اللفيفة أو اللفافة والتتن: التبغ والدخان والبسكويت: الفرنيّة والهَشَّة) وأجاز إبقاءها على حالها (بُسْكوت على وزن فُعلول كعصفور) وتقاس عليها لفظة الشكولات على وزن فعولات كفتوحات. وأجاز استخدام لفظة (مُقْهى) المضمومة الأول للمكان الذي يداوم فيه على شرب قهوة البن.

وأما عثرات الأفمام وهي الأخطاء التي لاتظهر إذا كتبت وإنما يظهر الخطأ حين النطق من مثل (أزْمة) بمعنى الضيق والشدة فالأقلام لاتغلط إذا كتبتها حتى إذا تناولتها الأفمام بالنطق غلطت بها فقالت أزمَّة بالتشديد ومثال ذلك جَوْعان والناس يخطئون فيقولون جُوعان، وكذلك حَنْجرةَ والناس يخطئون فيقولون حُنجرة، ودير الزَّوْر والناس يخطئون فيقولون دَيْر الزُّور، وأهرام والناس يخطئون فيقولون إهرام، والرَّصاص والناس يخطئون فيقولون الرصاص بكسر الراء، وهي مفتوحة.

٢- اهتمام المجمع بالآثار

اهتم الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله بالآثار فأقنع الحكومة العربية آنئذ بضرورة تأسيس متحف للآثار العربية وغيرها فأنشئ (المتحف الملوكي) في دمشق عام ١٩١٩ وأُلحق بالمجمع العلمي العربي، وخصص له أربع غرف في المدرسة العادلية.

وبدأ المجمع بجمع الآثار المبعثرة في المدارس وفي بعض الدوائر الرسمية والمساجد، ونقل إلى المتحف ثوب المحمل الشريف والسنجق.

وشكّل لجنة مهمتها أن تسأل عن أمكنة الآثار وتشتريها أو تستهديها، وأرسل بعض أعضاء المجمع إلى أنحاء البلاد لجمع الآثار، فذهب الأستاذ عز الدين علم الدين والسيد عبده كحيل مدير المتحف إلى تدمر والقريتين، كما أرسل السيد نوري المسوتي إلى السلمية، والأستاذ عيسى إسكندر المعلوف صاحب مجلة الآثار إلى البقاع وهكذا.

وبقيت دار الآثار في المجمع حتى عام ١٩٣٧ حيث أنشئ المتحف الحديث ونقلت إليه الآثار وأصبحت دار الآثار (مديرية الآثار العامة) مؤسسة مستقلة مالياً وإدارياً

٣ - مطبوعات المجمع

عمل المجمع منذ نشوئه ومايزال يعمل على نشر أهم الكتب المخطوطة بعد تحقيقها، ولقد تمكن حتى الآن من نشر ما يقرب من ثلاث مئة كتاب.

وكانت محاضرات المجمع أول مطبوعاته، والكتاب الثاني هو الجزء الثامن من جامع التواريخ المسمى بـ « نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » لأبي علي التنوخي المتوفى ٣٨٤ هـ بتحقيق المستشرق الانجليزي مرغليوث (عام ١٩٣٠م)، ومن مطبوعاته الأولى: كتابُ بحر العوام فيما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي المتوفى سنة ٩٧١ هـ وطبع سنة ١٩٣٧ بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي ثم ديوان الوليد بن يزيد جمعه ورتبه المستشرق الايطالي ف. غبريلي وطبع سنة ١٩٣٧. ثم رسالة الملائكة للمعري عني بتحقيقه وشرحه وضبطه ومعارضته الأستاذ محمد سليم الجندي وطبع سنة ١٩٤٤م، ثم كتاب المهرجان الألفي لأبي العلاء يشتمل على وصف المهرجان الذي أقامه المجمع العلمي العربي لذكرى مرور ألف سنة على مولد أبي العلاء وما قيل فيه من القصائد والخطب (طبع ١٩٤٥)... وهكذا.

وضمت مطبوعات المجمع فهارس مخطوطات الظاهرية مصنفةً حسب العلوم وقد طبعت في أوقات مختلفة وأزمنة متباينة.

وكان أولها كتاب الأستاذ يوسف العش مدير دار الكتب الظاهرية وهو يتعلق بمخطوطات التاريخ وملحقاته وطبع سنة ١٩٤٧، ثم فهرس علوم القرآن الكريم للدكتور عزة حسن ١٩٦٢ ثم الشعر أيضاً للدكتور عزة حسن ١٩٦٤ ثم الفقه الشافعي للشيخ عبد الغني الدقر ١٩٦٣ ثم الطب والصيدلة للدكتور سامي حمارنة سنة ١٩٦٩، ثم علم الهيئة وملحقاته لإبراهيم الخوري سنة ١٩٦٩، ثم المنتخب من مخطوطات الحديث للشيخ ناصر الدين الألباني سنة ١٩٧٠، ثم مخطوطات الجغرافية وملحقاتها لإبراهيم

الخوري سنة ١٩٦٩ ثم مخطوطات الفلسفة والمنطق لعبد الحميد حسن سنة ١٩٧٠ ثم مخطوطات الرياضيات للعائدي سنة ١٩٧٣ ثم التاريخ وملحقاته الجزء الثاني للأستاذ خالد الريان ١٩٧٣ ثم مخطوطات النحو واللغة للأستاذة أسماء الحمصي سنة ١٩٧٣ ثم فهرس التصوف لرياض المالح في ثلاثة أجزاء بين عام ١٩٧٨ وعام ١٩٨٣ ثم الفقه الحنفي للأستاذ مطيع الحافظ الجزء الأول والثاني ١٩٨٠ و ١٩٨١ ثم مخطوطات العلوم والفنون للأستاذ الصباغ سنة ١٩٨٠ ثم مخطوطات الطب والصيدلة الجزء الثاني للأستاذ صلاح الخيمي ١٩٨١، ثم فهرس مخطوطات الأدب الجزء الأول والثاني لرياض مراد وياسين السواس ثم مخطوطات علوم القرآن الجزء الأول والثاني ١٩٨٣ و ١٩٨٤ للأستاذ الخيمي ومخطوطات المجاميع الأول والثاني ١٩٨٤ والمنتخب من مخطوطات المدينة المنورة لعمر رضا كحالة ١٩٧٣، ثم الفهرس العام لمخطوطات الظاهرية (١٩٨٧م).

ومن الفهارس الأخرى التي اهتم المجمع بطبعها: فهارس مجلة المجمع التي أعدها الأستاذ عمر رضا كحالة بدىء بطبعها سنة ١٩٥٦ في أربعة أجزاء، ثم طبع الخامس للأستاذ محمد خير محمد سنة ١٩٨٧ ثم الجزء السادس وضعته غزوة بدير سنة ١٩٨٧.

ومن الفهارس أيضاً فهارس مجلة المقتبس التي أصدرها محمد كرد علي رحمه الله وضعه رياض مراد سنة ١٩٧٧.

ومن الفهارس أيضاً تصنيف العلوم والمعارف وضعه الأستاذ يوسف العش ووسعته السيدة سماء المحاسني سنة ١٩٧٩.

واتجه المجمع اتجاهاً آخر حين بدأ بطبع المصطلحات العلمية فطبع المصطلحات الحديثية للدكتور نور الدين العتر، والمصطلحات الأثرية للأستاذ يحيى الشهابي وكذلك المصطلحات الحراجية للأمير مصطفى

الشهابي، ومصطلحات الفنون للدكتور عفيف بهنسي، هذا بالإضافة إلى مشاركته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام كمعجم الكيمياء ومعجم مصطلحات الجيولوجيا ومعجم النبات سنة ١٩٧٧.

ولعل أهم مشروع أشرف عليه المجمع هو مشروع تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر. وقد كان اهتمامه به مبكراً وذلك حين أعطى الأستاذ محمد كرد علي بعض أجزائه إلى العلماء ليحققوها ثم يتولى المجمع طبعها، وكان الجزءان اللذان حققهما الأستاذ صلاح الدين المنجد هما باكورة إنتاج المجمع من هذا الكتاب الضخم، سنة ١٩٥١ و ١٩٥٤ ثم جاء بعدهما الجزء العاشر الذي حققه الأستاذ الشيخ أحمد محمد دهمان رحمه الله وطبع سنة ١٩٦٣.

وتابع المجمع الاشراف على تحقيق تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر وتقوم الاستاذة سكينة الشهابي بالتحقيق وقد صدر من التاريخ عشرون مجلداً .

(٥)

أعضاء المجمع

يتألف المجمع من عشرين عضواً عاملاً ومن عدد غير محدود من الأعضاء المراسلين وينتخب من بين أعضائه العاملين رئيساً ونائب رئيس وأمينا للمجمع.

وقد تولى رئاسة المجمع خلال الخمس والسبعين سنة الماضية من العلماء خمسة هم:

١ـ الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله الذي تولى رئاسة المجمع من

سنة ١٩١٩ إلى سنة ١٩٥٣ .

٢ ـ الأستاذ خليل مردم بك رحمه الله الذي تولى رئاسة المجمع من سنة ١٩٥٣ إلى سنة ١٩٥٩.

٣ ـ ثم الأمير مصطفى الشهابي رحمه الله وقد تولى رئاسة المجمع من سنة١٩٥٩ إلى سنة ١٩٦٨.

٤ ـ ثم الأستاذ الدكتور حسني سبح رحمه الله الذي تولى رئاسة المجمع من سنة ١٩٦٨إلى سنة ١٩٨٦.

٥ ـ ثم الدكتور شاكر الفحام الذي تولى رئاسة المجمع سنة ١٩٩٣م، فسح الله في أجله وسدد خطاه.

وأما بقية الأعضاء العاملين فالمتوفَّوْن منهم بلغ عددهم ستة وأربعين عالماً وأما الأعضاء الحاليون لهذه الدورة فسح الله في مدتهم فهم:

الأساتذة:	بدء العضوية
١ ـ الدكتور أمجد الطرابلسي	١٩٦١.
٢ ـ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع	١٩٧١.
٣ ـ الدكتور عبد الرزاق قدورة	١٩٧٥.
٤ ـ الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦.
٥ ـ الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٧٦.
٦ ـ الدكتور محمد إحسان النص	١٩٧٩.
٧ الدكتور محمد مروان محاسني	١٩٧٩.
٨ ـ الدكتور عبد الحليم سويدان	١٩٨٣.

الأساتذة	بدء العضوية
٩ ـ الدكتور عبد الله واثق شهيد	١٩٨٨.
١٠ ـ الدكتور محمد بديع الكسم	١٩٨٨.
١١ ـ الدكتور مختار هاشم	١٩٨٨.
١٢ ـ الدكتور محمدزهير البابا	١٩٨٨.
١٣ ـ الدكتور عادل العوا	١٩٩١.
١٤ ـ الدكتور عبد الوهاب حومد	١٩٩١.
١٥ ـ الأستاذ جورج صدقني	١٩٩١.
١٦ ـ الأستاذ سليمان العيسى	١٩٩١.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

من اللغة إلى الفكر

د. حسن حنفي

عادة مايظن الناس أن اللغة مجموعة من الألفاظ والتراكيب، تصح أو تشذ، تحسن أو تقبح، تنقى أو تختلط وكأن اللفظ غاية في ذاته، وأن اللغة مجرد أصوات. وقد يقوّي ذلك علم اللسانيات الحديث بتحليل اللغة إلى مقاطع صوتية أو بنيات يتم تركيبها أو تفكيكها، لافرق بين لغة ولغة. فالكل يخضع لقوانين علم اللغة العام. وغُلّب علم فقه اللغة القديم على فروع علم اللغة الحديث: علم نفس اللغة، علم اجتماع اللغة، علم انتروبولوجيا اللغة، علم تاريخ اللغة... الخ.

أصبحت اللغة شكلاً بلا مضمون، لفظا بلا معنى ، صوتا بلا إشارة إلى عالم خارجي أو وقائع مادية وكأن الإشارة مجرد شفرة من شخص إلى آخر لإيصال معان دون أن تشير إلى وقائع، وإن كانت توحي بحقائق. وأصبح الكلام يؤدي وظيفة ملء الفراغ بين الإنسان ونفسه أو بين الإنسان والآخرين، مجرد صراخ للتعبير عن النفس وإثبات الوجود الذي لايلتفت إليه أحد، أو تخفيفاً للتوتر أثناء حدة الانفعالات في الفرح أو الحزن، والعالم الخارجي لاوجود له ومُسقطٌ من الحساب.

ليست قضية اللغة قضية مصطلحات وكيفية نقلها من لغة إلى لغة عن طريق الترجمة، تحويل المعنى إلى لفظ أصيل أو التعريب، النقل الصوتي للفظ. وينشأ التفاخر والتناحر بين الطريقين إلى حد السخرية . ويتبارى علماء اللغة في اختيار هذا الطريق أو ذاك. وتتنافس المجامع اللغوية في تفضيل

البعض النقاء اللغوي على العجمة، وأخرى في تفضيل الاستعمال على الأصالة اللغوية العتيقة. كما أن قضية الترجمة أو التعريب تجعل مهمة اللغة مجرد نقل حضارة وافدة إلى حضارة موروثة، تجعل الوافد هو الأصل، والموروث هو الفرع. المعنى من الخارج واللفظ من الداخل، الإبداع من الآخر والنقل للأنا. فتلهث اللغة وراء المعاني الجديدة، وتتبع الحضارة الناقلة الحضارة المبدعة، ويُصبح دور اللغة العربية كحائك الثياب، الجسم من الخارج والثوب الفضفاض أو الضيق من الداخل.

وتجتهد مجامع اللغة العربية في وضع القواميس والمعاجم حرصاً على نقاء اللغة، والتمييز الدقيق بين الألفاظ، واستخراج ألفاظ قديمة لاستعمالات جديدة أو قبول الألفاظ الجديدة الوافدة بعد أن تعربت بالاستعمال في هذا القرن. وهو توتر في كل معجم بين الأصيل والدخيل. ويتم تحديد معاني الألفاظ والكلمات، كل منها مستقل عن الآخر، في وحدات متفرقة، وجزيئيات متجاورة. ويغيب السياق الذي قد يعطي اللفظ المفرد معناه. كما يغيب تطور معنى اللفظ في التاريخ وتغير استعماله من مجتمع إلى آخر. فندرت القواميس التاريخية للغة العربية، وعزت معاجم اللغة للاستعمال، وتباين معاني الألفاظ من قطر عربي إلى آخر.

واللفظ عرفي في أحد جوانبه. واللغة للاستعمال. وهي لغة الحياة اليومية التي يتم بها التفاهم والاتصال. والألفاظ لها حياة كما قيل «حياة الكلمات». اللغة بطبيعتها ضد التقنين والتعقيد والتنميط. فهذه عمليات منطقية خالصة يتم بها تجميع الجزئيات والمفردات في كليات وقوانين عامة. ومايند عن التقعيد يظل شاهدا وقاعدة بمفرده كما هو الحال في وضع الشواذ في اللغة. ومادام العربي البدوي الصحراوي قد نطق بها فانها تصبح قاعدة على العربي الحضري المدني في البصرة أو بغداد قديماً أو في دمشق أو

القاهرة حديثاً. فالقاعدة استثناء، والاستثناء قاعدة. وهي قضية القياس في اللغة بين الاثبات والنفي. وهي أيضاً قضية القياس في الشرع بين الوجوب والاستحالة.

وبدأت ازدواجية اللغة بين الفصحى والعامية. وانشغلت المجامع بالدفاع عن الفصحى، وانبرى الزجالون للدفاع عن العامية. وتتسع الشقةبين العلماء والشعراء الشعبيين، بين الفقهاء والزجالين. وتتسع المسافة بين لغة الكتابة والقراءة من ناحية ولغة الحديث والتخاطب من ناحية أخرى. وبدأ اللحن في الفصحى عند الأساتذة والمثقفين، وفي خطب الرؤساء والسياسيين لأنهم يقرؤون نصاً لايتحدثون به، وينطقون لغة لايتكلمون بها. واستقرت الفصحى على البرامج الدينية والترتيلات الإذاعية المسموعة والمرئية عن الاسلام والعروبة. أما التمثيليات والأعمال الفنية الشعبية فهي باللغة العامية. وأصبح المتكلم بالفصحى رجل دين أو أزهري أو درعميّ أو من الجماعة الإسلامية أو إخواني أو متحذلق. ونشأت دعوات في الغرب لتقنين اللغة العربية الحديثة، لغات الصحافة والكتابة النثرية الشائعة كبديل عن العربية الفصحى وكحل وسط بين الفصحى والعامية. ودون تأييد لهذه الدعوة فإنها تمارس بالفعل، وواقعة عند كل المتحدثين والمتخاطبين.

واقتصر دور مجامع اللغة العربية على حماية الفصحى ضد طغيان العامية. فانغلقت على نفسها تبحث في أمهات الكتب القديمة عن حلول المشاكل المعاصرة أو تؤبن الراحلين الذين أفنوا عمرهم في خدمة اللغة، وتصوّت على الأحياء الداخلين إلى مجمع الخالدين. وأصبحت صورة المجامع في الذهن الشعبي، العلماء الكبار، أصحاب العمم الملفوفة أو أصحاب الطرابيش الحمراء، عربا وعجما، مواطنين وأجانب، أعضاء ومراسلين.

وانضمت إلى الجمعيات العلمية لسائر العلوم الطبيعية الكيمياء

والطبيعة والأحياء..الخ. وهي جمعيات علمية متخصصة لايدخلها إلا المتخصصون فأصبحت اللغة صنعة، وأصبح الكلام حرفة، وتحولت اللغة من السوق إلى القاعة، ومن الطبيعة إلى الصنعة، يسري عليها مايسري على الشعر من قانون للتطور «طبيعة فصناعة فصنعة فتصنع».

والحقيقة أن اللغة ليست مجرد شكل كما يقول المحدثون بل هي مضمون كما يقول القدماء. لفظ ومعنى، معنى وشيء يشير إليه اللفظ وكما قال هوسرل مؤسس الظاهريات في تعريف فعل «يفكر» بثلاثة أشياء: يتكلم وهو اللفظ، يفكر وهو المعنى، والشيء موضوع التفكير. فاللغة عالم من المعاني كما هو الحال في «علم الدلالة». وهو عالم من الاشارات كما هو الحال في «علم الإشارة». وإذا كانت الدلالة معنى فإن الإشارة توحي بفعل من أجل الاتيان بشيء دون استعمال صيغة الأمر بالضرورة فاللغة عالم مركب من الأصوات والدلالات والأفعال.

وفي كل لغة عنصر ثابت وعنصر متحول. الثابت يضمن لها البقاء في التاريخ والاستمرارية عبر الأجيال. والمتحول يضمن لها التجدد المستمر والتكيف طبقا لمعطيات الواقع المتغير. الثابت أشبه بجذع الشجرة والمتحول أشبه بالأوراق والثمار التي تسقط في الفصول والمواسم كي تعود من جديد كل عام. واختلف فقهاء اللغة أي عنصر من عناصر اللغة الثلاث هو الثابت وأيها المتحول. هل يثبت اللفظ فيتغير المعنى أم يثبت المعنى ويتغير اللفظ؟ هل يثبت الشيء، فالطبيعة لاتتغير، الأرض أرض، والسماء سماء، والماء ماء، والهواء هواء، وتتغير الألفاظ طبقاً للغات وحياة الكلمات وتتغير المعاني طبقا للتصورات والنظريات وتقدم المعارف والعلوم؟

وقد تعرض القدماء للثابت والمتحول في نظرية المعاني الثلاثة للفظ. فكل لفظ له معنى اشتقاقي يبين نشأة اللغة من تقليد أصوات الطبيعة عواء

القط ونباح الكلب وزقزقة العصافير. وله معنى عرفي في الاستعمال اليومي، فالعادة هي التي تعطي المعنى. وتشمل العادة الاتفاق والمواضعة والعرف والتقاليد. وله المعنى الاصطلاحي وهو المعنى الجديد الذي يرتبط بالاشتقاق والعرف مع تثبيت أحد جوانب المعنى نحو معيار دائم. فالمعنى الاشتقاقي مرتبط بجذر اللفظ في الطبيعة وهو أقرب إلى الثبات منه إلى التحول. والمعنى الاصطلاحي أيضاً هو المعنى الثابت المعياري الذي لايتغير. والمعنى العرفي هو المتغير طبقاً للاستعمال من عصر إلى عصر وإن لم يكن من فرد إلى فرد أو من جيل إلى جيل.

ويبدو أن مجامع اللغة العربية أقرب إلى تغليب الثابت على المتحول نظرا لحرصها على تطابق اللفظ مع المعنى المعياري، وتطابق اللفظ مع الشيء أو بالأحرى تطابق الشيء مع اللفظ إذا كان الشيء جديداً فاللفظ هو الثابت والمعنى هو المتغير في تصور مجامع اللغة العربية الأمينة على بقاء الألفاظ واستمرارها في التاريخ حرصاً على نقاء اللغة وحياة الألفاظ في المعاجم والقواميس باسم «لسان العرب». ويُزاح الاستعمال جانباً لأنه ينال من ثبات اللفظ خاصة في مجتمع عربي متعدد الأعراف والتقاليد، من المحيط إلى الخليج، وفي إطار من الوحدة العربية التي تجسدها اللغة، وبباعث القومية العربية التي أحاطت بها الأخطار حتى توارت عن الأنظار في الخطاب السياسي وفي الواقع العملي. أما المعنى فإنه أقرب إلى ثبات اللفظ. فهو الوحيد الباقي كطرف للمعنى بعد استبعاد الاستعمال.

والحجة في ذلك أن تغليب المتحرك على الثابت فيه ضياع لثبات اللغة التي هي حامل الوحي، لغة الضاد، لغة القرآن الكريم، أداة التعبير عن الوحي الإلهي القديم المدون في اللوح المحفوظ، ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. كما أن بقاء اللغة ثابتةً في التاريخ يحمي الأمة من الضياع

والاغتراب. فاللغة هي الهوية الثابتة في الوعي التاريخي وان تغيرت الثقافات وتعددت الحضارات. والحقيقة أن هذا افتراض نظري صرف، وحجة إنشائية. فالوحي مقروء ومكتوب ومحفوظ ومفهوم ومُفسر ومؤول. وأنزل في مكان وزمان معينين لشعب بعينه بلغة محددة وفي ثقافة خاصة هي الثقافة العربية قبل الإسلام. وكانت اللغة العربية، ليست فقط لغة القرآن، بل لغة مستعملة بين الأعراب، تنطق بها القبائل، وتوحي بأعراف وعادات ومعانٍ يعرفها العرب . فلغة القرآن أيضاً للاستعمال في بيئة ثقافية محددة. وللخطاب القرآني مستويات عدة بين الثبات في العلم الإلهي والتحول في الفهم الإنساني بل ان الخطاب القرآني ذاته في العلم الإلهي إحدى مراحل الوحي الذي بدأ لآدم حتى محمد على فترات من الزمن. ولكن شدة الإيمان وضياع العرب المعاصرين جعلهم يتمسكون بالثبات حرصاً على وجودهم في التاريخ ووقاية لهم من تحولات الزمن. وإذا كانت الثقافة الغربية قد غلّبت المتحول على الثابت، وهي تمثل تحديا لنا، وتعزز آثاراً سلبيةً على ثقافتنا وسلوكنا، فالأولى كرد فعل أن تكون لنا خصوصيتنا وثقافتنا التي تغلّب الثابت على المتحول. ﴿كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾، ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾.

والحقيقة أن التراث اللغوي القديم كله قد حاول الجمع بين الثابت والمتحول في اللغة. ففي علم أصول الفقه، للقرآن معانٍ أولية هي المعاني الثابتة التي يمكن ترجمتها إلى اللغات الأخرى غير العربية. أما المعاني الثانوية للألفاظ فهذه خاصية اللغة العربية وحدها ولايمكن ترجمتها، وهي الخاصة بالوجدان العربي، وبالجمال العربي، وبالتصور العربي. كما بين علم الأصول في مبحث الألفاظ ثبات المعنى وحركته في ثنائيات الحقيقة والمجاز، الظاهر والمؤول، المحكم والمتشابه، المقيد والمطلق، المبين والمجمل.... الخ. وعلى

الفقيه أن يقوم بالانتقال من المحكم إلى المتشابه لاعطائه مزيدا من حرية الفكر والقدرة على الاستنباط لصالح الزمن الجديد. واستعمل الفلاسفة والمتكلمون خاصة المعتزلة التأويل من أجل تحريك المعنى الحرفي بعيدا عن اللفظ الثابت الأول إلى معنى آخر يتفق مع العقل عند المتكلم والفيلسوف، ومع المصلحة عند الأصولي والفقيه. أما الصوفية فإنهم رفعوا اللفظ كلية باعتباره سجنا للمعنى، وقيداً للحقيقة، وآثروا لغة الصمت أو لغة الإشارة الرمزية الأكثر اتساعا والتي هي أقرب إلى الحركة منها إلى الثبات. فالتصوف حركة، والطريق إلى الله تحرك. بل ان الله نفسه حركة في القلب، وسيلان دائم في الشعور.

الكلام إذن أكثر اتساعا من اللفظ، وأكثر رحابة من الحرف والكلمة والأداة. الكلام إيحاء وإيماء وإشارة وعلامة مثل حركات الوجه، وغمز العين، وهز الرأس، ومط الشفتين، وتحريك الحواجب، وإخراج اللسان، والتنهد بالرئتين، وتحريك اليدين والقدمين بل والجسد كله كما هو الحال في التمثيل الصامت (البانتوميم) والرقص الإيقاعي أو الباليه. والصورة الفنية أبلغ من العبارات التقريرية الوصفية. لذلك اعتمد القرآن على التصوير الفني أكثر من اعتماده على الخطاب الأمري، فالصورة الفنية تُقنع، والخطاب الأمري ثقيل على النفس. والقصص القرآني أبلغ من العظات المباشرة التي لاتؤثر في النفس، وتُنسى بمجرد سماعها.

وفي الثقافة الغربية، الكلمة شخص، وهو السيد المسيح «كلمة الله». والكلمة وجود كما هو الحال في معنى Logos عند فيلون ويوحنا. واللغة عند هيدجر «منزل الوجود»، يسكن فيها الوجود ويخرج منها. وفعل الكينونة ليس مجرد فعل بل هو الوجود المتضمن فيه. يظهر في اللغات الأجنبية ولايظهر في اللغة العربية لأن الوجود متضمن في الكلام ولايحتاج

إلى إثبات كما لاحظ الفارابي من قبل في «كتاب الحروف».

فإذا كانت اللغة بمثل هذا الاتساع فماهو برنامج مجامع اللغة العربية للتحول من اللغة إلى الفكر، ومن الفكر إلى العالم؟

١ ـ تحليل الخطاب العربي المعاصر السياسي، والديني، والفلسفي، والاجتماعي، والإداري، والقانوني، والتاريخي من أجل معرفة إلى أي حد يدل على شيء أو يفيد معنى أم أنه مجموعة من الألفاظ المنغلقة على ذاتها يتحول فيها اللفظ إلى معنى وإلى شيء، فاللفظ هو كل شيء أو على أقصى تقدير يُحمّل بأكبر قدر ممكن من الانفعالات في أقصى درجات حدتها لملء الفراغ اللغوي في اللفظ، فيصبح إنشاءاً وخطابة وصخبا وصراخاً. فالخطاب السياسي العربي المعاصر يعد ويتوعد، يُمنّي ويتمنّى، يرهّب ويرغّب، يكشف على السطح ويتستر في العمق. يخاطب الوجدان البطولي وكأنه خطاب عنترة بن شداد أو طارق بن زياد. الانفعال فيه فعل، والإنشاء إخبار، والتمني تقرير. لافرق في ذلك بين الخطاب السياسي أو الخطاب الديني أو الخطاب الإداري. وأحياناً ينغلق الخطاب على نفسه في مجموعة من الألفاظ وكأنها توحي بذاتها كما هو الحال في الايديولوجيات القطعية والمذاهب المغلقة دينية أو سياسية، سلفية أو ماركسية أو قومية أو حتى ليبرالية. ثم توجيه هذا الخطاب إلى عالم الأشياء والوقائع لإعادة قياسه عليه حتى لايصبح فضفاضا أكثر منه أو ضيقا عليه أقل منه. وبدلا من أن يمتلئ بالانشائيات أو بالصراخ، حتى لقد وصف البعض العرب بأنهم ظاهرة صوتية، فإنه يتأسس على واقع احصائي دقيق حتى تستطيع الكلمات أن تصبح وقائع ، ويتحد اللفظ بالشيء، والكلام بالعالم. ويقترب الخطاب الأدبي من الخطاب العلمي بدلا من هذه الهوة الشاسعة في الفكر العربي المعاصر بين الإنشاء والخبر.

٢ ـ التحول من تحليل الخطاب المدون إلى تحليل الخطاب الشفاهي في ثقافة بدأت شفاهية وكان التدوين فيها متأخراً. ومازال مركزها يحفظ شفاهياً، ومازال علمها في شعب تبلغ الأمية فيه ٦٥ ٪ ، ينقل شفاهياً، وكما أن للخطاب المدون قواعده وتراكيبه اللغوية فإن للخطاب الشفاهي آلياته وأساليبه.

وهنا تظهر أهمية الأمثال العامية وسير الأبطال الشعبيين المختلطة بسير الصحابة كملَوّن رئيسي للوجدان الشعبي، يستمد منها قيمه ومثله، ويستشهد بها في أحزانه ومصائبه أكثر مما يلجأ إليها في أفراحه وانتصاراته. فالنصر لا يحتاج إلى تبرير مثل الهزيمة. النص الديني والمثل الشعبي يؤديان نفس الوظيفة، الأول كثقافة عامة والثاني كثقافة شعبية، الأول من الله، والثاني من تجارب البشر وحكمة الشعوب. الوحي والطبيعة نظام واحد، التنزيل والتأويل كما قال القدماء. تحيا اللغة في الذاكرة الجمعية ويستدعيها الناس كمجموعة من الأقوال المأثورة، اللغة ما يتحدث به الناس، وما تثير في ماضيهم من نخوة إذا ما تعثر الحاضر، وضاق الحال.

٣ ـ إن مهمة مجامع اللغة العربية ليست فقط إقرار ماهو موجود وصفاً وتحليلاً من استعمالات اللغة وحديث الناس، اللغة كما تتخلق في الأسواق والطرقات بالإضافة إلى لغة المعاجم والقواميس ولكن أيضاً توجيه اللغة واستبدال الألفاظ. فعالم اللغة مصلح اجتماعي يساهم بدوره مثل السياسي والمصلح الديني والمثقف الثوري في التغير الاجتماعي عن طريق فك رموزه وإعادة توجيه المسار اللغوي. فالألفاظ تهرم وتشيخ وتعجز أحياناً عن التعبير عن المعاني المستجدة والوقائع المتغيرة وتبدل مستوى الثقافات. مثلاً، الحلال والحرام لفظان تشريعيان في الفقه القديم. ولهما مصادرهما في الأدلة الشرعية الأولى. ولما كان الإسلام دين الفطرة، وكانت صبغة الله

أحسن صبغة، وأصبح التصورالشعبي لهذين اللفظين الموروثين يعنيان غير المقصود منهما، ومترادفين للأمر والنهي في مجتمع مقهور يئن من الأوامر والنواهي ويتوق إلى الحرية ويسعى إلى التحرر فإنه يمكنه أيضاً القيام بعملية استبدال لغوي مثل طبيعي وغير طبيعي ، فطري وغير فطري. فالحلال سلوك طبيعي فطري والحرام سلوك غير طبيعي وغير فطري. يساعد اللفظان الجديدان على عملية التحرر ويساهمان في التخلص من نفسية الإنسان المقهور. ولا يصبح اللفظان القديمان في يد الحاكم القاهر، يستعملهما للإيحاء بالطاعة العمياء له. فلا فرق بين الأوامر والنواهي الإلهية والأوامر والنواهي السياسية. فيتوحد في ضمير الناس الله والسلطان.

مثال آخر لفظ «الدين» الموروث القديم بالرغم من وجوده في الأدلة الشرعية الأولى فإنه أصبح محملا بمعان تخالف القصد منه. فأصبح الدين في الموروث الثقافي يعادل العقائد والقطعية، والشعائر والشعائرية، فالدين عقيدة وشريعة. وأصبحت العقائد مقدسات وليست اجتهادات بشرية في فهمها، وتحولت الشريعة إلى مظاهر خارجية «طقوس» كما هو الحال في الديانات السابقة. وانفصلت العقيدة عن الفكر، كما انفصلت الطقوس عن العمل الصالح. وهنا يأتي عالم اللغة من أجل المساهمة في عملية الاستبدال اللغوي ليحل «الايديولوجية» أو المذهب السياسي ليعبر عن مضمون التوحيد وهو أنه تصور عام نظري وعملي للكون والمجتمع والفرد في السياسة والاقتصاد والأخلاق والقانون والاجتماع والجمال. وبهذه الطريقة قد يخف الصراع الحاد بين السلفيين أنصار اللغة القديمة وبين العلمانيين أنصار اللغة الجديدة، ويصبح عالم اللغة هو الأمين على تجديد اللغة والمسؤول عن وحدة الثقافة.

٤ ـ وهناك مجموعة أخرى من الألفاظ فرضتها حياتنا المعاصرة وكثر

استعمالها إبان حركة التحرر العربي وإن خفتت الآن في الخطاب السياسي السائد. مثل الأرض والوطن، الحرية والاستقلال، الديموقراطية والتعددية، العدالة والمساواة، النضال والمقاومة، حقوق الإنسان. ونظراً لأنها في أصلها وافدة في المائتي عام الأخيرة منذ فجر النهضة العربية فإنها لم تستطع أن تحفر طريقها في الثقافة لأن الألفاظ الموروثة تمثل سداً منيعاً في الوجدان القومي تمنع من اختراقه مثل الأمة والجماعة، والشورى والجهاد، والرزق، والصحابة، والطاعة لأولي الأمر... إلخ.[1] وهنا يظهر عالم اللغة ليجدد من معاني الألفاظ الموروثة حتى يجعلها أكثر قدرة على قبول الألفاظ الحديثة. فالحرية لفظ قديم تقال في مقابل العبودية في مجتمع مازال الرق فيه سائداً ولكنها تفيد الآن حرية الأفراد من القهر وحرية الشعوب من الاستغلال الداخلي والاستعمار الخارجي. كما أن مفاهيم العدالة والمساواة تعبر عن حاجات الناس ومطالبهم وتصطدم بمفاهيم موروثة من الدين أو من الثقافة الشعبية مثل الرزق، والقسمة والنصيب والرزق المقدر وجعل الناس طبقات. فتمنع الألفاظ القديمة من التغير الاجتماعي وتُحاصر الألفاظ الجديدة على أنها وافدة مادية إلحاديّة. هنا يأتي عالم اللغة ليقوم بتقليل المسافة بين اللغتين الموروثة والوافدة، ويظهر المعاني الجديدة المتضمنة في الألفاظ القديمة قدر الإمكان. كما يبين مدى تعبير الألفاظ الجديدة عن متطلبات العصر ومطابقتها للمعاني المتجددة للألفاظ القديمة حتى يُرفع الحصار عنها، ويبدأ غرسها في الثقافة الشعبية أسوة بالألفاظ القديمة، وحتى يقوم الزرع الجديد النامي مقام الزرع القديم اليابس. وكذلك الأمر في ألفاظ الوطن والشعب، واستثارة الذاكرة الجمعية لاستعمالات لفظ الوطن وتراثه مثل رسالة أبي

---

(١) حسن حنفي: التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، الطبعة الأولى، المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة ١٩٨٠، منطق التجديد اللغوي ص ١٢٣ - ١٥١.

حيان التوحيدي في الحنين إلى الأوطان والأقوال المأثورة مثل ـ حب الوطن من الإيمان ـ حتى تقل المسافة بين المفاهيم الموروثة عن الأمة والجماعة والديار وبين المفاهيم المعاصرة التي ذاعت ومازالت محاصرة من الجذور مثل الوطن والأرض والهوية والثقافة. ويقوم عالم اللغة أيضاً باستخراج أدبيات مصر والشام وفلسطين والقدس عن فضائل الأماكن والشعوب مثل «فضائل مصر» للكندي من أجل إقالتها من عثرتها، ونهضتها من كبوتها وحتى تظل الشام وفلسطين والعراق حية في وجدان الأمة من خلال استعمال الألفاظ.

٥ ـ وإذا كنا نحاول منذ فجر النهضة العربية إثارة الفكر وبداية حركة تنوير جديد فإن دور اللغة هنا يكون رئيسياً في إثارة معاني الألفاظ ونشر الغبار التاريخي عنها أو استعمال ألفاظ جديدة لتحريك المياه الراكدة، وبعث الناس على التساؤل حول صحة الأفكار الشائعة والمسلمات الاجتماعية وذلك مثل ألفاظ الطبيعة، المادة، الالحاد، الجنس، الدين، السلطة، وهي أقرب إلى المحرمات في الثقافة الشعبية، لا يجوز الاقتراب منها أو تحليلها مثل «التابو». وفي مقابل ذلك تقبل ألفاظ أخرى مسموح الحديث عنها مثل الله، والروح، والإيمان، وألقاب الزعماء. فالطبيعة في الذهن الشعبي لا قوام لها من ذاتها، ولا قانون ضابط لها، فانية، أتت من لا شيء وتنتهي إلى لا شيء، تأتي من عدم وتنتهي إلى عدم. وبهذا المفهوم لا يمكن السيطرة عليها أو معرفة قوانينها أو تعميرها. وقد اتُّهم الطبائعيون قديماً بالالحاد لأنهم حاولوا جعلها باقية، منظمة، عاقلة، فاعلة. أما لفظ المادة فمازال لفظاً مداناً بنوع من التطهر الفردي والاجتماعي لأنه غير مقرون بالروح، ويؤدي إلى إنكار وجود الله كما قال الأفغاني في الرد على الدهريين « وكما يفعل بعض الدعاة في الرد على مادية القرن العشرين وإلحاده. والطبيعة خاضعة لقانون ينتظم حوادثها، وموضوع للتأمل والتفكر لادراك دلالتها وجمالها كما فعل

ابن رشد في فلسفته واقبال في شعره. والمادة ليست قبحا، وليست ضد الروح بالضرورة وقديماً عرّف النظام الروح بالجسم المتحرك، والإنسان بالبدن المرئي.

وحديثاً حاول البعض رد الاعتبار إلى النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية. وقد حلل الأصوليون العلل المؤثرة أي المادية في سلوك البشر لمعرفتها والقياس عليها. وحاول التيار العلمي العلماني في الفكر العربي المعاصر الدعوة للعلم الطبيعي والمجتمع المدني، وتبرير نظرية النشوء والارتقاء، وتبرير المادة الغربية ولكنه ظل محاصراً مطرودا لأنه لم ينفذ بالجذور. أما الالحاد فإنه تيار في الفكر الغربي يدعو إلى التنزيه ضد التجسيم والتشبيه، ويرفعه أن يجعل الله متجسداً، حالا في التاريخ، أو متكلما لشعب خاص دون غيره أو أن يقام له تمثال أو ترسم له صورة، أو أن يكون أداة للقهر في يد رجال الدين. أما الجنس والدين والسلطة فهي المقدسات المحرمات في الثقافة الشعبية بالرغم من التفكير فيها في الأعماق دون الافصاح، وبالرغم من أنها بواعث للسلوك الفردي والجماعي. مهمة عالم اللغة تحليل مثل هذه الألفاظ من أجل خلق حركة تنوير ابتداء من الحفر في اللغة.

٦ ـ اللغة في النهاية ليست فقط مجرد أداة لتوصيل المعرفة بل هي «اقتضاء فعل» بمصطلح الأصوليين القدماء. بل ان الاخبار نفسه فعل معرفي لتغيير الذهن. اللغة باعث على الفعل، ودافع على السلوك، وإلا كان القول طائراً في الهواء، مجرد أصوات وملء فراغ. وفي عام المجاعة كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص « الغوث، الغوث. النجاة النجاة » لفظان مكرران لا يعطيان خبراً بل يقتضيان فعلاً. وكلما كثر القول قل الاقتضاء، وكلما زاد الكلام نقص الفعل. لذلك كان الرسول يتهجد ويتعبد ليلاً تأويلاً

للقرآن. وعازف الآلة الموسيقية مفسر للنوتة الموسيقية بعزفه.

والآيات القرآنية التي تبدأ بأفعال القول مثل « قل » أو « قولوا » إنما هي اقتضاء فعل. ومن ثم يتحقق ما نادى به محمد عبده من قبل «ماأكثر القول وأقل العمل». ويدخل عالم اللغة في معارك الثقافة، ويحول مسارها من القول إلى الفعل، ومن الكلام إلى العمل عن طريق حفره في اللغة وتحليل الألفاظ وليس كداعية سياسي أو مصلح ديني. فالفعل إحدى مقولات اللغة فيما يسميه علماء اللغة المعاصرون « جمل الاقتضاء » Performante statements.

قد يقال إن الانتقال « من اللغة إلى الفكر » تحويل لعالم اللغة إلى ميدان السياسة وإخراج لمجامع اللغة العربية من قاعاتها العلمية وعملها الأكاديمي إلى ميدان خارج عن اختصاصها. والحقيقة أن ذلك اختيار. فإما أن يظل البحث العلمي مجرداً عن سياقه الاجتماعي والتاريخي وإما أن يكون جزءاً من نهضة أمة وتطور اجتماعي وتحليل لثقافة الناس واستعمالاتهم اليومية للغة للقضاء على موانع التقدم والمساهمة في إرساء قواعد التقدم ومنها اللغة. فاللغة قد تكون ستراً أو كشفاً، حجاباً أو استنارة، ضيقاً أو اتساعاً.

وقد يقال أيضاً ان هذه المهمة خارج إطار علم اللغة بل أدخل في علم اجتماع الثقافة أو انتروبولوجيا الثقافة. والحقيقة أن الثقافة لغة. وأن اللغة أصبحت علماً شاملاً بل هو العلم الإنساني بالأصالة. فهناك علم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة الانتروبولوجي، وعلم اللغة التاريخي، وعلم اللغة الأخلاقي، وعلم اللغة السياسي، وعلم اللغة القانوني. فلماذا يقتصر دور المجامع على علم فقه اللغة وحده ؟

إن دور المجامع يتطور بتطور العلوم وإلا توقفت المجامع على فقه اللغة،

وتطورت علوم اللغة، فتزداد المسافة اتساعاً بينهما، ويضيع الناس، وتصبح لغة التداول متأرجحة بين الخاصة والعامة.

وقد يقال أخيراً إن هذا الدور الجديد للمجامع يمارسه البعض وان لم يكن على نطاق واسع. وقد يحتاج ذلك تصديقاً للحكم إلى دراسة مجلات المجامع عن طريق تحليل المضمون لمعرفة مدى تعبيرها عن دور المجامع القديم أو دورها الجديد. ومعرفة النفس خير وسيلة لمعرفة العالم. ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾. ﴿وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾.



خطط دمشق

عند الحافظ ابن عساكر في تاريخه

الدكتور صلاح الدين المنجد

قلّ من العلماء المسلمين من أوتي فيما ألفه مالا حدّ له من الثناء الواسع والتقدير الكبير مثل الحافظ (ابن عساكر) صاحب (تاريخ دمشق) الثمانين مجلدة.

لقد كتب ولده ترجمة أبيه فقال: ولد في المحرّم أول الشهر سنة تسع وتسعين وأربعمئة (٤٩٩) وهو علي بن الحسن بن هبة الله. وعساكر لقب واحد من أجداده وسمع الحديث من كبار المحدثين وطاف البلاد ليسمع الحديث. فأقام في بغداد خمسة أعوام يحصل العلم ويستمع إلى كبار المحدثين. وكذلك سمع الحديث في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وأصبهان، ونيسابور، ومرو، وهراة، والكوفة. وطاف في مدن العالم الاسلامي يومذاك يحدث حديث رسول الله. فحدّث في بغداد والحجاز وأصبهان ونيسابور، ووضع معجماً لشيوخه الذين أخذ عنهم، فبلغ عددهم ألفاً وثلاث مئة شيخ بالسماع، وبضعاً وثمانين امرأة، جعل لهنّ معجماً صغيراً سمعه الحافظ الذهبي.

وقد وصفه من كتب الحديث عنه فقالوا: كان فهماً، حافظاً، ذكياً، متقناً، بصيراً بشأن الحديث. لايشق شأوه، ولا كان له نظير في زمانه. واشتهر اسمه في الأرض.

وعمل أربعين حديثاً بلدانية.

وإلى هذا فقد اهتم بالتأليف، فألف كتباً ثمينة نادرة ذكرناها في ترجمته في الجزء الأول من التاريخ الذي حققناه. وأعظم هذه المؤلفات:

١ ـ تاريخ مدينة دمشق في ثمان مئة جزء في ثمانين مجلداً كل جزء عشرون ورقة، فيكون ستة عشر ألف ورقة، لم يؤلف لأي مدينة في العالم الاسلامي مثله، وما كتب أحد عن تاريخ دمشق، ومن أنجبته من العلماء، ومن دخل إليها منهم، إلا رجع إليه. ومن مؤلفاته أيضاً:

معجم شيوخه اثنا عشرا جزءاً.

فضائل أصحاب الحديث، أحد عشر جزءاً.

تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري، مجلدة.

عوالي الأوزاعي.

من نزل من المحدثين غوطة دمشق، المزّة، والربوة، والنيرب، وكفر سوسية، وفدايا، وبيت سوا، وجسرين، وزملكا، وجوبر، وبيت لهيا، وبرزة، ومنين، ويعقوبا، وبعلبك.

ووضع مسنداً لأبي حنيفة.

وأملى أربع مئة مجلس وثمانية في الحديث. وله مؤلفات كثيرة غيرها.

وكان له شعر حسن، يمليه عقب كثير من مجالسه.

وكان له انجماع عن الناس، لا يخالطهم.

وتوفي في رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وصلى عليه القطب النيسابوري شيخ العلماء، وحضر الصلاة عليه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب. ودفن عند أبيه بمقبرة باب الصغير، شرق الحجرة التي دفن فيها معاوية.

هذا موجز من سيرته، وبالجملة فقد كان من أعظم العلماء الذين أنجبتهم دمشق.

وأثنى عليه العلماء الكبار. فقال ابن كثير المؤرخ الدمشقي الكبير: صنف تاريخ الشام في ثمانين مجلدة، فهي باقية بعده خالدة. وقد برّز على من تقدمه من المؤرخين، وأتعب من يأتي بعده من المتأخرين. فحاز فيه قصب السبق، ومن نظر فيه وتأمله حكم بأنه فريد دهره في التواريخ، وأنه الذروة العليا من الشماريخ.

ثم قال: أكثر من طلب الحديث في الترحال والاسفار، وجاب المدن والأقاليم والأمصار، وجمع مالم يجمعه أحد من الحفاظ، نسخاً واستنساخاً ومقابلة وتصحيح ألفاظ (ابن كثير ١٣/ ٢٩٤).

وقال ولده القاسم: سمع أبي من ألف شيخ وثلاث مئة شيخ، وبضع وثمانين امرأة. وكانوا يفضلونه على الخطيب البغدادي.

وأنا أضيف إلى ما قاله الحافظ المؤرخ ابن كثير، أن تاريخ دمشق هو أعظم كتاب في تراثنا العربي أُلف عن بلدة من البلدان وهي دمشق.

فقد تكلم على فضائل الشام وفتوحها، وخططها، ومساجدها وأبوابها، ودورها، وكنائسها، وأنهارها، وقنيّها، وترجم لكلّ من دخل دمشق ومدن الشام عامة، من الجاهلية إلى القرن السادس الهجري، أيام نور الدين. فأتى بأضخم معجم للتراجم والمدن أُلف بعد تاريخ بغداد.

ولعلكم تتساءلون كيف اهتديت إلى تاريخ دمشق ؟

لقد كنت في شبابي مولعاً بالأدب، وكنت من كتاب مجلة (الرسالة) للأستاذ الزيات، في مصر، ومجلة (المكشوف) للأستاذ حبيش في بيروت. وكلتاهما من أعظم المجلات الأدبية. وكنت أتردد على أستاذنا الجليل محمد كرد علي في داره وأطلعه على ما أكتب. ففي ذات يوم زرته، وإذا به يفاجئني بقوله: إلى متى تضيع وقتك بهذه المقالات ؟

فقلت: وماذا أفعل ؟

قال: هذا تاريخ دمشق لابن عساكر، أعظم تاريخ أُلف عن مدينة من المدن الاسلامية، مايزال مخطوطاً. لم يهتم به أحد. فابدأ أنتَ بتحقيقه، فتخدم بلدك ووطنك ولا يضيع وقتك سُدى.

منذ ذلك اليوم انصرفت إلى ما طلبه مني، وهيأت نفسي لمعرفة أصول التحقيق. ومضيت. فأنجزت تحقيق المجلد الأول، والقسم الأول من المجلدة الثانية المختصة بخطط دمشق. فكان وحيداً فرداً بين المؤرخين الذين ألفوا عن المدن الاسلامية، وأكثرهم توسعاً في الكلام عن خطط دمشق.

وقد فصلنا في كتابنا «مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين» كيف اعتنى ابن عساكر بذكر خططها عناية عظيمة لا نجد مثلها عند أي مؤرخ آخر.

١ ـ لقد بدأ بالمسجد الجامع الأموي الذي كان بيت القصيد فعقد له ستة أبواب، وذكر فيها شرفه وفضله، وقسمة الكنيسة، ثم بناء الجامع.

٢ ـ ثم ثنى بتعداد مساجد البلد حسب مواقعها في داخل المدينة وخارجها.

٣ ـ ثم عدد المساجد والمواضع المقصودة بالزيارة، وبين أماكنها.

٤ ـ ثم انتقل إلى الكنائس، فعدّد ما عرفه منها.

٥ ـ ثم انتقل إلى الدور التي كانت داخل السور، والمنازل التي كانت خارجه.

٦ ـ ثم ذكر الأنهار المحتفرة للشرب وسقي الزرع، والقني، والحمامات ومواضعها.

٧ ـ ثم ذكر أبواب المدينة ومقابرها، فبدأ بباب الجابية، وسجل

ما وجده من مساجد وقني وحمامات، شاطراً المدينة شطرين يحدهما (الشارع المستقيم) وهاذان البابان في الكتاب هما من أصح ما في هذا القسم، لأن الحافظ شاهد ما ذكره فيهما بنفسه ولم ينقل عن غيره.

وقد عني بمسجد دمشق عناية كبرى، وذكر أخبار كنيسة مريحنا التي هدم الوليد ابن عبد الملك بقيتها وأدخله في المسجد. وذكر ما كان بجانب المسجد: الخضراء، قصر الإمارة، وقصر معاوية. وقد بنى معاوية الخضراء بالطوب أولاً، ثم بالحجارة.

ثم انتقل إلى ذكر أماكن الدور التي لها ذكر ولأصحابها قدر ومكانة.

وبعد ذلك اهتم بذكر المساجد في داخل دمشق. فذكر أسماء اثنين وأربعين ومئتي مسجد حسب حاراتها، وخمسة وعشرين مسجداً في أرباض دمشق من ناحية القبلة، وأحد عشر مسجداً في شرقها، وسبعة وثمانين مسجداً في شمالها، وخمسة وخمسين مسجداً في غربها، مع ذكر موقع كلّ مسجد واسمه.

ثم انتقل إلى ذكر الأبنية خارج السور، وما كان فيه من منازل وقصور.

فذكر منازل دمشق القبلية: مكان الراهب، ومحلة السفليّين، والشماسية، وعالية وعويلة قبلة مسجد القدم، والقطائع قبلي الشاغور.

وفي الشمال: سطرا، والفراديس، والأوزاع، والصدف، ومرج الأشعريين.

ومن الغرب: لؤلؤة الكبيرة، ولؤلؤة الصغيرة، وقينية، وصنعاء الحميريين، ومنازل بني رعين.

ومن الشرق: قرى الغوطة، والمرج.

ولم ينسَ ذكر حمامات دمشق وعددها سبعة وخمسون حماماً. ومن خلال ذلك لا ينسى ابن عساكر أن يتحدث عن أنهار دمشق ومجاريها: نهر بردى، ونهر يزيد، ونهر ثورة، ونهر باناس، ونهر مجدول، ونهر داعية، ونهر النونة، ونهر الزابون.

وكذلك عدد أسماء القني التي لها أوقات معينة يجري منها الماء خارج البلد وشماله وغربه.

وعدد أبواب المدينة وهي أحد عشر باباً. وهي:

١ ـ الباب الصغير، وهو القبلي.

٢ ـ باب كيسان، يلي الأول، من القبلة بشرق. ينسب إلى كيسان بن معاوية.

٣ ـ الباب الشرقي، كان ثلاثة أبواب: باب كبير في الوسط، وبابان صغيران من جانبيه.

٤ ـ باب توما، ينسب إلى عظيم من عظماء الروم اسمه توما. كانت على بابه كنيسة، جعلت فيما بعد مسجداً.

٥ ـ باب الجينيق، من الشمال أيضاً. منسوب إلى محلة الجينيق، محلة كبيرة كان بها كنيسة جعلت مسجداً.

٦ ـ باب السلامة. شمال البلد سمي بذلك تفاؤلاً لأنه لا يتهيأ القتال على البلد من ناحيته، لما دونه من الأشجار والأنهار.

٧ ـ باب الفراديس. في شماله أيضاً.

٨ ـ باب الفرج. من شآمه. أحدثه الملك العادل نور الدين وسماه بهذا الاسم تفاؤلاً لما وجد من التفريج بفتحه.

٩ ـ باب الحديد. من شآمه. خاص بالقلعة.

١٠ ـ باب الجنان، غربي البلد.

١١ ـ باب الجابية. غربي البلد.

* * *

ثم انتقل إلى ذكر المقابر وبيان أمكنتها:

١ ـ مقبرة باب توما. أول مقبرة بدمشق للمسلمين.

٢ ـ أماكن قبور الصحابة، بظاهر دمشق، بباب الصغير وفيهم: معاوية، فضالة بن عبيد، واثلة بن الأسقع، أوس بن أوس، أبو الدرداء، أم الدرداء، أُبي بن كعب، أم حبيبة زوج رسول الله، بلال بن رباح مؤذن رسول الله، الوليد بن عبد الملك.

وتكلم على قبر معاوية. فبين أن هناك اختلافاً في موضعه. فهناك من قال أنه خلف حائط المسجد الجامع، والأصح أن قبره خارج باب الصغير.

ونلاحظ مما ذكرنا أن ابن عساكر قد وصف دمشق الرومانية ثم دمشق العربية. بحيث أن مخطط المدينة البيزنطية قد عاش ضمن المدينة الاسلامية.

فالطريق المستقيم الذي ورد ذكره في أعمال الرسل (من أسفار العهد الجديد) ظلّ الشريان الرئيسي، كما أن الطرق التي كانت تتعامد معه من جهة الشمال مازالت حتى اليوم. فتظهر المدينة على شكل مستطيلات متلاصقة ومنتظمة إلى حد كبير. وهناك حارات وأزقة تفصل ما بين زوايا المستطيلات السكنية في المدينة الرومانية.

ويخترق هذه المنطقة من الغرب إلى الشرق شارعان متوازيان الأول: الطريق المستقيم الذي يصل ما بين الباب الشرقي وباب الجابية (الباب الغربي). ويطلق على الجزء الغربي اليوم سوق مدحت باشا.

الثاني أصبح يدعى حديثاً جادة سوق ساروجة، طريق الطاحون. ويلتقي مع طريق (بين الحواصل) القادم من ساحة الشهداء (أي المرجة).

ونجمل الآن الخطط التي ذكرها ابن عساكر وبين مواقعها:

١ ـ الأماكن داخل السور:

السور والخندق ـ الأبواب والباشورات ـ الرحبات والمربعات ـ الأسواق والسويقات والسقائف ـ القناطر والأصنام والعمد ـ الدروب والأزقة ـ المساجد والكنائس ـ دور الحكومة والدور العامة ـ المدارس والرباطات ـ البيمارستانات ـ الفنادق والقياسر ـ المسالك والمعاصر ـ والمسالخ والطواحين ـ الحمامات ـ القني والسقايات ـ والعيون ـ الدور الخاصة.

٢ ـ الأماكن خارج السور في الأرباض:

القرى والمنازل ـ البساتين والمروج والميادين ـ المحالّ والحارات والأزقة ـ المقابر والقباب والقبور ـ الجبال ومواضع الزيارة.

وأختم كلامي بالإشارة إلى أن الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ قد تكلم في تاريخه على خطط بغداد. لكننا إذا قارنا ماكتبه، بما هو موجود عن خطط دمشق في تاريخ ابن عساكر تبين لنا أن ما كتبه ابن عساكر هو أضعاف ماسجله الخطيب.

ولكن نعتقد أن المقريزي قد تأثر بنهج ابن عساكر فيما كتبه عن خطط مصر والقاهرة، وتوسع في ذلك جداً.

أيها الأخوة الكرام

أعتذر إليكم عن تطويلي في الكلام، وآمل أن لا أكون أثقلت عليكم بهذا العرض الطويل، لكني أردت أن أظهر ما بذله ابن عساكر من جهد واستقصاء في تقديم ما قد نسميه اليوم « الموسوعة الجغرافية الطبوغرافية

السياحية لمدينة دمشق وضواحيها » بأسلوب واضح لا يصعب فهمه وقد وضعنا مخططاً لدمشق القديمة بالاستناد إلى خطط ابن عساكر، من رجع إليه سهل عليه معرفة دمشق أيام ذلك المؤرخ الكبير وتمكن من الوصول إلى معظم الأماكن في أيامنا هذه.

ولا بدّ أن أختم كلمتي بالشكر الجزيل لمجمع اللغة العربية بدمشق بشخص رئيسه الألمعي الدكتور شاكر الفحام الذي أقام بجهوده هذا الاحتفال الرائع، وأحيا ما كان للمجمع العلمي العربي من تألق ولمعان.

ولكم جميعاً أخلص الشكر والامتنان.



مراجع البحث

١ ـ ابن عساكر (علي بن الحسن) ـ ٥٧١ هـ.

تاريخ مدينة دمشق.

المجلدة الأولى، والمجلدة الثانية (القسم الأول).

كلتاهما تحقيق صلاح الدين المنجد.

(مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق ١٩٥٣ و ١٩٥٤).

٢ ـ الخطيب البغدادي (أحمد بن علي) ـ ٤٦٣ هـ .

تاريخ بغداد.

٣ ـ ابن كثير، الحافظ إسماعيل بن عمر (٧٧٤ هـ).

البداية والنهاية.

٤ ـ ابن طولون الصالحي، محمد بن علي (٩٥٣ هـ)

قرة العيون في أخبار باب جيرون.

تحقيق صلاح الدين المنجد.

(مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق ١٩٦٤م).

٥ ـ صلاح الدين المنجد.

المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة.من القرن الثالث الهجري إلى العاشر.

(ط ٢ ـ بيروت ـ دار الكتاب الجديد).

٦ ـ صلاح الدين المنجد.

مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين.

(بيروت ـ دار الكتاب الجديد ١٩٦٧).

٧ ـ صلاح الدين المنجد

مخطط دمشق القديمة من الأمويين إلى المماليك

أسوارها، أبوابها، مدارسها، مساجدها، دروبها، مقابرها، وأماكن أثرية أخرى.
(دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٢/ ١٩٧٧).



اتحاد المجامع اللغوية

أ . د . شوقي ضيف

الأستاذ الدكتور رئيس المجمع– الزملاء المجمعيون ـ السيدات والسادة

أهنىء ـ في بدء كلمتي ـ باسمي واسم مجمع اللغة العربية القاهري ـ مجمع اللغة العربية الدمشقي بعيده الماسي وبما قدم للعربية من أعمال جليلة رائعة والموضوع الذي أردت أن أشرف بإلقائه على مسامع حضراتكم هو تأسيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية وأعماله ومستقبله، وأول دعوة لقيامه صدرت عن مؤتمر اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية الذي انعقد بدمشق سنة ١٩٥٦ وأصدرت الجامعة العربية مشروعاً للاتحاد سنة ١٩٥٧ ولم يلق قبولاً لدى مجامع اللغة العربية الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد لعدم مشاركة مجمع منها في إعداده. ومضت فترة من السنوات، وفي العيد الخمسيني لمجمع دمشق سنة ١٩٦٩ طرح رئيسه الدكتور حسني سبح ضرورة تأسيس اتحاد المجامع: دمشق والقاهرة وبغداد، وعُرض اقتراحه على مجمعي القاهرة وبغداد، ووافقا عليه. وفي سنة ١٩٧٠ اقتُرح تشكيل لجنة لوضع نظام هذا الاتحاد تتألف من عضوين عن كل مجمع. واجتمعت اللجنة بالدكتور طه حسين رئيس مجمع القاهرة في أبريل من نفس السنة، وتم في هذا الاجتماع وضع مشروع النظام الأساسي والداخلي للاتحاد، كما تم انتخاب الدكتور طه حسين رئيس مجمع القاهرة رئيساً للاتحاد، والدكتور إبراهيم مدكور الأمين العام لمجمع القاهرة أميناً عاماً للاتحاد والدكتور عدنان الخطيب عن مجمع دمشق والدكتور أحمد عبد الستار الجواري عن مجمع

بغداد أمينين عامين مساعدين.

وأهم مواد النظامين الأساسي والداخلي للاتحاد ألخصها فيما يلي:

أن ينشأ للمجامع اللغوية العلمية العربية اتحاد له شخصية معنوية مستقلة، ويكون مقره مدينة القاهرة، ويتألف من المجامع الثلاثة في دمشق وبغداد والقاهرة وكلٍّ مجمع لغوي علمي تنشئه دولة عربية مستقلة. وللاتحاد هدفان أساسيان:

أولهما تنظيم الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية العربية وتنسيق جهودها في كل ما يتصل باللغة العربية وبتراثها اللغوي والعلمي .

وثانيهما العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية العربية ونشرها. ويدير أعمال الاتحاد مجلس يسمى: «مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية» يؤلف من عضوين عن كل مجمع لغوي يختارهما المجمع العضو لمدة أربع سنوات. وينتخب أعضاء مجلس الاتحاد من بينهم رئيساً وأميناً عاماً وأمينين عامين مساعدين لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد.

ويجتمع مجلس الاتحاد مرة على الأقل كل سنة في دورة عادية. ويحدَّد مكان الاجتماع وزمانه بقرار من المجلس، ويجوز أن يجتمع بدعوة من الأمين العام للاتحاد بناء على طلب مجمعين على الأقل في دورة غير عادية عند الضرورة وتَصْدر القرارات بالأغلبية المطلقة للحاضرين، وفي حالة تساوى الأصوات يرجح الجانب الذي ينضم إليه الرئيس.

ويختص المجلس بالنظر في الأعمال السنوية لمكتب الاتحاد وإقرارها وكذلك بالنظر في ميزانية مجلس الاتحاد السنوية وإقرارها وفي تنظيم وسائل الاتصال بين المجامع اللغوية وتنسيق جهودها، والعمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية التي تقرها المجامع المختلفة واتخاذ

الوسائل اللازمة لذلك، ووضع المشروعات التي تحقق أهداف الاتحاد، والنظر في الاقتراحات المتصلة بأهدافه التي تقدمها الهيئات اللغوية والعلمية، وفي تنظيم عقد مؤتمرات وندوات للدراسات التي تحقق أهداف الاتحاد، تشترك فيها المجامع الأعضاء ومن يرى الاتحاد دعوتهم من العلماء المتخصصين.

ويعقد مجلس الاتحاد جلساته في مقره الرسمي أو في بلد من بلاد المجامع الأعضاء. وتدعى الجامعة العربية لإرسال مندوب يحضر اجتماعات المجلس. وللاتحاد أن يستعين بمن تدعو الحاجة إليهم من الموظفين. وعلى الأمانة العامة تنفيذ قرارات مجلس الاتحاد ومتابعتها وتصريف الأمور الإدارية والمالية، وتقديم تقرير سنوي عن أعمال الاتحاد وإعداد جدول الأعمال لاجتماعات المجلس، وتحديد مدة انعقاده، وتحضير ميزانيته وعرضها وتسلم الإيرادات وإصدار أوامر الصرف في حدود الميزانية المقررة، وينوب الأمينان العامان المساعدان عن الأمين العام في تنفيذ قرارات الاتحاد كل في مجمعه. ومالية الاتحاد تتكون من اشتراكات المجامع الأعضاء فيه. وتوضع أمواله في مصارف عربية يعينها مجلسه.

وهذا فيما يختص بتأسيس الاتحاد ونظامه أما أعماله فقد عقد تسع ندوات، كانت أولادها في دمشق سنة ١٩٧٢ وكان موضوعها مصطلحات قانونية أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة ونوقشت في تلك الندوة، وأُقِرَّ منها ١٥٢١ مصطلحاً في القانون المدني والتجاري والبحري والإداري، وطبعها المجمع العلمي العراقي ونشرها سنة ١٩٧٤. وتلتها ندوة ثانية بمدينة بغداد سنة ١٩٧٣ ناقشت أكثر من ألف مصطلح نفطي وأُقِر منها ٩٦٠ مصطلحاً في جيولوجيا البترول وكيميائه، ولم يزد ما اختلفت فيه اللجنة عن نحو ١٠٪ وطَبَع اتحاد المجامع اللغوية هذه المصطلحات ونشرها سنة ١٩٧٣.

وفي يونيه سنة ١٩٧٦ انعقدت في الجزائر ندوة ثالثة عن تيسير تعليم

اللغة العربية، وأوصت اللجنة باستعمال الكلمات والاصطلاحات التي أقرتها المجامع في كتب القراءة، وأن تدرس الكليات والمعاهد التي يتخرج فيها مدرسو اللغة العربية ما تقره المجامع من ألفاظ وأساليب ومصطلحات والاهتمام بمكتبة الطفل وتزويدها بقدر صالح من الثروة اللغوية، وتُلْزَم الحكومة والمؤسسات والشركات باستخدام العربية وبحظر استخدام العامية حظرً تاماً في مختلف وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة، ويُعَدّ المذيعون والإعلاميون إعداداً لغوياً وأدبياً خاصاً. وتعمل المجامع على تيسير تعليم النحو العربي. ونشر اتحاد المجامع اللغوية أعمال هذه الندوة وتوصياتها سنة ١٩٧٧.

وعقد الاتحاد ندوة رابعة في أكتوبر سنة ١٩٧٨ بعمَّان في مجمع اللغة العربية الأردني حول تعليم اللغة العربية في ربع القرن الأخير، ومن توصياتها المهمة التوسع في ترجمة الكتب العلمية المختلفة ذات الصلة بالدراسات الجامعية. وقد عمل مجمع اللغة العربية الأردني بهذه التوصية إلى أقصى حد، إذ ترجم نحو عشرين كتاباً من أمهات الكتب العلمية الجامعية، ليحقق تعريب التعليم الجامعي: الأمنية التي طالما استشرفت لها الأمة العربية، ولباه أساتذة الكليات العلمية سنة واحدة درسوا فيها علومهم بالعربية، غير أنهم عدلوا عن ذلك وهو عدول يأسى فيه المجمعيون لأمتهم وللغتها العلمية. وَطَبع اتحاد المجامع اللغوية أعمال هذه الندوة وتوصياتها ونشرها في السنة نفسها.

وانعقدت الندوة الخامسة لاتحاد المجامع بالرباط سنة ١٩٨٤ في ضيافة وزارة الثقافة المغربية وكان موضوعها تعريب التعليم العالي والجامعي، وقُدِّمت فيها بحوث مختلفة عن المصطلحات العلمية والترجمة والتعريب، ومن أهم توصياتها تعريب الكتاب العلمي الغربي مع العناية باللغات الأجنبية ودراساتها للطلاب، ودعوة المجلس الأعلى للجامعات لمواجهة قضية التعريب

والعمل على توحيد المصطلحات العلمية في الوطن العربي، وترجمة مجموعات متكاملة من أمهات الكتب والمراجع العلمية مع ضرورة التفكير في إنشاء مركز قومي للترجمة، وأن تسعى أمانة الاتحاد إلى اتخاذ الأقطار العربية قراراً سياسياً ملزماً بتعريب التعليم الجامعي والعالي.

وفي كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٨٧ عُقدت الندوة السادسة للاتحاد في مجمع اللغة العربية الأردني وكانت حول توحيد الرموز العلمية وطريقة أدائها، ونوقشت فيها بالتفصيل الآراء التي تذهب إلى أن تظل هذه الرموز في صورتها الأجنبية، ورُدَّ على أصحابها بأن هذا يصم العربية بعجزها عن أدائها لتلك الرموز، فضلاً عن أنه يجعل لغتنا العلمية خليطاً مشوشاً من العربية واللغات الأجنبية، ووضعت الندوة معجماً عربياً للرموز العلمية في الرياضيات والكيمياء والفيزيقا وطريقة أدائها في العربية. ونشر الاتحاد هذا المعجم في القاهرة سنة ١٩٨٧.

وانعقدت الندوة السابعة للاتحاد في بيت الحكمة بتونس من الثالث إلى الخامس من مايو سنة ١٩٩٢ وكان موضوعها توحيد تعريب المصطلح الطبي، وقُدِّم إلى الندوة الجزآن الأول والثاني من معجم المصطلحات الطبية لمجمع اللغة العربية في القاهرة، وناقشته الندوة مناقشة واسعة وأوصت باتباع منهجه في وضع تعريف علمي دقيق لكل مصطلح طبي عربي، وباستخدام الحاسب في إحصاء كل ما نشر من مصطلحات طبية في العصر الحديث لتكوين معجم طبي موسوعي شامل وبضرورة أن تكون مصطلحات المعجم الطبي بالعربية والفرنسية والإنجليزية، وأن ترتب مداخله حسب حروف الهجاء الأجنبية. وطبع الاتحاد بحوث هذه الندوة ومناقشاتها وقراراتها وتوصياتها في القاهرة سنة ١٩٩٢.

وفي التاسع إلى الثاني عشر من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٩٤ عقد

الاتحاد ندوته الثامنة في مجمع اللغة العربية بدمشق، وكان موضوعها معجم النفط الذي أنجزه مجمع القاهرة، ونوقش مناقشة مفصلة وانتهت الندوة إلى توصيات أهمها:

أن تصدر مصطلحات هذا المعجم بالعربية والانجليزية والفرنسية، وأن تضبط ألفاظ المعجم بالشكل، وأن يستفاد فيه من كتب التراث على أن لا تتعارض مع الكشوف العلمية الحديثة، وأن تخزن مواد المعجم في الحاسب (الحاسوب) ثم تدخل التعديلات التي يتم التوصل إليها تمهيداًلاستخراج نسخة معدلة تكون أساساً لطباعة المعجم النهائية، وعرض ممثل مجمع اللغة العربية الأردني تزويد اتحاد المجامع بنسخة معدلة لهذا المعجم توضع فيها التعديلات التي تم إقرارها، ويطبع المعجم بعد الخطوة السابقة وبعد اعتماده في صورته النهائية بمجمع القاهرة. وأكدت الندوة هدف اتحاد المجامع اللغوية في العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية ونشرها. وانعقدت الندوة التاسعة للاتحاد في تونس بدار الحكمة في اكتوبر سنة ١٩٩٤ وكان موضوعها المعجم الجيولوجي الذي أنجزه المجمع القاهري، ومن أهم توصياتها أن تكون مصطلحات المعجم عربية وفرنسية وانجليزية مع اعتماد المشروعين التونسي والسوري وكتابة الرموز الرياضية والعلمية بأصولها اللاتينية، وضبط الكلمات العربية في الطباعة بالشكل حرصاً على النطق الصحيح وبخاصة في المصطلحات والعمل على وضع معاجم جيولوجية متخصصة لازدياد المصطلحات التي لا يستوعبها معجم واحد. تلك هي أعمال الاتحاد في سنواته الماضية وقد أسسته ثلاثة مجامع: مجمع دمشق ومجمع القاهرة ومجمع بغداد وانضم إليه في سنة ١٩٧٧ مجمع عمان، وفي الدورة الماضية انضم إليه مجمع السودان ومجمع فلسطين .

أيها السادة:

كان الغرض - ولا يزال - من قيام اتحاد المجامع اللغوية القضاء على البلبلة العلمية الشائعة في البلدان العربية بسبب ما يدور على ألسنة علمائنا المعاصرين في مؤلفاتهم وترجماتهم العلمية من مقابلات عربية متعددة للمصطلحات العلمية الغربية. وتعلمون - حضراتكم - أن أمتنا العربية استطاعت أن تنهض نهضة علمية عالمية امتدت قروناً من القرن الثاني الهجري / السابع الميلادي إلى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، وهي نهضة توطدت أركانها على وحدة علمية كانت تعم بلداننا العربية من أواسط آسيا إلى مشارف المحيط الإطلنطي بحيث كانت مصطلحات علم مثل الطب واحدة في كتابات الرازي وابن سينا في إيران ومهذب الدين الدخوار وابن القف في دمشق وابن رضوان وابن النفيس في القاهرة وأحمد الجزار في تونس والزهراوي في قرطبة. وبذالك نهض علم الطب العربي - ومثله العلوم الأخرى - نهضة علمية عظيمة.

وقد أراد من فكروا في قيام اتحاد المجامع اللغوية المعاصرة أن تكون لنا نهضة علمية عربية في عصرنا يتعاون فيها علماؤنا المعاصرون الأفذاذ من الخليج إلى المحيط بحيث ينمو العلم العربي في أقطارنا نمواً جماعياً وتكون له لغة علمية واحدة ومصطلحات واحدة في كل علم. واتحاد المجامع اللغوية العلمية يدأب - منذ تأسيسه - على الدعوة إلى هذه الوحدة العلمية بين بلداننا العربية، وأقام من أجلها الندوات التسع التي وصفتها لحضراتكم.

وفي تقديري أن الاتحاد ينبغي أن يسرع الخطا لتصبح وحدتنا العلمية - في عصرنا - حقيقة واقعة، فلا يكتفي بعقد ندوات من سنة إلى أخرى، بل يعمل على وصل المجامع بعضها ببعض وصلا علمياً، وتنسيق العمل بينها **بحيث تكون لكل علم لجنة مشتركة، بها ممثلون لكل مجمع، ينظرون في**

المنهجية الموضوعة له وفيما تنتجه المجامع من مصطلحات علمية فيه. وإذا كان مجمع قد وضع معجماً في أحد العلوم يرسله إلى المجامع الأخرى لتبدي عليه ملحوظاتها بعد مراجعته مراجعة علمية دقيقة، وترسل بها إلى اتحاد المجامع. وفي تقديري أن معاجم المجامع ينبغي أن يطبعها الاتحاد بعد دراسة لجان المجامع لها وموافقتها عليها، كما ينبغي أن يعمل الاتحاد على طبع كتب علمية مترجمة ومؤلفة تحمل المصطلحات العلمية التي أقرتها المجامع، حتى لا تظل توضع وتتجمع حبيسة على الرفوف دون استعمال حيوي لها يجعلها تدور في ألسنة علماء الأمة والمشتغلين بالعلوم. وكلي أمل في أن يرسم الاتحاد هذا التنسيق المقترح في اجتماعه السنوي المقبل. وبدون ريب يتطلب هذا التنسيق الاتساع بميزانيته. والله يوفق القائمين عليه إلى توحيد المصطلحات العلمية في وطننا العربي وأن لا تظل أملاً مرجواً بل تصبح عملاً واقعياً مرموقاً.

والله ولي التوفيق والسداد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* * *

النشأة الأولى

لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

الدكتور ناصر الدين الأسد

سقى الله تلك الأيام الستة في ربوع الفيحاء من التاسع والعشرين من شهر أيلول (سبتمبر) إلى الرابع من شهر تشرين الأول (اكتوبر) من عام ستةٍ وخمسين وتسعمِئة وألفٍ للميلاد، حين اجتمع أشهرُ علماءِ العربية وأدبائها في تلك الأيام الزواهر، ومعهم عشّاق هذه اللغة الشريفة من مختلف التخصصات العلمية، ومن أقطار مشرِقنا العربي ومغرِبه، للمشاركة في المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية. فكأنما عنانا الشاعر بقوله:

وكانت في دمشقَ لنا ليالٍ سَرَقْناهنَّ من رَيْبِ الزَّمانِ
جعلْناهنَّ تاريخَ الليالي وعنوانَ المسرَّةِ والأمانِ

حينئذ التقى كلٌّ من: طه حسين، وكان رئيساً للجنة الثقافية الدائمة بجامعة الدول العربية، والأمير رئيف أبو اللمع، وكان الأمين العام المساعد للشؤون الثقافية بالجامعة، وصلاح الدين المنجّد مدير معهد المخطوطات فيها، وأعضاءٌ يمثلون المجامع الثلاثة في دمشق والقاهرة وبغداد، من أمثال الأعلام: منصور فهمي، وإبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، ومحمد بهجت الأثري، وجواد علي، ومصطفى جواد، وخليل مردم بك، والأمير مصطفى الشهابي، وفارس الخوري، ومرشد خاطر، وشفيق جبري، وعارف النكدي، ومحمد بهجة البيطار، وحسني سَبَح، وجميل صليبا، وعز الدين التنوخي، وحكمة هاشم، وسامي الدهان. ومعهم مراقبون ممثلون للأقطار

العربية التي لم تكن فيها مجامع من أمثال: قدري حافظ طوقان، وخير الدين الزركلي، وعبد الله العلايلي، وأحمد عبد السلام. وكنتُ حينئذ مندوبَ الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية إلى المؤتمر والسكرتير الفنيَّ له وعضو مكتبه، وقد تولّيتُ مع غيري الإعدادَ للمؤتمر وتنظيمَه ومتابعةَ أعماله، ثم توليت جمع وثائقه ووقائِعه وأصدرتها في كتاب أصبح سجلاً للمؤتمر.

وورد في مطالع هذا الكتاب حديث مفصل عن المراحل التمهيدية السابقة التي انتهت إلى عقده. ويبدو من هذا الحديث أن السبب الأساسي الذي دعا إلى تنظيم المؤتمر إنما هو: توحيدُ المجامع اللغوية العربية القائمة أو التنسيقُ بينها. فقد ذُكر عن «الفكرة والهدف» مايلي:

«حين عقد مؤتمر وزراء المعارف العرب بالقاهرة في ديسمبر ١٩٥٣ قدم إليه اقتراح «بإنشاء مجمع علمي عربي موحد يهتم بجميع العلوم على السواء، ويحل محل المجامع الإقليمية في القاهرة ودمشق وبغداد، ويكون من مهمته بعث التراث العربي وتوحيد المصطلحات العلمية». وقد قرر مؤتمر وزراء المعارف في جلسته الثالثة في: ١٩٥٣/١٢/١ إحالة هذا الاقتراح إلى المكتب الدائم للجنة الثقافية لجامعة الدول العربية لدراسته والتقدم بنتيجة بحثه إلى اللجنة الثقافية في دورتها الثالثة. ثم وافق مجلس الجامعة على هذا القرار في دورته العشرين بتاريخ ١٩٥٤/١/٢٦.

وقد عرضت الإدارة الثقافية هذا الاقتراح على المكتب الدائم للجنة الثقافية في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٥٤/٢/٢٠ فقرر:

«صرف النظر عن هذا الاقتراح نظراً لأن المجامع العلمية الموجودة في القاهرة ودمشق وبغداد متعاونة مع بعضها، ولأن بعض أعضائها يشترك في أكثر من مجمع واحد منها، كما أن الجامعة العربية بصدد إنشاء اتحادعلمي عربي يهدف إلى جمع شمل العلماء والهيئات العلمية في البلاد العربية بما

يؤدي إلى تنشيط الحركة العلمية فيها».

«وقد تداولت الإدارة الثقافية في الموضوع مع بعض ذوي الرأي من أعضاءالمجامع العلمية العربية، فكان الرأي المفضل هو تعدد هذه المجامع، وتشجيع البلاد العربية التي لا يوجد فيها مجمع علمي ـ على إنشائه في أقرب وقت مستطاع، ويكون عمل هذه المجامع بحث ما يتصل باختصاصها من موضوعات محلية، على أن تعقد مؤتمرات دورية للمجامع اللغوية العلمية العربية لتستطيع تنسيق أعمالها فيما بينها منعاً لازدواج العمل من غير طائل، ولتنظر في الموضوعات العربية المشتركة وتتخذ فيها قرارات موحدة.

«ثم عُرِض الأمر كله على اللجنة الثقافية الدائمة في دورتها التاسعة التي عقدت في جدة في يناير ١٩٥٥، فاتخذت التوصيات التالية:

أ – نظراً لأن المجامع اللغوية والعلمية العربية منذ نشأتها قد أظهرت حرصاً محموداً على تمثيل الأكفياء من جميع البلاد العربية فيها فتوصي اللجنة بمزيد من العناية بهذا التمثيل بحيث يضم كل مجمع منها فئة صالحة من هؤلاء الأكفياء في جميع البلاد العربية.

ب – ونظراً لأن من الخير أن تتعاون المجامع اللغوية والعلمية العربية تعاوناً منتظماً على ترقية اللغة والمحافظة على سلامتها مع مسايرتها للحياة فتوصي اللجنة بأن تعمل الجامعة العربية على عقد مؤتمرات دورية بين هذه المجامع للتداول وتبادل الرأي في نشاط كل منها والتقريب بين نتائج هذا النشاط.

ج – ونظراً لأن المجامع اللغوية والعلمية القائمة الآن تختار من بين الأكفياء العرب أعضاء مراسلين وأن من الخير أن يشارك هؤلاء الأعضاء في أعمال تلك المجامع بقدر الإمكان، وفيما تعقده هذه المجامع من المؤتمرات كالمؤتمر السنوي للمجمع اللغوي المصري فتطلب اللجنة إلى الجامعة العربية

أن توصي الحكومات العربية بمعاونة الأعضاء المراسلين، وتيسير أسفارهم وإقامتهم ليشاركوا في هذه المؤتمرات.

«وقد وافق على هذه التوصية مجلس جامعة الدول العربية في دورته العادية الثالثة والعشرين المنعقدة في مارس سنة ١٩٥٥ (قرار رقم ٩٥٩).

«وقامت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية – تنفيذاً لهذه التوصيات والقرارات، وتحقيقاً للفكرة المنشودة – بدعوة المجامع الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد إلى إرسال ثلاثة أعضاء من كل مجمع، وبدعوة الدول العربية – التي لا يوجد فيها مجمع – إلى تأسيس مجمع في أقرب وقت مستطاع، على أن توفد كل دولة منها مراقباً عنها لحضور هذا المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية العربية الذي يعقد في ٢٩ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٥٦ بمدينة دمشق».

* * *

وكان المؤتمر فرصة مناسبة للجمهور الدمشقي، ومن تأشّب إليهم من بعض البلاد السورية، للاستماع لبعض هؤلاء الأعلام في محاضرات ثلاث عامة، كان أهمَّها محاضرةُ الدكتور طه حسين عن «اللغة الفصحى وتعليم الشعب». وهي في كتاب المؤتمرمع غيرها من المحاضرات. وكذلك ألقى هؤلاء الأعلام بحوثاً في موضوعات المؤتمر، فاز فيها النحوي المشهور الأستاذ إبراهيم مصطفى بالنصيب الأوفر فقدّم ثلاثة أبحاث، عن «التعاون بين المجامع العربية على عمل المعاجم اللغوية» و «كتابة الهمزة والألف اللينة» و «تيسير قواعد اللغة العربية».

ومن البحوث التي قُدِّمت إلى المؤتمر: أربعة عن الفصحى والعامية،

وثلاثة عن المصطلحات العلمية والفلسفية وبلغت عِدَّة البحوث جميعها خمسة عشر بحثاً، تضمنها كلُّها كتابُ المؤتمر.

* * *

وقد أصدر أعضاء المؤتمر إحدى وثلاثين توصية عن موضوعات متعددة هي: وسائل ترقية اللغة العربية، والتأليف والترجمة، والمصطلحات العلمية، وتحقيق المخطوطات ونشرها. وكان العنوانَ الأول في الترتيب: «تأسيسُ اتحاد للمجامع اللغوية العلمية» وأُدرجتْ في هذا العنوان خمس توصيات هي:

«١- يوصي المؤتمر بتأسيس اتحاد للمجامع اللغوية العلمية ينظّم الاتصال بين المجامع العربية وينسق أعمالها.

٢- يتألف الاتحاد من ثلاثة مندوبين عن كل مجمع تختارهم المجامع لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد، ويضاف إليهم عضو عن كل دولة من دول الجامعة العربية ليس فيها مجمع، تعينه حكومته ويتمتع بما يتمتع به أعضاء الاتحاد.

٣- تدعو الأمانة العامة لجامعة الدول العربية الاتحاد إلى الاجتماع في أوقات دورية وتقوم بدفع نفقات أعضائه وإقامتهم واجتماعاتهم.

٤- يضع الاتحاد في دورته الأولى نظامه الداخلي ويعرضه على المجامع اللغوية العلمية وعلى مجلس الجامعة.

٥- ينظم الاتحاد الصلات بين المجامع العربية ووزارات المعارف والإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية».

وفي مطالع العام التالي أقامت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية –

وهي التي دعت إلى هذا المؤتمر- حفلاً دعت إليه عدداً من المسؤولين ومن علماء العربية وأدبائها، أعلن فيه الأمين العام لجامعة الدول العربية السيد عبد الخالق حسّونة، قيامَ اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، وتحقُّقَ الكيان الفعلي الواقعي له بعد أن تحقَّقَ له الكيان القانوني بتوصية المؤتمر وموافقة مجلس الجامعة.

غير أن هذا الاتحاد لم يقم في الواقع حينئذ، وطوي الموضوع كله في العام التالي: عام الوحدة بين مصر وسورية وقيام الجمهورية العربية المتحدة بإقليميها الجنوبي والشمالي، فقد انضمَّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي العربي بدمشق في مجمع واحد، وأعلن الدكتور طه حسين أنَّ هذا المجمع الموحَّد يُغني عن الاتحاد وينهض بأعماله.

* * *

ومرَّت الأعوام، ونُسِيت المراحل السابقة كلُّها وأفكارها وأهدافها. وفي عام واحد وسبعين وتسعمئة وألف تأسس اتحاد للمجامع اللغوية العلمية العربية بمنزل الدكتور طه حسين وحضور ممثلين للمجامع الثلاثة في دمشق والقاهرة وبغداد، والمدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وصدرت نشرة في نحو عام ستة وثمانين وتسعمئة وألف عنوانها «اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في خمس عشرة سنة». جاء في الكلمة الافتتاحية للنشرة مايلي: «ترجع فكرة اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية إلى العقد الرابع من هذا القرن. فقد دعت إليها الإدارة العامة للثقافة بالجامعة العربية في لقاء نظم بدمشق، ولكنها لم توضع موضع التنفيذ إلا في أوائل العقد الثامن. وبدأ الاتحاد حياته في نشاط كنا نود أن ينمو ويمتد على مر الزمن. ونأسف لأن ظروفاً خارجة عن إرادة المجمعيين، اعترضت سير الاتحاد

في أداء مهمته، فلم يعقد في الخمس عشرة سنة الماضية إلا خمسة لقاءات».

وفي العبارة الأولى ما يدّل على نسيان الماضي وتاريخ النشأة الأولى لاتحاد المجامع، وهو ما فصّلت القول فيه، وفي العبارة الأخيرة أسفٌ لضعف الاتحاد، وتبرئة المجمعيين مما آلت إليه حاله، ولعل المقصود قلة الموارد المالية.

ولا أعرف المرجعية القانونية لوجود الاتحاد الحالي واستمراره إذ ليس في النشرة التي ذكرتُها مايشير إلى ذلك. أما المرجعية القانونية للاتحاد الأول فقد كانت قراراً من مجلس جامعة الدول العربية وهو المرجع الأعلى المخوّل إصدار مثل هذا القرار.

وبعد ؛

فهذا جانبٌ من تأريخ ما كاد يُغْفله التاريخ، عن النشأة الأولى لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، اقتصرتُ عليه. وما كان لي أن أكتب هذه السطور لولا تلك النشرة التي أغفلتْ ذكر النشأة الأولى للاتحاد، ووقع فيها ما وقع مما ذكرت ومما لم أذكر، فخشيت أن يستقرّ في الأذهان ما ورد في النشرة وحدَه، وأن يطْوِيَ النسيانُ ماضياً قريباً كان أولَى بالذكر والتسجيل ليكون ركيزة لهذا الحاضر القائم.

وعسى الله أن يوفق اتحاد مجامعنا لتحقيق أهدافه. والحمد لله ربِّ العالمين.

مجلة مجمع اللغة العربية

الدكتور إحسان النص

بلغ مجمعنا من السنّ في هذا العام ستّاً وسبعين سنة، وهو أطول مجامع الوطن العربي عمراً، وفي مسيرته الطويلة هذه كان له رفيق لازمه ولم يفترق عنه إلاّ حقبة قصيرة، ذاك هو مجلة المجمع. كانت المجلّة طوال هذه المدة مجتلى إبداع الأدباء والمفكّرين والعلماء، تتغيّر أسماؤهم بتغيّر الزمن، يذهب جيلٌ من أصحاب الأقلام المبدعة ويحلّ محلّه جيل آخر، وتتابع المجلة مسيرتها تحمل إلى أبناء العروبة في شتّى أقطارها المتعطّشين إلى الارتواء من معين المعارف التراثية والأدبية واللغوية والعلمية ماينقع غُلّتَهم ويروي ظمأهم.

بدأ التفكير في إصدار مجلة لمجمع اللغة العربية منذ أن خطا المجمع خطواته الأولى، فقد وجد أعضاء المجمع المؤسسون أنه لاغنى لهم عن إصدار مجلة تكون مثابة لنتاجهم ونتاج العلماء والمفكرين في ميدان الأدب والفكر واللغة والعلم ومرآة تنعكس فيها أفكارهم ونظراتهم وثمار قرائحهم، ومن طريقها يتّصلون بالأدباء والمفكّرين ويحملون ثمرات أقلامهم إلى القرّاء في مختلف أقطار العالم العربي، فيُعرف ماللمجمع من نشاط وإبداع وإسهام في الحركة الفكرية والأدبية.

ولهذه الدواعي كلها قرّر أعضاء المجمع في اجتماعه السادس والعشرين المنعقد بتاريخ السابع عشر من أيلول عام تسعة عشر وتسعمئة

وألف طلب الترخيص بإصدار هذه المجلة من الحاكم العسكري رضا باشا الركابي، وذُكر في الكتاب المرفوع إليه الموضوعات التي ستتناولها المجلة وهي: «بحث في أعمال المجمع والمحاضرات التي تُلقى في ردهته ومايتعلق بالمتحف العربي ودار الكتب العامة، مسترسلة إلى طرق التدريس والتأليف والترجمة والأوضاع، ومايتعلق بذلك من إحياء اللغة وآدابها وغير ذلك من الفوائد العلمية والأخلاقية والاجتماعية. وستكون شهرية ذات ثمان وأربعين صفحة، على ورق جيد صقيل، مصورةً عند الحاجة».

على أن الأحوال لم تتح للمجمع إصدار مجلته إلاّ بعد سنة ونيف، ولم تتحقق الخطة بإصدارها في ثمان وأربعين صفحة فصدرت في اثنتين وثلاثين صفحة.

رأى العدد الأول من المجلة النور في مستهلّ عام واحد وعشرين وتسعمئة وألف للميلاد الموافق للواحد والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة وألف للهجرة، أي بعد قرابة سنتين من إنشاء المجمع، ولم يتجاوز عدد صفحات هذا الجزء اثنتين وثلاثين صفحة.

بدأت المجلة بداية متواضعة واكتفى القائمون على تحريرها يومئذ بكلمة تصدير غاية في الإيجاز جاء فيها مايأتي تحت عنوان: فاتحة المقال: «جرت عادة المجامع العلمية في البلاد المتمدنة أن يكون لها مجلاّت خاصّة بها، تصدر في أوقات معينة، يُنشر فيها مايكتبه أعضاؤها ومراسلوها في مواضيع العلوم والفنون المختلفة، وما يُلقى في المجمع من المحاضرات على الجمهور من وقت إلى آخر، ومايتجدد في عالم العلم من الآراء والأفكار وضروب الاكتشاف والاختراع وخلاصةُ الأعمال التي قام بها المجمع أو هو في صدد القيام بها، وغير ذلك من الأخبار والشؤون التي تلتحم بخطته، ولاتخرج عن حدود وظيفته.

وقد رأينا أن مجمعنا العلمي العربي في حاجة إلى مثل هذه المجلّة فأصدرناها بهذا الشكل، وعلى هذا النمط الذي له من طبيعة الوقت وفقد العُدد والوسائل شفيع في تقصيره، وعذر في الاكتفاء بقليله عن كثيره، وان لنا من مؤازرة الفضلاء والعلماء مايذلّل الصعاب أمام هذه المجلة، ويرقى بها إلى ذروة كمالها واستتمام هلالها، إن شاء الله تعالى.

أما الأبواب أو الأقسام التي يتركَب منها كيان هذه المجلة فهي أربعة:

الأول: في المقالات والمحاضرات ذات الموضوعات العلمية والفنية.

الثاني: في المراسلات التي ترد إلى إدارة المجلة من المراسلين والعلماء وأهل الفضل، ولاتقبل مالم تكن من موضوعات المجلة.

الثالث: في الأخبار والشؤون العلمية عامة.

الرابع: في أعمال المجمع ومساعيه الداخلية الخاصة به.

ولم تذيّل هذه الافتتاحية باسم كاتبها.

وقد حوى الجزء الأول من المجلة، إضافة إلى هذه الكلمة الافتتاحية، نبذة عن نشأة المجمع العلمي العربي، وهو الاسم الذي عرف به المجمع لدى إنشائه في الثامن من حزيران عام تسعة عشر وتسعمئة وألف، وكان قبلُ مرتبطاً بديوان المعارف، وكذلك لم يذكر في ذيل هذه الكلمة اسم كاتبها، وتلاها منشور المجمع، وهو المنشور الذي يتحدث عن نشأة المجمع ومقرّه والخطة التي سيسير عليها، ودعوةٍ إلى الكُتّاب في العالم العربي لموافاة المجلة بمقالاتهم وبحوثهم، وقد ذُيّل المنشور باسم رئيس المجمع يومئذ وهو الأستاذ العلاّمة محمد كرد علي، تغمدّه الله بشآبيب رحمته، وإليه يرجع الفضل الأول في إنشاء المجمع، وكان أعضاء المجمع لدى تأسيسه لايتجاوز عددهم الثمانية وهم: الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع، والأساتذة: أمين سويد،

أنيس سلّوم، سعيد الكرمي، عبد القادر المغربي، عيسى اسكندر المعلوف، متري قندلفت وعز الدين التنوخي، ثم انضم إليهم فيما بعد الشيخ طاهر الجزائري بعد عودته من الديار المصرية، وعلى عاتق هؤلاء الأعضاء المؤسسين كان تحرير المجلة في المراحل الأولى. ونجد في هذا الجزء كذلك مقالة بقلم الأستاذ سعيد الكرمي حول دور الكتب وفائدتها وحول دار الكتب الظاهرية في دمشق خاصة، وتلا هذه المقالة كلمة بقلم الأستاذ متري قندلفت في وصف بعض العاديات في دار الآثار العربية، ثم مقالةٌ للأستاذ كرد علي حول الشيخ طاهر الجزائري وكلمة أخرى له عرّف فيها بالمستشرق ماسّينيون الذي قدم دمشق أواخر عام عشرين وتسعمئة وألِف، وقد طلب إليه إلقاء محاضرة، فألقى محاضرة في مدرسة الحقوق العربية عنوانها: ملتقى الأدبين الشرقي والغربي، فنشرت المحاضرة في هذا الجزء. وختم السفر الأول بنبذة حول بعض أعمال المجمع ذكر فيها أسماء من اختارهم المجمع من الباحثين المستشرقين ليكونوا أعضاء فيه، وكلهم من أعلام الباحثين في التراث العربي الإسلامي، ومنهم الأساتذة بروكلمان، ومرغوليوث، وماسينيون وكايتاني وغويدي.

بعد هذه الخطوة المتواضعة الخجول توالى ظهور أعداد المجلة مرة كل شهر، وظل عدد صفحاتها قليلاً لايكاد يجاوز الثلاثين صفحة، وكان جُلّ كُتّابها في تلك الحقبة من أعضاء المجمع، ولا نجد في نهاية كل جزء فهرساً للمقالات الواردة فيه وإنما ترك ذلك للجزء الأخير من المجلد، وهو الجزء الثاني عشر، ففي كل عام كان يصدر اثنا عشر جزءاً يضمها مجلد واحد. وفي الجزء الأخير من المجلد أثبت فهرس للمقالات منسوقةً على أحرف المعجم، وفهرس آخر لكُتّاب المقالات والأعلام من المراسلين على حروف المعجم كذلك. وقبل هذا الفهرس خلاصة عن أعمال المجمع في تلك السنة،

وقد جعلت أرقام صفحات الأجزاء متتابعة فبلغت في نهاية المجلد الأول زهاء أربعمئة صفحة.

ومن النظر في خلاصة أعمال المجمع سنتئذٍ نتبين أن أعضاء المجمع، على قلّتهم في ذلك الحين، كانوا يتولّون كتابة أكثر بحوث المجلة، وكذلك يلاحظ أنه كان للمجمع نشاط جدير بالتقدير في إلقاء المحاضرات، ففي كل أسبوعين كانت تلقى محاضرة في بهو المجمع، وكان المحاضرون من أعضاء المجمع ومن غيرهم من العلماء والأدباء.

ويلفت النظر المنزلةُ الرفيعة التي كان يتبوؤها المجمع لدى المسؤولين في ذلك الحين، ومن ذلك مثلاً الإنعام على الأستاذ سعيد الكرمي، نائب رئيس المجمع في تلك الحقبة، بوسام جوقة الشرف من رتبة فارس، وكان ذلك في أيلول من عام واحد وعشرين وتسعمئة وألف للميلاد.

وبدءاً من الجزء السابع أضيف إلى أبواب المجلة الثابتة باب يعنى بما طبع حديثاً من الكتب مع التعريف بها ونقدها وبيان مانشر من كتب التراث.

لقد كان لصدور مجلة المجمع صدى عظيم في العالمين العربي والغربي، وأقبل المثقفون في مختلف الأقطار على مطالعتها، وأخذ عدد المشتركين فيها يتزايد من سنة إلى أخرى، وشارك في كتابة بحوثها جهابذة العلماء والأدباء من مختلف الأقطار، وكانت المجلة ترسل إلى مختلف المجامع والجامعات والمؤسسات العلمية في جميع أنحاء العالم، وكانت هذه المؤسسات تُرسل بدورها بحوثها ونشراتها إلى المجمع. وقد بلغ عدد المؤسسات التي يتم التبادل بينها وبين المجمع خمساً وثمانين مؤسسةً علمية في السنة الثانية من إنشاء المجلة، وأصبح أعضاء المجمع من طريقها يدعون إلى المؤتمرات العلمية. ومنها على سبيل المثال العيد المئوي للجمعية الآسيوية في باريس، وعيد المجمع الملوكي في بروكسل وكذلك مؤتمرات المستشرقين

الدورية. وبلغ في ذلك الحين عدد أعضاء المجمع المؤازرين والمراسلين زهاء خمسة وسبعين، وهم من جِلّة العلماء والباحثين، ومنهم الأساتذة دوسّو وماسّينيون وكليمان هوار وغويدي وكايتاني ونلّينو وبروكلمان ومرغوليوث وبيڤان وكوفالسكي وموسّيل وباسّيه، وكان كثير منهم يسهم في كتابة بحوث المجلّة. وقد لقيت المجلة ترحيباً حاراً من العلماء في الشرق والغرب وأرسلوا رسائل يثنون فيها على المجلة، ومن ذلك مثلاً رسالة للعلاّمة أحمد تيمور يقول فيها: «قرأت المجلة بشغف زائد وإني أحمد الله على أنها صارت بهمّة أعضائها الكرام من أرقى مجلاّت العالم».

عانت المجلة في بدء صدورها مصاعب مالية لقلة عدد المشتركين فيها، وكانت تضطر لذلك إلى الاستنجاد بالدولة لرفدها بالمال، وبعد سنتين من صدورها كانت تطبع خمسمئة نسخة يهدى منها قرابة النصف، وكانت قيمة الاشتراك فيها زهيدة لاتتجاوز ليرتين سوريتين، وقد أخذ عدد المشتركين فيها يزداد تدريجياً ويزداد معه عدد مؤازريها، ممّا أدّى إلى تحسن وضعها المالي.

ظلت المجلة طوال أعوام ثلاثة تسير على النهج الذي سارت عليه منذ إنشائها فكانت صفحات الجزء لاتتجاوز اثنتين وثلاثين صفحة، ثم كثر عدد الكُتاب فيها وتوافر لدى إدارتها مقالات وبحوث كثيرة فزاد عدد صفحات الجزء منذ عام أربع وعشرين وتسعمئة فبلغت صفحاته زهاء ثمان وأربعين.

وبدءاً من السنة الثامنة أي منذ ١٩٢٨ لإصدار المجلة وثب عدد صفحات الجزء وثبة أخرى فبلغ أربعاً وستين صفحة، وبلغ عدد كتابها زهاء ثلاثين من العلماء والأدباء والباحثين. ويعلّق الأستاذ كرد علي على تزايد عدد كُتّابها فيقول في التقرير الذي أعدّه عن أعمال المجمع للسنوات ١٩٢٥، ١٩٢٦، ١٩٢٧ إن هذا ندر مثله حتى في المجلاّت الكبرى في الغرب، وإنّ

علماء المشرقيات أعجبوا بالبحوث التي تنشر في المجلة فعدّوها حجّة في الأدب واللغة والتاريخ. وممّا قاله الباحثون المستعربون في شأنها قول البحاثة سنوك هروغرون من جامعة ليدن ونصه: «أطلعتُ طُلاب العلم من أهل بلادي على أعداد المجلة، وبينت لهم أنها علامة إحياء العلوم الشرقية، ومعجزة في جنسها. مفحمة لمن ينكر استمرار التمدّن العربي، وأوضحت لهم عدم قدرة أحدنا على تصنيف مقالة من مقالاتها ولو استغرق عمره في طلب علوم العرب.».

ومنذ عام واحد وثلاثين وتسعمئة وألف طرأ تغيير في نهج المجلة فأصبحت تصدر كل شهرين مرّة وكل عدد منها يحوي جزأين، وعلى هذا فقد ظلت المجلة تصدر اثني عشر جزءاً في العام ولكن يَصدر في كل شهرين عدد يحوي جزأين، وزاد عدد صفحات المجلة تبعاً لهذا. ثم طرأ تحول آخر منذ عام ثمانية وأربعين وتسعمئة وألف بدءاً من المجلد الرابع والعشرين، فأصبحت تصدر فصلية مرة كلّ أربعة أشهر، والمجلّد السنوي أصبح يحتوي على أربعة أجزاء، والمجلة ماضية على هذا النهج حتى يومنا هذا.

لم يكن صدور المجلّة متَصلاً طوال مدة مسيرتها الطويلة، فقد قضت الظروف بتوقفها عن الصدور مرتين، أولاهما في مستهلّ شهر أيار عام ثلاثة وثلاثين وتسعمئة وألف واستمر توقفها حتى نهاية شهر نيسان من سنة خمس وثلاثين وتسعمئة وألف، أي أن احتجابها استمر سنتين، وسبب هذا التوقف أوضاع المجمع الإدارية، وكان قد صدر قبل احتجابها أربعة أجزاء من المجلد الثالث عشر. ولمّا استأنفت مسيرتها في مطلع شهر أيار من عام خمسة وثلاثين وتسعمئة وألف صدرت الأجزاء الثمانية المتممة للمجلد الثالث عشر.

وقد ورد في مقدمة الجزء الخامس من هذا المجلد كلمة تحت عنوان:

«استئناف العمل» جاء فيها: «بسم الله، نستأنف العمل في هذه المجلة بعدما اضطررنا إلى وقفها أربعة وعشرين شهراً، من أول أيار سنة ثلاث وثلاثين وتسعمئة وألف حتى آخر نيسان سنة خمس وثلاثين وتسعمئة وألف. فالأعداد الثمانية التي سنصدرها في هذه السنة تقع متممة لأربعة الأجزاء التي سبق إصدارها في أول سنة ثلاث وثلاثين وتسعمئة وألف. فباعتبار عنوان المجلّد يكون مجلّد هذه السنة موسوماً بالثالث عشر، على نسق المجلدات التي قبله، وباعتبار تاريخ السنين تكون أربعة أجزائه الأولى مؤرّخة في سنة ثلاث وثلاثين وتسعمئة وألف، وثمانية أجزائه التالية مؤرخة في سنة خمس وثلاثين وتسعمئة وألف».

وقد استمرت المجلة في الصدور بعد ذلك مدة سنتين ظهر فيهما المجلدان الرابع عشر والخامس عشر.

والتوقف الثاني للمجلة وقع في مستهلّ عام ثمانية وثلاثين وتسعمئة وألف واستمر حتى مطلع عام واحد وأربعين وتسعمئة وألف، وسبب التوقف الثاني نضوب الموارد المالية. ولما استأنفت صدورها بعد ثلاث سنوات جاء في مقدمة الجزء الأول من المجلد السادس عشر مايأتي:

العودة

تعود مجلة المجمع العلمي العربي إلى الظهور بعد احتجابها بضع سنين كان السبب الأول فيه نقص مواردها. ويسرّها اليوم أن ترجع إلى اتصالها بقرائها على ماكانت خلال الخمس عشرة سنة التي طالعتهم فيها بأبحاثها.

يعود المجمع العلمي العربي إلى مزاولة أعماله وسط زعازع هذه الحرب الناشبة، ،كله أمل أن يُظلَّ السلامُ العالم فيتصل بأعضائه في الغرب والشرق، ويعود الذين حيل بيننا وبينهم الآن إلى افادتنا من دراساتهم.

يحتاج العلم إلى الهدوء والاستقرار فإذا متع حَفَدته بذَرو منهما وجب عليهم ألا يتوقفوا عن بذل الجهد فيما تمحضوا له. ألسنا قد قرأنا في صحف الأقدمين أن بعض المؤلفين من أجدادنا كانوا يصنفون كتبهم والعدو يحاصر مدينتهم، وبعضهم أنجز تأليفه والعرادات والدبابات تتعاور ضرب أسوار قلعتهم، ما ثناهم هول الوغى عن نفع قومهم بثمرات عقولهم، ووجدوا في العمل سلوى، وفي بث الفكر واجباً يوفونه. والاضطرابات كالمصائب طبيعية الحدوث في هذا العالم وما عهد أن صفت الدنيا لأبنائها صفاءً تاماً.

ولقد اطرد صدور مجلتنا هذه خلال ثورة سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ والأخطار منا قاب قوسين أو أدنى فعجب رصيفنا العلامة ماكدونالد الأميركي لثباتنا في تلك الفتنة وقال إننا أحيينا سنة الجمعية الآسياوية الباريزية يوم كانت تثابر على إصدار مجلتها وباريز محصورة.

احتمل المجمع العلمي منذ نشأته ألوان المثبطات، ولقي أيضاً شيئاً كثيراً من المنشطات. فما وهى في الأولى ولأزها في الثانية . ويغتبط اليوم أن يرجع إلى ربط ما انقطع من سند أحاديثه بفضل من مهدوا له السبيل لإتمام مقاصده، شاكراً لهم مناصرتهم. والحق إذا خذله أعداؤه لا يعدم من أوليائه تأييداً، والله الملهم والمسدد».

استمرت المجلة شهرية منذ ذلك الحين يصدر منها جزآن كل شهرين حتى عام ثمانية وأربعين وتسعمئة وألف. فقد أصبحت المجلة منذ المجلد الرابع والعشرين فصلية تصدر أربع مرات في السنة ومازالت حتى اليوم تسير على هذا النهج. وقد زاد عدد صفحات الجزء إلى ما يناهز المئتين. وكذلك طرأ في مسيرتها الطويلة بعض التغيير في أبوابها، فقد غُيّر باب آراء وأفكار فأصبح : آراء وأخبار، ثم بُدّل بعد ذلك فأصبح آراء وأنباء، وهذا الباب ثابت

في المجلـة إلى يومنـا هذا. وكذلك غُيِّر باب: كـتب حـديثة فـأصبح عـنوانه: مخطوطات ومطبوعـات ثم ألغي هذا الباب فيما بعد وأصبح يذكر في نهاية كل جـزء مطبـوعات المجـمع. وبدءاً من المجـلد الرابع والـعشـرين لعـام ثمانـية وأربعين وتسعـمئة وألف أصبحـت الأبواب الثابتة هي: المقـالات والبحوث، التـعريف والنقـد، آراء وأنباء، وهـو يشتمـل على ماجـدّ من أحداث تـتـصل بالمجامـع العربيـة والمؤسسات الثـقافيـة، ويلي هذه الأبواب ذكـر لما أهدي إلى المجمع من كتب ومجلات وفهرس للمقالات وكُتَابها.

وبدءاً من الجـزء الأول من المجلد السادس والثـلاثين لعام واحـد وستين وتسعـمئة وألف أصبح اسم المجلة: مجلة مـجمع اللغة العربيـة بدمشق، وذلك اثر تـوحيـد مجـمـعي القـاهرة ودمشق في مـجـمع واحد إبـان الوحـدة بين القطرين السوري والمصري. وبعد الانفـصال عاد الاسم القديم: مجلة المجمع العـلمـي العـربي فـي المجلـدات ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠. ثم استـقـر الرأي عـلى صدورها باسم «مجلـة مجمع اللغة العربية بدمشق» بدءاً من المجلد ٤١ حتى اليوم ونحن الآن في المجلد السبعين وقد صدر منه حتى اليوم ثلاثة أجزاء.

وإذا تقصّـينا كُتَـاب المجلة نجد أن تبـعة كتـابة المقالات والبـحوث فيـها كـانت تـقع على أعضـاء المجـمع فـي المرتبـة الأولـى إبَان الـحقبـة الأولـى من صـدورها فكان يـكتب جـلّ بحـوثها الأسـاتذة مـحمـد كـرد علي وسـعيـد الكـرمي وعبـد الـقادر المـغـربي وعـيـسـى اسكنـدر المعـلوف وأنـيس سـلَوم وعزالدين التنوخي وشفيق جبري يضـاف إليهم طائفة من الباحثين من خارج سورية منـهم الأب أنستاس الكرمـلي وأحمد رضا ثم أسـهم في الكتابة فـيها كُتَـاب آخرون وأعضـاء المجمع الجـدد ومنهم الأساتـذة: بهجة البـيطار وعبـد القادر المبارك وخليل مـردم، وكانت أسماء الباحثين تتغير من حين إلى آخر، تتوارى أسماء وتظهر أسماء جديدة. ومن العسير إحصاء أسماء كُتَاب المجلة

جميعاً فعددهم يقارب المئة، يكتب كلٌّ منهم في مجال تخصصه.

موضوعاتها وآفاقها

كان اسم المجمع في بدء تأسيسه: المجمع العلمي العربي، ولذلك كانت تنشر في مجلة المجمع بحوث أدبية ولغوية وتاريخية وعلمية، وجل الأبحاث العلمية كان مداره على الطب، ولكن كان حظ البحوث الأدبية واللغوية والتاريخية أوفى بكثير من حظ الأبحاث العلمية لأن جل كتاب المجلة كان من الأدباء والمؤرخين وعلماء اللغة. وقد استمر هذا النهج حين تحول المجمع العلمي إلى مجمع لغوي. فالمجلة تفتح صدرها لمختلف الموضوعات، ولكنها تدور في فلك تلك الأغراض، والبحوث العلمية التي تنشرها المجلة في الحقبة الحاضرة تتصل بالتراث العلمي العربي، أما المقالات العلمية التي تخرج عن هذا الإطار فمجلتنا لا تعنى بها ولا تنشرها.

وإذا استعرضنا موضوعات المجلة بوجه عام نجد أنها تصنف على النحو الآتي:

أ ـ دراسات في اللغة العربية.

ب ـ تراجم الأدباء والشعراء والمؤرخين العرب والأعلام البارزين من العرب في مختلف المجالات، وتراجم العلماء العرب القدامى المشهورين من أطباء وكيميائيين ورياضيين وغيرهم.

جـ ـ دراسات تتصل بتاريخ الأمة العربية وقبائلها وأنسابها.

د ـ دراسة لطائفة من كتب التراث المخطوطة أو المنشورة.

هـ ـ بحوث تتناول المصطلحات العربية

و ـ بحوث تتناول الأخطاء الشائعة في اللغة وتصحيح ما شاع منها.

ز - بحوث تتصل بالقرآن الكريم والحديث الشريف والعلوم الشرعية والفقهية.

ح - تحقيق طائفة من الكتب والرسائل التراثية التي يمكن استيعابها في المجلة.

وتشرف على شؤون المجلة في الوقت الحاضر لجنة من أعضاء المجمع يترأسها الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع.

وفي النية دراسة إمكان تطوير المجلة سواء من حيث الشكل أو من حيث المحتوى، فقد يضاف إلى أبوابها الثابتة أبواب أخرى وقد يطرأ بعض التغيير على شكلها لتبدو في حلة جديدة إن شاء الله

والمجلة تفتح صدرها لأي اقتراح مفيد يتناول جانباً من جوانبها وتدعو الباحثين من شتى الأقطار العربية إلى رفد المجلة ببحوثهم ودراساتهم. والسلام عليكم.

قضايا المصطلح والمصطلحية والمعجم
في نظر مصطفى الشهابي

د. محمد رشاد الحمزاوي[1]

١- ١° إن الاحتفال بمرور خمسة وسبعين عاماً على نشأة المجمع العلمي العربي بدمشق سابقاً[2] ومجمع اللغة العربية بدمشق حاضراً[3] وبما أنجز من أعمال وبما طرأ عليه من تغيير وتطوير، يستوجب أن نحيي مجمعنا العربي تحية إجلال وتقدير من خلال ثلاثة أعلام من أعضائه الخالدين ممن وضعوا أسسه، وأصلوا لمناهجه، ودعموا مشاريعه وإنجازاته وأقاموه صرحاً علمياً عربياً عصرياً رائداً، ونعني بهم الأستاذ الرئيس محمد كرد علي[4] والشيخ عبد القادر المغربي[5] والأمير مصطفى الشهابي[6] رحمهم رحمة واسعة وطيب ثراهم وأفادنا بآثارهم العلمية. ولقد تميز كل واحد منهم برؤى وأساليب اشتهر بها في الميادين الفكرية والعلمية واللغوية في المحافل العربية والدولية.

١-٢ ولقد رأينا من المفيد في هذه المناسبة الكريمة أن نسلط الأضواء على الأمير مصطفى الشهابي وذلك لأسباب عدة منها أنه:

١- كان عالماً من العلماء العرب الذين وفقوا إلى المصالحة بين التراث والحداثة وربطوا في دنيانا المتعجلة بين الثابت والمتحول. وأسسوا لطمأنينة علمية عربية دولية متحركة نحن في أمس الحاجة إليها في زمن الحيرة الفكرية والعلمية والحضارية المستبدة بنا اليوم.

٢- اعتنى اعتناء مشهوداً بقضية أساسية شغلتنا جميعا وتتعلق بنقل العلوم والتكنولوجيا لتتبوأ العربية منزلة متقدمة من المعارف والفنون المعاصرة.

٣- تميز بسعيه الحثيث إلى الإسهام في بناء أسس المصطلح والمصطلحية والمعجمية العربية المعاصرة في مستوى التنظير والتطبيق، وبلغنا كثيراً من رؤى الفكر المصطلحي الدولي في شأنها.

١- ٣° وذلك ماعسانا أن نسعى إلى التعبير عنه من خلال عملين من أعماله ونعني بذلك كتابه: «المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث»[٧]، و «معجم الألفاظ الزراعية»[٨]، ولاشك في أن له من الأعمال والإسهامات في المجامع والمؤسسات العلمية العربية والدولية، ومنها مجمع اللغة العربية بدمشق وبالقاهرة[٩]، مايشهد بأن الكلام على مصطفى الشهابي وأعماله كلام في نهاية الأمر على تلك المؤسسات وإنجازاتها ومشاريعها ومواقفنا منها. فكيف طرح قضايا العربية وصلاتها بالعلوم الحديثة ومصطلحاتها ومعاجمها ومكانزها؟ وما عسانا أن نفيد منها اليوم وغدا.

لابد أن نلاحظ من خلال دراستنا للكتابين السابقين أننا لانروم عرض آراء صاحبنا فحسب بل نطمح إلى تصنيفها وإلى مقارنتها بما جد من جديد اليوم في الميادين التي تعنينا في هذه المحاولة، لاسيما وأن ماعرضه علينا الشهابي في كتابه الأول جاء موزعاً على محاضرات ودراسات رأينا من المفيد أن نربط بينها برباط يوحد بينها ويمكن من عرضها حسب المفاهيم الأساسية التي تصورها الشهابي.

١-٤° فمن تلك المفاهيم نذكر:

أولاً: مفهوم اللغة : وتحته أدرج حقولاً لغوية مختلفة منها تعريف اللغة عموماً واللغات وطوائفها، واللغة العربية وأصلها ونشوؤها. وقد عرضها في

ومضات ولمحات مركزة جامعة مترابطة.. فعرف اللغة تعريفاً نفسانياً «اللغة نطق يعبر عن فكرة أو عن عاطفة» وتعريفاً صوتياً «اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» وقد أخذ هذا التعريف من المعجمات وهو لأبي الفتح بن جني في الخصائص. وعرفها كذلك اجتماعياً «وجميع اللغات إشارات لتفاهم البشر.» فضلاً عن أنه نسبها إلى علم الإشارات فقال: «لغة العلم ولغة العين، ولغة الإشارة»[١٠].

المهم هو أنه اعتمد قوانين عامة تطلق على جميع اللغات بدون استثناء بما في ذلك العربية، وتدرجها في نطاق تعريفات اللسانيات المعاصرة التي تعرف اللغة من زوايا مختلفة شريطة أن يكون التعريف المعتمد قانوناً علمياً موضوعياً وكلياً. ولقد أضاف إلى اللغة لغة الإشارات كأنه يريد أن يميز بين التعريفات الثلاثة الأولى التي تطلق على اللغة الطبيعية الإنسانية، وهي من خصائص علم اللسانيات، والتعريف الرابع الذي يطلق على اللغات غير الطبيعية أو الاصطناعية[١١]، وهو من خصائص علم العلامات (السميولوجية). ولاشك في أننا معنيون في ميدان المصطلح العلمي باللغة الإنسانية الطبيعية بقدر مانحن معنيون باللغات غير الطبيعية ورموزها مثل رموز الكيمياء والفيزياء والرياضيات... إلخ التي نعاني الكثير منها في سبيل توحيدها وتقييسها في العالم العربي المعاصر. فلقد كان الشهابي واعياً بهذه الخصائص وما إليها من قضايا وقد جاءت متداخلة في نصه. وأعتقد أنّه كان متمكناً من ذلك تمكناً واضحاً زوده به إدراكه اللغوي وتجربته العلمية المخبرية. ويؤكد ذلك امتناعه عن تعريف اللغة تعريفاً موسوعياً، واقتصاره على العلمي الأساسي منها.

ويظهر ذلك أيضاً في تدرجه من الأعم إلى العام. فلقد تطرق بعد اللغة إلى اللغات وفصائلها المختلفة وأكد خصائصها المتقاربة والمتباعدة وفي

ذهنه قضية الأخذ والعطاء والمصطلح المعرب والدخيل في جميع اللغات وفي العربية بالخصوص. ففتح الباب لعلم اللغة المقارن الذي كانت سوقه رائجة عند أهل جيله وعنده، لأنه كان عالماً بتداخل اللغات وتفاعلها لاسيما وأنه كان يحسن الفرنسية والتركية فضلاً عن تضلعه في العربية. وآل به المطاف في مرحلة ثالثة إلى العناية بأصل اللغة العربية وتطورها وثرائها، وبخاصة ببنيتها الأساسية التي تعتبر ركيزة المصطلح المنشود. فلقد وسمها بالبنية الثنائية. وهنا تظهر صلته بابن جني وبمعاصريه الأب أنستناس ماري الكرملي، والأب مرمرجي الدومنيكي[١٢] اللذين روجا في عصره وفي المجامع اللغوية العربية مفهوم الثنائية اللغوية المتولدة من نظرية دروين في النشوء والتطور[١٣]، وقد دعا إليها أحمد فارس الشدياق من قبل في مقدمة معجمه «سر الليال في القلب والإبدال» وفي مداخله ومحتواه.

إن هذا الرأي يخالف رأي الخليل وسيبويه وابن عباد الذين يقولون بأن الثلاثي متمكن في العربية باعتبار أن الكلمة العربية متكونة من ابتداء وحشو ووقف[١٤]. وذلك مايؤيده القرآن الكريم الذي لم يرد فيه إلا ١٥ كلمة ثنائية[١٥]. ويبدو لنا أن الشهابي كان مشغولا بالثنائية لارتباطها بقضية النحت وباحتمال اعتماده في الكيمياء التي تكاثرت فيها المنحوتات واستعصى حلها، وإن كان ابن فارس قد سعى في مقاييسه إلى الإحاطة بها وحلها حلاً عربياً يستحق الاعتبار كما سنرى ذلك فيما يلي.

١-٥* ولقد كان هم الشهابي من كل ماسبق، ورغم ماخالفه من آراء، أن يؤسس لمفهوم اللغة الذي يعتبر مفتاحاً جوهرياً لطرح مفهوم يشغل بالنا وهو:

ثانياً: مفهوم المصطلح : فلقد عرفه لغوياً واشتقه من جذر: «صلُح» وميزه بالمواصفات التالية:

أ – ينشأ من عملية لغوية مجازية تعتمد على المناسبة أو المشاركة أو المشابهة.

ب ـ يتكون شكلاً من لفظ واحد للدلالة على معنى واحد.

ج ـ يختار عن قصد ولايوضع ارتجالاً لأنه ناتج عن «اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص».[١٦]. فهو مختلف أساساً عن ألفاظ اللغة العامة التي كثيراً ماتكون اعتباطية مثلما أشار إلى ذلك دي سوسير باعتبار أنه ليس من الضرورة أن تكون صلة بين الدال والمدلول. فيبدو أن الشهابي كان متعلقاً بهذه السمات المعتمدة في المصطلحية الحديثة بقدر ماكان متعلقاً بإدراج كل مصطلح في منظومة تفرض مثلاً أن تصنف مصطلحات الحيوان والنبات بحسب الشعبة والطائفة والرتبة والفصيلة والقبيلة والجنس والنوع والسلالة والضرب والفرد[١٧]. على أن ذلك لايمنعنا من أن نلاحظ أن آراء الشهابي تساعدنا على أن نضيف: أن المصطلح.

١– يستخلص عادة من الرصيد اللغوي العام الفصيح والشعبي والاجتماعي منه.

٢– يمكن أن يشتق من اسم علم مثل Logarithmes من الخوارزمي في الرياضيات وكوبرنيكية من (Copcrnicus) ودروينية من (Darwin) في النبات و (Kilo watt) من (Watt) في الفيزياء، وبسترة من (Pasteur) في الطب.... إلخ، كما يمكن أن يكون مرتجلاً مثلما ارتجل الشعراء والأدباء ألفاظاً خاصة بهم[١٨].

٣– يوضع مفهوم المصطلح أي مدلوله قبل داله أو شكله خلافاً للفظ العام. فتكون معادلته كما يلي:

	مدلول (١)		مفهوم		مف
المصطلح =	————	=	————	=	————
	دال(٢)		اسم		سم

وذلك مايضمن دقته وفصاحته الكامنة في توحيده المتفق عليه مسبقاً.

٤- المصطلح العلمي ولاسيما التكنولوجي لايتقيد بلفظ واحد للتعبير عن معنى واحد. فيمكن أن يكون ثنائي اللفظ أو ثلاثيه مثل أكسيد الحديد أو ثنائي أكسيد المنغنيس، كما يمكن أن يكون قالباً كاملاً[١٩] مثل: «مقياس فلط للضوضاء المغيرة دولياً»[٢٠] أو «شبكة مقارنات أحادية النبضات»[٢١] ولا يمكن فصل عنصر منه عن البقية وإلا اختل المعنى المقصود به. وتطرح هذه المصطلحات قضية ترتيبها بالمعجم.

٥ - في كثير من الحالات يكون شكل المصطلح العلمي ومحتواه مختلفين عن اسمه العام الاجتماعي والثقافي فان دال «الماء» في الاستعمال العام يختلف عنه في الكيمياء التي تعبر عنه به «H^2O». وهو من الرمز الذي يمثل مشكلاً قائماً في اللغة العربية التي مازالت تبحث له عن مقابل عربي يؤديه.

٢-١° وللمصطلح مواصفات كثيرة أخرى لها صلة بعلوم المنطق والفلسفة والدلالة[٢٢]، ولقد خصص له علم لساني جديد يدعى علم المصطلح[٢٣] الذي ينظر في قضاياه وفي توحيده وتقييسه في نطاق العلوم المعاصرة التي تكون في حد ذاتها مفهوماً ثالثاً قد اعتنى به مصطفى الشهابي.

ثالثاً: مفهوم العلوم وسعته : وقد اهتم به الشهابي اهتماماً خاصاً وتوسع في قضاياه النظرية والمطبقة باعتبار أنه مربوط ربطاً بالمصطلح نفسه وبنيته وكمه وكيفيته. فلاحظنا أنه حصره في العلوم التجريبية المعاصرة مثل الفيزياء والكيمياء والطب والنباتات والعلوم الزراعية والعلوم الهندسية

والعسكرية والرياضيات والصناعات وأشار عرضاً إلى الفلسفة والشرائع المدنية. وغابت العلوم الأدبية والإنسانية والدينية وماإليها. فما الداعي لهذا الاقتصار على علوم دون أخرى؟ وهل كان له هدف مقصود؟ لقد بين أن العلم التراثي سواء العربي أم اليوناني أم اللاتيني قد تجاوزه الزمن من حيث محتواه، وبالتالي من حيث مصطلحاته، وإن كان قد استعان به، فيما يبدو، في وضع معجمه في «الألفاظ الزراعية». وذلك ماسنعود إليه.

المهم أنه قد اعتنى بالعلم من حيث نوعيته وحداثته وكمه باعتبار اتساع العلوم الحديثة مقارنة بالعلوم القديمة. فهو معني بالهوة العلمية المصطلحية القائمة بينهما وبما عسى أن يملأها من المصطلحات والمفاهيم الجديدة فقال: «هذه العلوم قد حملت علماء الغرب عبء إيجاد آلاف مؤلفة من المصطلحات الجديدة ضموها إلى لغاتهم على حين أن لغتنا هي خلو منها أو من معظمها»(٢٤) فهل وفقت مجامعنا ومؤسساتنا المتخصصة من عهد الشهابي إلى اليوم إلى ملء تلك الهوة؟ فالسؤال مازال مطروحاً لأنه لم يوضع مايكفي من المصطلحات والمفاهيم العلمية والفنية العربية مايغير نظرة الشهابي النقدية للإنتاج المصطلحي العلمي العربي.

٢-٢* وذلك مادعاه إلى تصور آلية لغوية لتنمية ذلك الانتاج بالاعتماد على وسائل متنوعة من الوضع ستثري المعجم العربي العلمي وتنهض به، بقطع النظر عما تحتاج إليه تلك الوسائل من دعم علمي ومعرفي عربي رائد ومتوافر.

رابعاً: مفهوم التوليد اللغوي : فهو عند الشهابي وعند الكثيرين من أمثاله آلية نظرية وتطبيقية يمكن أن تحقق مبادرة حضارية جديرة بالاعتبار. ومفاد ذلك أن حضارتنا ستكون على قدر ماتولد من المفاهيم والتصورات والمصطلحات التي ستفتح لنا أبواب العلوم، وبالتالي أبواب الحضارة الرائدة.

ولعل ذلك مايفسر اهتمامه بالمبادئ التي وضعها النقلة القدماء لوضع المصطلح[٢٥] دون أن يضرب لها أمثلة ودو أن يفصل في مصادرها ومراجعها. وسبب ذلك أن يفسح المجال إلى مفهوم التوليد المصطلحي العلمي في نظره وفي العصور الحديثة.

فللتوليد في نظره إجرائيات أولية، ومن شروطها أن يكون لنا نظام لنقل الأسماء والمصطلحات المعربة والدخيلة نقلا صوتيا علميا – وهو ماندعوه بالنقصوة[٢٦] – يحافظ على أصولها في لغاتها المنقول عنها، وعلى دقتها اللغوية والمصطلحية والعلمية التي كثيراً ماستبد بها الارتجال والتداخل. ولقد شهد الشهابي على تضارب المقترحات العربية المتعددة في هذا الشأن وعلى قلة جدواها وعلى إشكالاتها اللغوية[٢٧]، وآل به الأمر إلى تعديل قرارات أصدرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في هذا الصدد فقال: «جاء في المادة الثالثة أن الحرف (V). يرمز إليه بفاء فوقها ثلاث نقاط (ڤ). فمن المفيد إضافة أنه قد يرمز إليه أيضاً بالواو أحياناً ولاسيما إذا جاء الحرف في أول الكلمة الأعجمية مثل ونيلية أو وَنّلة»[٢٨]، ويعني ذلك أن هذا النظام الصوتي المنتظر يحتاج إلى تجربة ثقافية وعلمية تراثية وحديثة للإلمام به. فالقضية لن تأخذ حظها من التطبيق العلمي الصحيح مالم تعتمد على الأقل على شرطين أساسيين.

١– استقراء طرق ومنهج القدامى في هذا الشأن ويشهد على ذلك مثال الشهابي السابق الذكر. وقد سعى إبراهيم بن مراد إلى أن يحيط بهذه القضية في دراستين أساسيتين[٢٩] نرجو أن تأخذهما المؤسسات المتخصصة بعين الاعتبار.

ب – استقراء طرق المحدثين وفي مقدمتهم طريقة الشهابي لاستجلاء موقفهم من الموضوع المطروح.

ج ـ استخلاص نظام صوتي علمي عربي مما سبق يؤالف بين مقتضيات التراث ومستلزمات الحداثة، يضعه إخصائيون في الأصوات والمعربات المقارنة والحاسوبيات....... والواضح عند أهل الصنعة أن وسائل التوليد المعتمدة في العربية أربع. وهي: الاشتقاق والمجاز، والنحت والتعريب كما جاء عند الشهابي نفسه(٣٠). ويهمنا ترتيبه لها وآراؤه النظرية فيها. فلقد سبّق الاشتقاق واعتبره أساس التوليد العربي انطلاقاً من الجذر المشترك. وخص المجاز بالمرتبة الثانية لأنه يفترض أرضية اشتقاقية ينقل منها المعنى المعجمي الأصلي إلى معناه السياقي المتجوز فيه. أما النحت فهو عنده إيجاز أو اختصار كلمتين أو جملة لتوليد كلمة فذة تأخذ منها بنصيب لايحتج له بقاعدة ثابتة. ولذلك ظل يتأرجح بين السماع والقياس حتى أقره مجمع اللغة العربية بالقاهرة وسيلة قياسية(٣١) بالاعتماد على نصوص تحتاج إلى نظر، لأنها غبنت نظرية ابن فارس في شأنه(٣٢) كما سنرى ذلك فيما يلي. وتعتبر الوسائل الثلاث السابقة من ذات العربية وشجاعتها. لاسيما وأن الشهابي يورد الرأي الذي يقر النحت ضرباً من الاشتقاق. أما التعريب فهو آلية خارجية يؤخذ بها عند الضرورة فضلاً عما يتطلب من معايير تتعلق بكيفية نقله من لغته الأصل وبالتصرف فيه، وقد جاءت متناثرة في كتاب الشهابي الذي أشار إلى وسيلة خامسة متصلة به. وتتمثل في استرجاع المصطلحات العربية التي استعارتها اللغات الأخرى، دون الاحتجاج لها بالباطل(٣٣)، فلا يمكن أن نعتبر أن Acheter من اشترى ولا Agreer من أغرى. وركز على وسيلة سادسة تتمثل في استعمال الكلمات العامية في علم النبات والحيوان «فنحن نتساءل لماذا ذكرت كلمة سنديان في القاموس المحيط... ولم تذكر كلمة «ملّول» (التي) لاتقل شهرة عن الأولى في أحراج الشام»(٣٤). وذلك مافعله العشابون العرب من أمثال ابن البيطار. ولايمكن أن ننسى إشارته في

مقدمة معجمه «الألفاظ الزراعية» إلى وسيلة سابعة وهي تتعلق بإحياء المصطلحات العربية واستعمالها استعمالاً حديثاً من ذلك السيارة والذرة والقطار.. المولدة مجازا.

إن وسائل التوليد تحتاج كما أشار إلى ذلك الشهابي إلى رؤية تنظيرية توضحها بالاعتماد على التجربة والاستعمال القديمين والحديثين وعلى قوانين اللسانيات العامة. من ذلك أن الاشتقاق لايهمنا منه إلا مظهران(٣٥): الاشتقاق الكبير أو التقليب الخليلي والاشتقاق الصغير ومايلحق بهما اعتباراً لطاقتيهما التوليديتين، سواء في مستوى القدرة المحض أو في مستوى الأداء. وذلك مايستوجب مشروعا حاسوبيا يوفر للمعجمي أو للمصطلحي كل الصيغ الممكنة والمحتملة التي تساعده على أن يتعامل مع آلية منتظمة وجاهزة توفر له صيغاً وأشكالاً ونماذج آلية «يصطلح عليها» لأداء مفاهيم تتجاوز معارك السماع والقياس مثلا حول صيغة مُفَعْلَة للدلالة على أسماء الأعيان التي تجاوزت ثلاثة أحرف(٣٦)، أو حول النحت وعروبته... الخ.

ويمكن أن نتطرق إلى المسألة من خلال مانسميه باليعربيات(٣٧) ونعني بها وسائل الوضع اللغوية التي من ذات العربية وشجاعتها في مستواها الفصيح أو الاجتماعي الشعبي. فمن ذلك:

١- الاشتقاق الصغير التقليدي الذي يحتاج إلى ضبط كل صيغة ووضعها لبناء منظومة منه خاضعة للتصنيف والاستعمال.

٢- الاشتقاق التقليبي الخليلي انطلاقا من الصيغ الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية وماتوفره من صيغ مهملة ومستعملة تتجاوز الإبدال المحدود الصور من نوع جذب وجبذ اللذين ذكرهما الشهابي. فالمصطلحي مدعو إلى نظمنة(٣٨) تلك التقليبات الخليلية الآلاف واستثمارها لأداء مفاهيم متنوعة.

٣- النحت باعتباره أساسا من أسس الاشتقاق الصغير بالاعتماد على عنصرين استخلصناهما من مقاييس ابن فارس[٣٩] الذي سمي العنصر الأول منه «النحت المشتق» والعنصر الثاني «النحت القياسي». وهما مصطلحان من وضعه ومن نظريته العربية في النحت. ويصاغ الأول بزيادة حرف في أول الثلاثي أو وسطه أو آخره[٣٩] خلافا لما اقترحه الشهابي الذي صاغ نوعا من هذا القبيل بزيادة حرف في الأول أو الوسط أو الآخر على الثنائي (رم — ترم — رتم) و (نب — نبس — نبر)[٤٠]. أما الاشتقاق القياسي فانه يتولد من مزج كلمتين فأكثر لإنشاء كلمة فذة. وهو يخضع لقواعد تكاد تكون رياضية[٤١] تضبط ما يسقط من الصيغتين العميقتين ومايبقي في الصيغة السطحية الجديدة المنحوتة منهما والتي يمكن أن تخضع بدورها للاشتقاق الرياضي الخليلي.

٤- النحت المختصر: وهو نوع لم يتعرض له ابن فارس ويتمثل في الجمل المختصرة التالية: بسمل، وحمدل ودمعز.. الخ وهذا النحت أقل الأنواع خضوعا للنظمنة والتقعيد لأن أمثلته الاعتباطية القليلة لاتخضع لقوانين عامة تحيط به. ويمكن إخضاعه لقوانين الاشتقاق الخليلي عند إقرار منحوته المختصر.

٥- المجاز: بابه مفتوح واسع يهمنا منه أنه يشتق من المعنى الأصلي ومايتفرع عنه من المعاني السياقية. فهو نوع من الاشتقاق الدلالي المعنوي الذي يطرح مشاكل في مستوى المصطلح وتوحيده إن اعتبرنا مظهر المشترك منه والمترادف. وفي هذا المجاز يدخل إحياء المصطلح التراثي وتطوير معانيه وتغير مفاهيمه. وهو يحتاج إلى نظمنة صعبة المنال[٤٢].

٦- الرصيد الاجتماعي والشعبي: إن وسائل توليده اللغوية لاتختلف عن وسائل الرصيد الفصيح في عناصرها الأساسية. ويمكن أن تستمد منه

المصطلحية الشعبية والاجتماعية والنفسية وذلك بالاستفادة من مناهج وقوانين علم اللغة الاجتماعي والأنتربولوجي والجغرافي (الأطالس اللغوية) للم شتات معجمه الذي عزل عن الفكر والثقافة والحضارة العربية على مافيه من مفاهيم ثرية يمكن الاستعانة بها في ميادين الزراعة والجيولوجية والأحياء والطب والعمارة.. الخ. ولقد استبعد تلك الثروة تصورنا لمفهوم الفصاحة التقليدية[٤٣] التي استبدت بالفصاحة اللغوية والحضارية ومنها التعريب.

٤- التعريب: وسيلة من وسائل نقل المصطلح العلمي لأنه يعتمد على مبدأ الأخذ والعطاء الذي يمثل تحاور الثقافات ولغاتها. ومنها لغات مصدر ولغات هدف، مما يعني أنه ظاهرة كونية لاتسلم منها لغة مهما كانت. وهو يعتمد لسد ثغرات معينة قائمة ملحة تكون شاهدة على ثغرات مصطلحية عامة أو متخصصة في اللغة المستهدفة وعلومها وحضارتها. والموقف منه كثيراً ماكان عقديا سلبيا أكثر منه لغويا أو علميا لأن اللغة المستهدفة محتاجة إلى التآلف مع مصطلحية دولية لاغنى لها عنها مثلما هو الشأن في مصطلحات الكيمياء التي تكاد تكون واحدة في جميع اللغات.

الملاحظ أن قضية التعريب كثيراً ماطرحت طرحاً لم يسلم من الارتجالية والتسرع والعاطفة. ولم تحظ بعد الجواليفي بدراسة شاملة وصفية هادئة تستند إلى مقاييس الدراسات اللسانية المعاصرة للإحاطة بقضاياها ومنها:

١- ضبط الفئات الاجتماعية والثقافية التي تستفيد منه، ويعنينا منها الفئات العلمية بالخصوص.

٢- القنوات التي تستورده. وللاعلام[٤٤] وخاصة الإعلانات والإشهارات الصحافية التجارية[٤٥] تأثير بالغ في هذا الشأن على بنية اللغة المستهدفة وخصائصها.

٣- النسب المستعملة منه. فهو يحدد في صيغته الاعتيادية بنسبة ٤ في المائة ويمكن أن يبلغ ١٥ في المائة، كما يمكن أن يتجاوز ذلك بكثير. فما هي الحدود التي يصبح فيها خطرا على اللغة الهدف حتى نتصدى له علميا وحضاريا؟

٤- المستويات التي يتكاثر فيها. فهل هو غالب في الفصيح أو في الكلام الشعبي؟ وهل هو مقتصر على المفردات والمصطلحات أو على الأساليب(٤٦)؟

٥- كيفية تبليغه. ومنها اللغة المصدر التي يفضل الأخذ منها والوجه الذي يدخل به إلى اللغة المستهدفة. فمنا من يرتضيه معربا متآلفا مع قواعد لغتنا، ومنا من يفضله دخيلا شاهدا على أصله ومنا من يدركه مولدا عاما له وظيفة علمية وحضارية ضرورية. ولقد تفرقت السبل في ترشيد ذلك التبليغ.

والملاحظ أن الخلاف لاينتهي عند هذه المفاهيم الثلاثة بل يتجاوزها إلى تصور معجم علمي يشمله ويسد الفراغات التي حصلت بعد الجواليقي وغيره، شريطة أن يكون مقيدا بمعايير المعجمية المعاصرة. ورأينا أن لنا من المصادر والمراجع والوثائق والنصوص مايدعونا إلى وضع معجم عربي في المعربات ومواصفاتها ووجوهها التي قننت في بعض اللغات تقنينا يكاد يكون رياضيا. إن المصطلح المعرب يحتاج مثل المصطلح العلمي إلى تقنين وإلى توحيد.

٢- ٤ خامساً: مفهوم التوحيد : قدم الشهابي أمثلة عنه كثيرة منها أن: Amibe مثلاً سميتها النغاضة في معجمي وسماها الأب انستاس المُتَمَوِّرة وقبل مجمع مصر الكلمة الأخيرة. فإذا بي أقرأ رأيا لأحد الأساتيذ يقول فيه إن: اصطلاح المتمورة مخالف للذوق اللغوي، ومن الوحشي، والأمية

تفضله[٤٧]. فهل يعني ذلك أننا نستطيع أن نيسر قضية التوحيد المصطلحي بالاعتماد على مبدأ الذوق؟ وذلك مادعا الشهابي إلى التساؤل «ماهي شروط التحلي بهذا الذوق؟ وهل يكفي الذوق وحده للعدول عن كلمة عربية إلى كلمة أعجمية.»[٤٨]

فما هو الحل عندئذ لمواجهة هذه القضية المتفجرة التي أصبحت قضية بين العربي والأعجمي؟ الحلول التي قدمها الشهابي إجرائية أكثر منها لغوية أو فنية[٤٩] ومنها: إشراف الجامعة العربية على الموضوع، ووضع معجم فرنسي عربي وانكليزي عربي في شتى العلوم يعرف فيهما المصطلح تعريفاً عربياً مختصراً كما هو في معجم الألفاظ الزراعية، والتزام الحكومات العربية باستعمال ألفاظ المعجمين بإشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فضلاً عن تجميع الأموال وتكليف لجنة من الإخصائيين لوضع معجم علمي عربي لاحق.

والملاحظ أننا محتاجون قبل الوصول إلى الإنجاز المادي لهذه المعاجم أن نطرح قضايا لغوية ومنهجية عديدة منها تجاوز موقفنا السلبي من الاشتراك اللفظي والترادف والأضداد بتجاوز الخلافات القديمة في شأنها باعتبار أنها عند الكثيرين السبب الأساسي في غياب المصطلح العلمي الموحد. فلا بد أن نقر مايلي:

١- إن تلك الظواهر اللغوية عناصر طبيعية تحتاج إليها كل لغة مهما كانت مكانتها العلمية، بل إنها عنوان عن ثراء فكرها وحضارتها، لها أسبابها ومبرراتها الخاصة لاسيما إذا تعددت المشارب الفكرية والمناهج العلمية وحتى العقدية. فلا غرابة أن يختلف اثنان من مشرب واحد في تسمية شيء ما بمصطلحين اثنين مختلفين في الصوت أو في الصيغة أو في المعنى. مما يدعونا في نطاق توحيد المصطلح إلى أن نجمع كل مايتصل بمفهوم معين وأن نثبت

كل ما اقترح في شأنه من مصطلحات، مهما كانَ مستواها، دون الحكم عليها مسبقا باسم مبدأ من المبادئ التي لاتلتزم بما تفترضه القوانين العلمية من موضوعية وشمولية. فالخطأ ليس في كثرة المترادفات بل في الدعوة إلى وحدانية مصطلحية(٥٠) يخشى منها أن تؤول بنا إلى عرقلة نمو اللغة والمصطلح. إن الاستعمال مثلا كفيل بأن يقر المصطلح المناسب والأصلح إلا أنه لايكفي مادمنا نرى أن المصطلح العلمي هو قبل كل شيء قضية اصطلاح وتصالح(٥١) كما قال الشهابي، يمكن أن نمهد لهما بطرق كثيرة ومنها:

٢- وضع منهجية في التوحيد والتقييس اللغوي، يكون هدفها تقييس المصطلحات المترادفة مثلاً وتوحيدها حسب مقاييس متفق عليها لغويا وعلميا وتسمى قوانين التقييس، قدوة بقوانين التقييس المصطلحية الدولية التي تبنتها المنظمة الدولية للتقييس. ولقد اقترحنا نظاما تقييسيا عربيا(٥٢) يتكون من أربعة قوانين، ماانفككنا نعرضها على المؤسسات والندوات والمؤتمرات العربية حتى وافقت عليه سنة ١٩٩٤ ندوة عمان المخصصة للمصطلح العلمي العربي وتوحيده ونشره وذلك باشراف مجمع اللغة العربية الأردني ومكتب تنسيق التعريب. ونعني بتلك القوانين:

١- الاطراد والشيوع.

٢- يسر التداول.

٣- الملاءمة.

٤- الاشتقاق والتوليد.

ولقد طبقنا لها على مشروع ترجمة مصطلحات الاتصالات وتوحيدها. وهو مشروع باشراف الاتحاد الدولي للاتصالات بجنيف والاتحاد العربي للاتصالات. واعتمدت تلك القوانين في معجم الاتصالات الدولي العربي الموحد(٥٣) الذي أشرفنا على أعماله وإنجازه.

ويقاس شيوع المصطلح المقترح باعتبار المصادر والمراجع التي تؤيد المصطلح الواحد الأكثر ورودا فيها. أما يسر التداول فإنه يقاس على أساس الحروف الأصول العربية التي تتركب منها المصطلحات، فيختار المصطلح الأقل حروفا أصلية لأن قانون «زيف» يفيد أن شيوع اللفظ على عكس طوله. وتضبط الملاءمة بحسب الميادين التي يستعمل فيها المصطلح. فهي تخضع لمبدأ رياضي مفاده أن قوة المصطلح على عكس توسعه إلى ميادين عديدة. ويرتكز التوليد على المشتقات التي تتولد من المصطلح الواحد، فيختار المصطلح الذي تشتق منه صيغ أكثر من غيره. وتسند لكل قانون درجات تقارن وتقابل حتى يختار منها المصطلح المتحصل على أعلى درجة، لأن النظام المعتمد نظام لغوي رياضي دقيق(٥٤) قابل للتحسين والتطوير، لاغنى عنه لتوحيد المصطلح باعتبار أن مااقترح من نظم سابقة له ترتكز على مقاربات تخلط بين وسائل الوضع ومناهج التقييس التي نحتاج إليها في تنظيم مداخل المعجم الاصطلاحي العربي وتوحيدها.

٢- ٥ * سادسا: مفهوم المعجم: المعجم عند الشهابي مصدر المصطلح ومكنزه. ولقد اهتم بقضاياه في القديم والحديث. فسلط الأضواء على المعجم التراثي العام طمعا في اعتماد مادته السلبية لبناء المعجم العلمي الاصطلاحي العربي الذي طبق له بوضع معجمه «معجم الألفاظ الزراعية»(٥٥). إن نظرته النقدية للمعجم العربي العام قد سعت إلى أن تنزله منزلته من العلوم المعاصرة. وهي نظرة فذة لم يسبقه إليها غيره باعتبار دقتها وموضوعيتها التي جسمت عيوب المعجم العربي في تسع نقاط(٥٦) أساسية قد حصرها في عينات من أسماء المواليد، لاسيما في النبات والحشرات. فمن عيوب معاجمنا أنها خلت من أسماء أعيان النبات والحيوان في البلدان التي لم تصلها الفتوحات الإسلامية(٥٧)، وخلطت بين أعيان أسماء المواليد(٥٨)

وفسرت الألفاظ تفسيرا لاينتسب إلي العلم[٥٩] وحلت أعيان النباتات تحلية سطحية[٦٠]، وأخطأت في توصيف بعض الأسماء[٦١]، وكثر فيها التصحيف[٦٢]، وغاب منها أسماء الأعيان التي تغيرت[٦٣] وفسرت كلمات عربية بكلمات أعجمية[٦٤] وخلت من أسماء عامية رائجة[٦٥]. ولقد استخلص الشهابي من ذلك أن معاجمنا «لاتصلح لهذا الزمن»[٦٦]. وذلك شأن المعاجم العامة الحديثة كذلك لأنها «ليست إلا صورة صغيرة مشذبة للمعاجم القديمة»[٦٧] باستثناء المعجم الوسيط الذي خصه عدنان الخطيب[٦٨] بدراسة نقدية تستحق الاعتبار.

واعتنى الشهابي بالمعجم الاصطلاحي العربي المعاصر من خلال ماقدمه من ملاحظات عاجلة حول معاجم متنوعة[٦٩] تعنى بالمصطلحات العسكرية والحرجية والفنية والهندسية والحشرات والحيوان والرياضة والتربية وعلم النفس والدبلوماسية، والسياسية الدولية. وصناعة النفط...الخ. مما يشهد بواسع علمه وبعنايته بالمصطلح بمختلف أنواعه بحثا عن قوانينه العامة بقطع النظر عن تنوعه. ولقد عالج تلك المعاجم مثل سابقاتها مركزا على عينات منها، نخص منها ظاهرة الترادف والتنافر وغياب معايير تنسيقية توحد بينها. وختم نظرته في هذا الميدان بوضع معجمه: «معجم الألفاظ الزراعية» ليكون نموذجاً لها من حيث الجمع والوضع.

فنحن مدينون للشهابي بنظرة نقدية نافذة وبناءة ناجعة في ميدان المعجم، وإن لم يكن من المتخصصين فيه. فلقد زود أدبياته بآراء ورؤى ساعدت على تطويره كما وكيفا. ويحسن بنا هنا أن نلاحظ أن الشهابي كان يطلب من المعجم العام ماليس قادرا على أن يوفره له من معلومات دقيقة أو من معايير ومقاييس معجمية هي من خصائص المعجم العلمي العربي التراثي المتخصص. وهو أقرب إليه وإلى مشاغله المصطلحية ومنه كتاب

جامع العلوم للقاضي الأحمد كثيري وكشاف اصطلاحات العلوم للتهانوي ومخصص ابن سيده الأندلسي الذي أشار إليه في مقدمة معجم الألفاظ الزراعية، وقد ضمنها أغلب آرائه في المصطلح والمصطلحية الواردة في كتابه «المصطلحات العلمية» السابق الذكر. وقد لاحظنا أن الشهابي لم يعتمد من ابن سيده على تعلقه به مبدئيا[٧٠] أكثر من ١٩ مصطلحا مما يقرب من ٩٩٩٦ مصطلحا في معجمه[٧١]، وذلك مايطرح قضية الاستفادة من مصادر التراث العلمية. وهي قضية تستحق العناية حتى نقف على أثر هذا الرصيد العلمي في أعمال العلميين والاصطلاحيين والمعجميين العرب المعاصرين[٧٢]. لقد وضع الشهابي معجما متخصصا في الألفاظ الزراعية. وهو معجم ثنائي في الحقيقة فرنسي عربي قد سعي إلى أن يحيط بكل الألفاظ الزراعية المعتمدة في اللغة الفرنسية[٧٣] مما استوجب من المؤلف عملا جبارا من حيث جمعه ووضعه، وهما عمليتان قل أن وفق إليهما معجمي واحد كما أشار إلى ذلك ابن منظور، [٧٤]فضلا عن عمليتي الترجمة والمؤالفة سواء بوضع مالم يوجد من مصطلحات عربية مقابلة للفرنسية، أم باعتماد مصطلح قديم بمعنى حديث. أم باشتقاق صيغة جديدة من الرصيد العربي المعياري لأداء مفاهيم جديدة[٧٥]... الخ مع تصنيف كل مصطلح حسب شعبته وطائفته ورتبته وفصيلته وقبيلته وجنسه حسب التصنيف العلمي الذي نادى به في كتابه السابق. [٧٦]فأضاف الكثير من ألفاظ الزراعة لمعجم العربية المتخصص دون أن يطلق فيها الرأي «لاأدعي العصمة، ولاأدري ماسيعيش وماسيموت من مئات الألفاظ التي أضفتها إلى لغتنا العربية»[٧٧] وقد أكد أن معجمه «معجم ألفاظ زراعية لامعجم علوم زراعية ولا دائرة معارف زراعية.»[٧٨] واعتنى فيه بتعريف معظم الألفاظ بالعربية أو بشرحها شرحاً علميا موجزا. [٧٩] وفي كلّ ماسبق مايدلنا على

مفهوم المعجم المتخصص عند الشهابي. فهو يرتكز على العناصر التالية:

١- الجمع وهو ثلاثي المصادر إذ جمع مادته من المؤلفات القديمة - وهي قليلة - أو الحديثة بما في ذلك مصطلحات المجامع اللغوية. ومن مترجماته وتعريباته التي كثيراً ماانتحلها غيره دون الرجوع إليه(٨٠).

٢- في الوضع اعتمد النظام الالفبائي الفرنسي ووضع مسردا عربيا(٨١) ألفبائيا يسمح بالرجوع إلى مصطلحاته في صفحات الالفبائية الفرنسية.

٣- عرف مصطلحاته تعريفاً وصفياً وهو تعريف سائد في المعاجم المتخصصة العلمية. فزودنا بمعجم من أهم المعاجم العربية المتخصصة المعاصرة. وهو يعتبر رافدا من الروافد التي ستساعدنا على تصور المعجم عموما والمعجم العربي المتخصص، فضلا عن تصور معجم علمي اصطلاحي موسوعي. فيكون قد ربط بين مفهوم المصطلحية وقضاياها والمعجم ووظيفته.

ولاشك في أن معجم الشهابي يطرح مقاربات وإشكالات مهمة باعتبار ماجد من جديد في ظاهرة المُعْجَمِيَّة التي أصبحت علما لسانيا مستقلا إلى قسمين: المُعْجَمِيّة(٨٢) وهي تعني بالقضايا النظرية الخاصة بالمعجم، والمَعْجَمِيَّة(٨٣) وغايتها بناء المعجم بناء عمليا تطبيقيا. وتكونان عنصرين مترابطين متلازمين لابد من الأخذ بهما وبمقاييسهما(٨٤) الكثيرة المتنوعة التي سنقتصر على مفهوم المعجم ومفهوم التعريف منها. فالمفروض هنا أن نميز بين الرصيد اللغوي (Lexique) والمعجم (Dictionnaire) وقائمة الألفاظ (Glossaire) ومخصص الألفاظ (Vocabulaire) وما وراءها من قضايا نظرية وتطبيقية كثيرة كما تشهد بذلك أسماؤها الأعجمية، مما يستوجب بناءها على معايير ومحتويات تختلف من صنف إلى

آخر منها. «فالمعجم» مثلا يختلف في محتواه «عن الرصيد اللغوي» الذي يعتبر أوسع منه وأشمل، كما يختلف عن «قائمة الألفاظ» التي تأتي خالية من كل تعريف. وهو يقرب من «مخصص الألفاظ» الذي يتميز عنه في مستوى التعريف أو مايمكن أن نسميه النص المعجمي، وهو مفهوم يعتبر ضالة المعجمي باعتبار أن تاريخ المعجم هو تاريخ نصه وماإليه من قضايا. فإلى أي صنف من هذه الأصناف ينتسب معجم الألفاظ الزراعية للشهابي؟ نعتقد أنه ينسب إلى صنف «مخصص الألفاظ» الذي يركز على ميدان مخصص كما أشار إلى ذلك الشهابي نفسه(٨٥). أما نصه المعجمي فهو مبني على العموم على التعريف «المنطقي» الذي يعتمد عند المعجميين على تعريف الشيء بطبيعته ووظيفته وتصنيفه. وذلك مانجدهُ مطبقا في أغلب تعريفات الألفاظ الزراعية عند الشهابي. وهي تختلف عن تعريفات نص المعجم العام الذي تندرج فيه ثمانية تعريفات: الصوتي. والصرفي والنحوي، والدلالي والبلاغي والأسلوبي، وبالشاهد وبالصورة ويتفرع كل نوع منها إلى تعريفات ثانوية كثيرة(٨٦). وتعتبر الصورة جزءا هاما من مخصص الألفاظ. ولقد غابت في معجم الشهابي لأسباب يبدو أنها اقتصادية أكثر منها علمية. ويطرح هذا المعجم كذلك قضايا تتعلق بالتعريف الصوتي الذي تستوجبه الكلمات المعربة أو الدخيلة الواردة فيه(٨٧) وبتعريفاته «المنطقية» التي لاتلتزم دائماً بالثلاثية الأساسية (طبيعية – وظيفة – تصنيف)(٨٨)، فضلا عن أنها تصبح تعريفات موسوعية تنتسب إلى الموسوعات أو الرصيد اللغوي(٨٩) أكثر منها إلى «مخصص الألفاظ» إذن فالنص المعجمي المتخصص يتطلب الاصطلاح على معايير تعريفية ثابتة يختص بها كل معجم متخصص أو كل «مخصص ألفاظ» ومنها الاعتناء بالتعريف بالإحالة للذي استوجبه معجم الشهابي الثنائي اللغة. فلقد احترم المبدأ في أغلب الألفاظ المحالة عنده(٩٠) إلا

أنه لم يطبقه على المترادفات التي أدرجها تحت مدخل ألفبائي رئيسي معين لاشتراكها معه في المعنى، وإن اختلفت في الشكل(٩١). وبالتالي اعتمد الترادف والمطلوب تجنبه في المصطلح وبالخصوص في مستوى النص المعجمي العلمي. والمفروض أن تحال تلك المترادفات على مداخلها الألفبائية وترتب ترتيبا بالاشتراك أو بالتجنيس(٩٢) اللذين اختلف في شأنهما المعجميون واللسانيون. ولقد سعى الشهابي إلى اعتماد الترتيب بالتجنيس، ومفاده تخصيص مدخل مستقل لكل معنى وذلك بتكرار نفس المدخل كلما تغير معناه، باعتبار أن وحدة الشكل تختلف عن وحدة السياق. وتجنب في معجمه، الترتيب بالاشتراك عموما، ومفاده ترتيب دلالات كثيرة تحت مدخل واحد وبالأحرى تحت شكل موحد باعتبار أن كل المعاني المذكورة تعود إلى جذر معنوي مشترك مهما تباعدت وتغيرت. وعلى هذا الأساس فان مدخل «سيارة» واحد في الترتيب بالاشتراك مهما تغيرت معانيه. وهو رباعي(٩٣) في الترتيب بالتجنيس. وذلك شأن «الإمساك» في معانيه العامة والفقهية والطبية، وشأن «الكريك» الواردة في المعجم الوسيط الذي رتبها ترتيبا بالاشتراك، وإن كانت تعبر عن ثلاث دلالات تفيد ثلاث آلات مأخوذة من ثلاث لغات - تركية وفارسية وأوربية - مختلفة كأنها من أصل واحد وهو «كرك» الذي لانعرف له صلة بنظيره العربي. فلو رتب ترتيبا بالتجنيس لكان أجدى وأقرب إلى أصوله اللغوية. ولا شك في أن الشهابي قد بذل جهودا موفقة للإيفاء بشروط المصطلح العلمي في حد ذاته وفي نطاق المعجم الاصطلاحي العلمي وبما يتطلبه «مخصص الألفاظ» الذي أثرى به العلوم الزراعية العربية المعاصرة مزودا إياها بمفاهيم ودلالات تستحق التقدير. ولقد دأب على هذه الروح العلمية الخلاقة في جميع أعماله ولا سيما في ميدان المصطلح والمصطلحية العربية الحديثة. فوضع أصولها وأسس

لمقاييسها ومعاييرها النظرية، وطبق لها في شتى العلوم وبالخصوص في ميدان اختصاصه الذي برّز فيه. فترك لنا تراثا منهجيا وعلميا نحن مدعوون إلى دعمه والاقتباس منه واستلهامه لمزيد من البذل والعطاء في سبيل ترقية اللغة العربية وجعلها وافية بالفنون والعلوم والريادة الفكرية والحضارية. والفضل يعود إلى مجمع اللغة العربية بدمشق الذي اصطفاه لعلمه، ووفر له المناخ العلمي والفكري وذلك بانتخابه عضوا من أعضائه الخالدين، ورئيسا علميا له ليسهم في أداء الرسالة الحضارية العلمية التي دعا إليها المجمع من سورية العربية. وكان المنارة العربية الحضارية الأولى في العصور الحديثة التي دعت علماء الأمة العربية ومثقفيها - ومنهم مصطفى الشهابي واتباعه - إلى وثبة علمية ولغوية تجدد عهد المعرفة العلمية وتفتح لنا أبواب السماوات. فهنيئاً لمجمعنا بعيده الخامس والسبعين وبرجاله العاملين وبرسالته العلمية الرائدة.

الحواشي

١- عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق، أستاذ بجامعة تونس الأولى - تونس - وبجامعة السلطان قابوس - سلطنة عمان.

٢- محمد رشاد الحمزاوي: المجمع العلمي العربي وترقية اللغة (بالفرنسية) بريل ليدن ١٩٦٥ م.

٣- محمد رشاد الحمزاوي: مجمع اللغة العربية بدمشق والنهوض باللغة (بالعربية) تونس ١٩٨٨.

٤- سامي الدهان: أ - مجلة مجمع دمشق ج ٣٠ / ٢١١ - ٢٥٢ (١٩٥٥).

ب - محمد رشاد الحمزاوي: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة - تونس - بيروت ١٩٧٢، ١٩٨٨م ص ٨٨-٨٩

٥- محمد رشاد الحمزاوي: أعمال مجمع القاهرة، ص ٨٦-٨٧.

٦- المصدر نفسه ص ٦١٩.

٧- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث القاهرة ١٩٥٥، ودمشق ١٩٦٥، ٢١٩ صفحة.

٨- مصطفى الشهابي: معجم الألفاظ الزراعية. مكتبة لبنان ط ثالثة ١٩٨٦، ٩٤

صفحة+ ٩٨ صفحة .

٩- محمد رشاد الحمزاوي: أعمال مجمع القاهرة ص٦١٩ .

١٠- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ٥ حيث توجد كل التعريفات المذكورة أعلاه.

١١- اللغات غير الطبيعية كثيرة منها لغة الصم البكم، ولغة العميان، ولغة إشارات المرور والمورس، والموسيقى، والكيمياء. والرسم والرياضيات والحاسوب... الخ.

١٢- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ٧-٨ .

١٣- انظر أوغست شلايشر: نظرية دروين وعلم اللغة - ١٨٦٣ (بالألمانية) وجبر ضومط: فلسفة اللغة العربية وتطورها - القاهرة ١٩٢٩م.

١٤- جاء ذلك صريحا في مقدمة كتاب العين للخليل. وقد دعمه ابن عباد بالاحصاء في مقدمة معجمه المحيط. [قال في العين ١: ٤٩ «الاسم لايكون أقلّ من ثلاثة أحرف: حرف يبتدأ به، وحرف يحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه» / المجلة] .

١٥-- محمد رشاد الحمزاوي: أعمال مجمع القاهرة. ص ٢٩٧-٣٠٣ حيث تعرض للدراسات والمداولات والمناقشات الحادة التي دارت في رحاب مجمع القاهرة حول الأصول الثنائية والثلاثية في اللغة العربية.

١٦- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ٥ .

١٧- المصدر نفسه ص ٩٦- ١٠١ .

١٨- المصدر نفسه ص ٨٦، إبراهيم أنيس: الارتجال في ألفاظ اللغة: مجلة مجمع القاهرة ٣٠٦/٨ - ٣١٤ . وقد نفى فيه كل دور للارتجال.

١٩- ويعبر عن ذلك بـ Syntagme في اللسانيات الحديثة.

٢٠- الاتحاد الدولي للاتصالات Glossary, Geneva 1987 P. 382.

ويعنى به INTERNATIONAL STANDARD NOISE VOLMETER.

٢١- المصدر نفسه ص ٤٦٢ ويعنى به MONOPULSE COMPARATOR NET WORK

٢٢- انظر في هذا الشأن H. Felber: A Manual of Terminology. Paris 1985

٢٣ - انظر - Guy Rondeau: introduction à la terminologie Paris 1984

٢٤- مصطفى الشهابي: المصطلحات ص ٣٢ .

٢٥- المصدر نفسه ص ٢٨ .

٢٦- كلمة منحوتة من «نقل الصوت» تعبيراً عن TRANSCRIPTION التي تعتمد نظاما ينقل الأصوات من لغة إلى أخرى حسب نطقها في لغاتها الأصلية. وهي تختلف عن النقحرة من «نقل الحرف» تعبيراً على Translitteration التي تعتمد نظاما ينقل أصوات اللغة المنقول عنها حسب أصوات اللغة المنقول إليها.

٢٧- مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية ص ١١٧- ١٢٧- ١٤٩- ١٥١- ١٦٥- ١٧٤ حيث عرض لكل المشاريع التي اقترحت لبناء نظام صوتي علمي عربي مثل نظام كوبنهاغن المتفق عليه سنة ١٩٢٥، ولقد عدل سنة ١٩٨٩ .

٢٨- المصدر نفسه ص ١٧٠ .

٢٩- إبراهيم بن مراد: المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة - تونس ١٩٧٨، والمصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية - بيروت١٩٨٥ .

٣٠- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ١٣- ٢٠ .

٣١- المصدر نفسه ص ٢٠ .

٣٢- محمد رشاد الحمزاوي: المعجم العربي: اشكلات ومقاربات، تونس ١٩٩١ ص ٢٤٧-٢٦٤ .

٣٣- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ١١٢- ١١٣ .

٣٤- المصدر نفسه ص ٤٠- انظر كذلك ص ١٦٢ كيف تأخذ الفرنسية من تراثها الشعبي.

٣٥- محمد رشاد الحمزاوي: أعمال مجمع القاهرة ص ٢٩٧- ٣٠٣ حيث الحديث عن أنواع كثيرة من الاشتقاق التي تتحفنا بها الدراسات الموسوعية دون أن نستخلص منها فائدة تنظيرية أو تطبيقية.

٣٦- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ٢٠١ .

٣٧- ونعني به كل مايشتق من ذات العربية ويختص بها. وذلك على غرار «Gallicisme» المعبر عن كل ماتختص به الفرنسية مثل استعمال C'EST.

٣٨- وهي ترجمتنا لـ: Systematisation والمراد منها الاصطلاح على صيغ مولدة رياضيا لأداء مفاهيم معينة أداءآليا. انظر كتابنا: المعجم العربي السابق الذكر ص ٢٢١- ٢٢٥ حيث نعرض للمظهر الرياضي في نظرية الخليل المعجمية.

٣٩- انظر الملحق رقم (١) من هذا البحث وقد أخذ من دراستنا المخطوطة المخصصة لنظرية ابن فارس في النحت، الواردة في معجمه «المقاييس».

٤٠- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ١٤-١٥ .

٤١- انظر الملحق رقم (٢) من دراستنا المخطوطة المخصصة لابن فارس ومقاييسه.

٤٢- محمد رشاد الحمزاوي: المعجم العربي. انظر: مكانة معجم ابن سيده في المعجمية العربية ص ١١٣ ومابعدها حيث بينا صعوبة الاستفادة من التراث في ميدان المصطلحية. ويدخل في هذا الإطار استعادة الألفاظ العربية التي استعارتها من العربية اللغات الأخرى. فكثيراً ماتكون الاستعادة مخالفة للأصل: فمخزن أصبحت Magasin بالفرنسية وعادت مغازة بالعربية التونسية ولايمكن أن يعود مفهوم مخزن القديم الذي يفيد مخزن الحبوب أو السلع.

٤٣- محمد رشاد الحمزاوي: العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات - تونس - بيروت ١٩٨٢- ١٩٨٦م.

٤٤- إبراهيم اليازجي: لغة الجرائد (د.ت) حيث تنبه إلى لغة الجرائد والصحف وأثرها في تطوير العربية الذي أقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة كثيرا من وجوهه.

٤٥- يقر أصحاب الجرائد أن النص الاشهاري المنشور بصحفهم خارج عن نطاق سلطتهم يفرضه صاحب الإعلان كما هو.

٤٦- انظر: الشيخ عبد القادر المغربي: تعريب الأساليب، مجلة مجمع القاهرة ١ / ٣٣٢ - ٣٤٩

٤٧- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ١٤٢ .

٤٨- المصدر نفسه، ص ١٤٢ .

٤٩- المصدر نفسه ص ١٤٢- ١٤٧

٥٠- وتتمثل في وضع مصطلح واحد مطلق لمفهوم علمي واحد. ويعبر عن هذه النزعة بـ Monisme في الفرنسية والانكليزية.

٥١- اللغة الانكليزية البريطانية والأمريكية لهما مترادفات عدة للتعبير عن نفس المفهوم. انظر Elevator, Lift, Acrial, Antenna ....الخ.

٥٢- محمد رشاد الحمزاوي: منهجية تنميط مداخل المعجم: أسسها ومقاييسها، مجلة المعجمية عدد ١ ص ١٧-٢٧ تونس ١٩٨٥ .

٥٣- الاتحاد الدولي للاتصالات: Glossay of Telecommunication Terms: English, Arabic, French, Spanish; 1 Ist Edition- Geneva 1987

٥٤- انظر الملحق رقم ٣ من هذا البحث.

٥٥- ارتكز هذا المعجم علي المصطلح الفرنسي مترجما أو معربا، يلي أغلب مداخله تعريف المدخل بطبيعته ووظيفته.

٥٦- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ٣٣- ٤٢ .

٥٧- مثل البرتقال والأناناس.

٥٨- لم تفرق بين الأرز والعرعر.

٥٩- الجراد والزنابير من الطير.

٦٠- قالت: السعتر معروف.

٦١- قالت: الدلب لانَوْرَ له.

٦٢- جاء فيها: العبرب والعنزب والعترب.

٦٣- الشيلم يعني اليوم Seigle .

٦٤- قالت: البندق الجلوز.

٦٥- منها الملول وهو يطلق في سوريا على نوع من البلوط.

٦٦- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ٤٠ .

٦٧- المصدر نفسه.

٦٨- عدنان الخطيب: المعجم الوسيط - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق من سنة ١٩٦٣ إلى سنة ١٩٦٧ - مقالات نقدية جدية متتابعة.

٦٩- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية ص ١٧٤- ١٨٨ .

٧٠- مصطفى الشهابي: معجم الألفاظ ص (ج) حيث قال «المخصص لابن سيده والقاموس المحيط للفيروزابادي، فأخرجت منهما عدداً كبيراً من الكلمات التي تتصل بالعلوم الزراعية».

٧١- محمد رشاد الحمزاوي: المعجم العربي ص ١١٦- ١١٩ انظر مكانة معجم ابن سيده.

٧٢- المصدر نفسه حيث لاحظنا أن أحمد عيسى لم يستعمل إلا تسعة مصطلحات من مخصص ابن سيده في كتابه معجم النبات وفيه ٥٨٥٢ مصطلحا، وأن أمين المعلوف لم يورد منه إلا ٣٥ مصطلحا في كتابه «معجم الحيوان» وفيه ١٤٢٨ مصطلحا.

٧٣- مصطفى الشهابي: معجم الألفاظ الزراعية ص (ج).

٧٤- ابن منظور: مقدمة لسان العرب حيث بين أن حسن الجمع لايمنع من سوء الوضع وأن إجادة الوضع لاتعني بالضرورة حسن الجمع.

٧٥- مصطفى الشهابي: معجم الألفاظ الزراعية: المقدمة ص (ب- ج).

٧٦- المصدر نفسه ص (ع).

٧٧- المصدر نفسه ص (ت).

٧٨- المصدر نفسه ص (ش).

٧٩- المصدر نفسه ص (ب).

٨٠- المصدر نفسه ص (ت).

٨١- المصدر نفسه ص (ت) وقد دعا إلى معجم فرنسي - انكليزي - عربي شامل؛ و ص ١- ٩٨ .

٨٢- وهي تقابل عندنا Lexicologie من أعْجَم.

٨٣- وهي تقابل عندنا Lexicographie من مَعْجَم - ويجوز أن نقول المَعْجَمة كذلك.

٨٤ - محمد رشاد الحمزاوي المعجم العربي ص ١٦٧ - ١٨٩ حيث نعرض أهم المقاييس المعنية.

٨٥- انظر حاشية ٧٨ من هذا البحث.

٨٦- محمد رشاد الحمزاوي: المعجم العربي..... ص ١٨٥- ١٨٩ .

٨٧- مصطفى الشهابي: معجم الألفاظ الزراعية ص ٤٢٧، ٤٩٢، ٥٤٥ .

٨٨- المصدر نفسه ص ٢٧٣، ٥٠٩، ٥١١، ٥٦٦، ٥٦٧ حيث ينقلب المعجم إلى قائمة ألفاظ بحت خالية من كل تعريف.

٨٩- المصدر نفسه ص ٥٣٩ و ٥٦٦ .

٩٠- المصدر نفسه ١٠٥، ١١٣، ١٧٧، ١٨٣,

٩١- المصدر نفسه ص ٦٥، ٢١٠، ٤٩٢ في ألفاظ: باذنجان، وأصبعية ودخن المترجمة عن الفرنسية حيث يذكر المصطلح الفرنسي كما يذكر مترادفاته دون ذكرها في مداخلها الألفبائية حتى يتسير اعتمادها.

٩٢- محمد رشاد الحمزاوي، المعجم العربي... ص ١٨٢- ١٨٣ .

٩٣- فتكون مداخلها أربعة في المعجم: سيارة (١): القافلة؛ سيارة(٢): نجم؛ سيارة(٣) مشاة؛ سيارة (٤): عربة ميكانيكية.

الملحق رقم١: النحت المشتق في مقاييس ابن فارس الثلاثي المنحوت بزيادة حرف (X)

حرف المعجم	المدخل المزيد	الحرف المزيد	في الأول	في الوسط	في الآخر
العين	علجوم	م			X
	عطبول	ط		X	
	عمرس	ع	X		
	عنتريس	ت		X	
	عنتر	ن		X	
	عنبس	ن		X	
	عملس	ل		X	
	عرمس	م		X	
	عربس	ب		X	
	عبسورة	س		X	
	عمروس	م		X	
	عملص	ع	X		
	عصفور	ع	X		
	عرصاف	ع	X		
	عرصم	م			X
	عنصر	ن		X	
	عنفص	ن		X	
	عميثل	م		X	
	عرندد	ن		X	
	يعفور	ي	X (١٤)		
	عمرط	م		X	
	عفنأة	ن / ا / ة		X	X
	عنقفير	ف / ي / ر		X	X

– العلامة (X) تدل على الحرف المزيد على الثلاثي وموقعه منه، ولقد لاحظنا أن الحروف المزيدة أغلب حروف ذلاقة (فر من لب). وقد اعتمدها الخليل للتمييز بين الفصيح والدخيل.

الملحق رقم ٢: النحت القياسي في مقاييس ابن فارس

النحت من كلمتين فأكثر

حرف المعجم	الكلمة المنحوتة المدخل	المكونات الاساسية في المقاييس	المكونات المختلفة	المكونات المشتركة	مواطن الإسقاط	ملاحظات
س	(٧٢) سحبل	سحل + سبل = ٦	ح + ب	سل + سل	سل	
	(٧٣) سرحُوب	سرح + سرب = ٦	ح + ب	سر + سر	سر	
	(٧٤) آسمهد	مهد + سهد = ٦	م + س	هد + هد	هد	
ش	(٧٥) شميذر	شمذ + شمر = ٦	ذ + ر	شم + شم	شم	
	(٧٦) شناعيف	شعف + نعف = ٦	ش + ن	عف + عف	عف	انظر الملاحظة أسفله
ص	(٧٧) آصمقر	صقر + مقر = ٦	ص + م	قر + قر	قر	
	(٧٨) صلقم	صلق + لقم = ٦	ص + م	لق +لق	لق	
	(٧٩) صهصلق	صهل + صلق = ٦	هـ + ق	صل + صل	صل	
	(٨٠) صمعري	صمر + معر = ٦	ص + ع	مر + مر	مر	
	(٨١) صلدمة	صلد + صدم ٦	ل + د	صد + صد	صد	
	(٨٢) صعقب	صقب + صعب = ٦	ق + ع	صب + صب	صب	
ض	(٨٣) ضرغام	ضغم + ضرم = ٦	غ + ر	ضم + ضم	ضم	
	(٨٤) ضبطر	ضبط + ضطر = ٦	ب + ر	ضط + ضط	ضط	
ط	(٨٥) طملس	طلس + طمس = ٦	ل + م	طس + طس	طس	
ع	(٨٦) عسلق	عسق + سلق = ٦	ع + ل	سق + سق	سق	
	(٨٧) عشنق	عنق + شنق = ٦	ع + ش	نق + نق	نق	
	(٨٨) عفلق	عفق + فلق = ٦	ع + ل	فق + فق	فق	
	(٨٩) عركس	عكس + عرك = ٦	س + ر	عك + عك	عك	

الملاحظ: دقة فنون النحت الذي استخرجناه من نظرية ابن فارس: (١) النحت يكون بين ثلاثيين (٢) تبقى في المنحوت المكونات المختلفة من الثلاثيين - (٣) يسقط من المنحوت عنصر من العنصرين المتشابهين من الثلاثيين.

الملحق رقم (٣): التقييس والتوحيد

التقييس المطبق:

يجد القارئ في اللوحة التالية مثالا مطبقا على العربية. فلقد قيسنا ووحدنا ترجمات كلمة Telephone إلى العربية وذلك بتطبيق القوانين الأربعة: الاطراد ويسر المعالجة والتوليد والملاءة. فتبين أن الكلمة الغالبة هي هاتف (٣٤درجة) وتليها تليفون (٢٨درجة)، مما يدعو إلى إسقاط المصطلحات الأخرى والاحتفاظ باثنين منها. والاستعمال محكم للاختبار بين المصطلحين الباقيين.

الرقم	الترجمات الواردة في المصادر العربية	الاطراد	يسر التداول	الاشتقاق (التوليد)	الملاءمة	المجموع
1	تليفون	9	4	6	9	28
2	هاتف	9	8	8	9	34
3	مِسَرَّة	1	6	6	1	14
4	مقوَل	1	6	6	1	14
5	إرزيز	1	4	4	1	10
6	سماعة كبريت	1	1	1	1	4
7	سماعة حديث بالسلك	1	1	1	1	4
8	آلة تكلم على بعد	1	1	1	1	4
9	آلة متكلمة	1	1	1	1	4
10	تلغراف ناطق	1	1	1	1	4

اللغة والأصالة

الدكتور مروان المحاسني

يعيش عالمنا العربي عصراً يتميز ببروز تداخل ثقافي متشابك يحاول أن يقلب هذا الكوكب المليء بالتناقضات والحاوي على ألوان من الثقافات والحضارات أثبتت وجودها خلال الحقب التاريخية السالفة، أن يقلبه إلى قرية كبيرة تسيطر على الحياة فيها ثقافة وحيدة اللون والمشارب وهي ثقافة العالم الغربي الحاملة لأسس الحداثة والمتسلطة على منابع التطورات المستقبلية أي تلك المستويات العليا من العلوم وتطبيقاتها التقنية.

وتستكين المجتمعات التي لم تتح لها الفرص للمشاركة في تطوير هذه الحداثة وفي اقتباس الأساليب التقنية اللازمة لذلك فتحشر في صنف مبتذل من المجتمعات وهي مايطلق عليه اسم العالم الثالث، إنها المجتمعات التي تشكو من الغزو الثقافي الذي يستند إلى الوسائل الحديثة المتسارعة في فعالياتها في الميادين المختلفة وخاصة في مجال الاتصالات والمعلوماتية بحيث لايبقى لها أي دور في بناء عالم الغد وتكتفي بدور المتلقي لكل مايصدر عن الثقافة الغازية من إنتاج فكري ومادي وهي مجتمعات تتسابق إلى الاكتساء بالمظاهر التي تقربها مما تبديه المجتمعات الغازية من بريق ولمعان قبل أن تكتشف أنها إنما تتحلى بالقشور دون أن تدرك اللب. وهكذا فهي لاتكتفي بتقليد ماتراه سائداً في مجال الملبس والمأكل والمشرب بل تسعى بإصرار إلى نبذ عمد ثقافتها ومقومات حضارتها لتلتزم باقتباس ماتعتمده المجتمعات

الغازية من مؤسسات تحكم جميع مناحي حياتها الاجتماعية. وهذا كفيل بإيجاد الاختلال العميق في المجتمعات المغزوة إذ تفقد التوازن الذي كان يحمي مؤسساتها من الاضمحلال وتدخل في حالة من الاضطراب فتكثر فيها التناقضات بما يجبر مفكريها على وقفة لابد منها يتساءلون فيها عما يدور حولهم من تبديلات صحيحة في مجتمعهم. إنها مشكلة التحديث الذي تلهث وراءه جميع المجتمعات على الرغم من أنها لم تساهم في إشادة ذلك الصرح الشامخ من الإنجازات المادية والفكرية التي نطلق عليها اسم الحداثة والتي أصبحت عماد حياتنا العصرية.

إن الحداثة لاتعني الاستفادة مما هيأه العالم الغربي من وسائل وتجهيزات تخفف عنا أعباء الحياة فحسب، بل إنها الاعتراف بتفوق المجتمعات الغربية في جميع الميادين سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم تعليمية، وهذا مايدعونا إلى الأخذ بأساليب الحياة السائدة لديهم واعتبارها مثالاً يحتذى ومنارة تشع على الدنيا بأنوارها المبهرة، فلا رقي ولاتقدم إلا بالسير على خطاهم والالتحاق بركبهم وإقامة المؤسسات المماثلة لمؤسساتهم.

إن هذا الواقع الذي يلزم المفكرين بتلك الوقفة للتساؤل هو واقع فرض نفسه على جميع مناحي الحياة سواء في الأمور الحياتية اليومية أو في نظرتنا إلى العالم بل نظرتنا إلى أنفسنا. ولذلك فإن مثل تلك الوقفة إنما تمثل الخط الأول في الدفاع عن الهوية الثقافية، أي أن على مفكرينا أن ينشطوا في ساحة الدفاع الثقافي أمام الهجوم الثقافي الذي يتعرض له الشعب العربي.

لاشك بأننا بحاجة ماسة إلى التحديث في مختلف المجالات في مجتمعاتنا لكي نكسر العزلة التي فرضتها علينا ظروف تاريخية جائرة جعلتنا من التابعين بعد أن كنا في طليعة الخلاقين والمفكرين، إلا أنه لايجوز أن يؤدي هذا التحديث إلى تبعية تتناول ذاتيتنا الثقافية وتطغى على هويتنا الصميمة.

وإننا حين نبحث في ماهية تلك الذاتية الثقافية نجد أن المستشرقين قد سبقونا إلى ذلك ووصفوا مايعتقدون أنه السمات الأساسية للمجتمع العربي من منظورهم. وقد تمكن أدوار سعيد من فضح المواقف العنصرية التي اتخذها الاستشراق منذ نشأته إذ إنه استخلص من تلك المواقف أن المستشرقين قد أقاموا نوعاً «من الميتافيزيقا تزعم بوجود نظام نعرفي خاص يلائم كلاً «من جوهري الطبيعة الغربية والطبيعة الشرقية على حدة، وأنهم تمسكوا بأسطورة الطبائع الثابتة للشعوب ولجأوا إلى تفسيرات اختزالية لواقع الشعوب المشرقية دون الإقرار بوجود صيرورات تاريخية متبدلة.

وقد ذهب بعض الكتاب إلى أبعد من ذلك في تأكيدهم على وجود ماهية عربية تتمتع بخصائص مطلقة هي التأليهية والروحانية والمثالية والإنسانية والحضارية[1] أو في إصرارهم على إرجاع كل ظاهرة من ظواهر إبداع في الغرب إلى أصولها الشرقية إذ أن الشرق هو الذي يتميز بالإبداع بينما يتميز الغرب بالتقنية[2].

ولذلك كان لابد لنا من إعادة النظر في كيفية الإجابة على التساؤلات الذاتية المطروحة في عالمنا المعاصر. فإذا كنا اليوم نقف حائرين أمام الخيارات الثقافية المتاحة لنا فإن الحيرة مردها إلى ضرورة تحديد هويتنا ليتسنى لنا اختيار المسارات التي تناسب هويتنا.

فإما أن نكون منفعلين في علاقاتنا مع العالم الحديث، أي أننا نعتبر أن المعاصرة هي اتخاذ مسلك المتلقي لكل جديد يطلع به علينا العالم الغربي مادام هو رائد التطور في عصرنا الحاضر، فنحاول استيعابه والاستفادة منه بهدف الوصول إلى المستوى الأعلى من الرفاهة والمتعة أو أن نكون انتقائيين

---

(١) إسماعيل عرفي كتاب العرب القومي ص ٧٠ (وزارة الثقافة ١٩٧٧).

(٢) أدونيس ـ مواقف ـ العدد ٣٦ ص ١٥٠.

أي أننا نختار مايناسبنا مما هو معروض، ونسقط مالا نستسيغه ونعتقد أن ذلك الانتقاء فيه الحماية لذاتيتنا والتأكيد على حريتنا والمنطلق المناسب لارتقاء حضاري نرسم حدوده بأنفسنا، وأما الخيار الثالث المطروح فهو أن نكون رافضين لكل جديد، متزمتين في تصورنا لواقعنا الفكري والثقافي، مصرين على خصوصية تأبى إلا أن تبعد عن مجتمعاتنا تأثيرات الحداثة والمادية التي ترافقها، لما يمكن أن تجره من الضياع في حقل القيم والعلاقات الاجتماعية.

ولنا أن نتساءل كيف يكون تحديد هويتنا الثقافية وماهي الأسس التي يمكن أن نعتمدها في ذلك التحديد، وماهي العناصر التي تتركب منها الهوية، جميعها أسئلة قد تطرق لها العديد من المؤلفين ومعظمهم من المستشرقين الذين درسوا مجتمعاتنا دراسة تستند إلى أسس أثنولوجية ليحاولوا ربط ذلك بعناصر معينة كشفوها في تراثنا الذي أشبعوه درساً وتحليلاً.

إلا أننا نرفض تصنيف الآخرين لنا على هذه الأسس ولابد لنا من مواجهة واقعنا بالاعتماد على تاريخنا والرجوع إلى الثوابت في تراثنا لنستطيع توضيح الملامح الأساسية لهويتنا الثقافية.

إن حوارنا مع مصادر الحداثة يعود دوماً إلى موقفين متقابلين: نحن وهم. فمن نحن وكيف نختلف عن الآخر الذي يطل علينا بجبروت علمه وتناثر تقنياته في جميع مجالات حياتنا اليومية؟ وكيف يمكننا ونحن شركاء في عالم سريع التطور أن نتعرف على الآخر قبل أن نتعرف على أنفسنا؟

إن ثقافتنا كأي ثقافة أخرى تحتاج إلى تأسيس جديد أو على الأقل إلى تعريف جديد يخرجها ناصعة مما تراكم عليها من رواسب دراسات الاستشراق وتحليلات سيطرت عليها عقليات غربية درست تراثنا من خلال

نظرة مهما تكن متعمقة إلا أنها تبقي نظرة خارجية تشوبها مسلمات نابعة من ثقافة أخرى وينقصها الحس العميق الذي لايمتلكه إلا من نشأ في تلك الثقافة وتمثل مقوماتها في صميم فؤاده.

لقد أسعفني الحظ منذ أكثر من عشرين عاماً أن طلب إلي صديق عزيز هو الأستاذ / ظافر القاسمي رحمه الله أن أشاركه في مراجعة ترجمة إلى الفرنسية لمعلقة امرئ القيس كان قد حاولها المستشرق الكبير جاك برك وذلك بناء على طلبه. فجلسنا شهوراً ننظر إلى تلك القصيدة ونحاول أن نجد في النص الفرنسي تلك الشاعرية الفياضة التي تميز بها امرؤ القيس. فلقد كانت ترجمة عالية المستوى تحاول أن تعطي لكل لفظ مقابلاً فرنسياً في الحقل الدلالي المناسب للمعنى المقصود، كما أنها تحاول الحفاظ على رنين شعري وقد اختيرت الكلمات الفرنسية بدقة فائقة لتنقل القارئ الفرنسي إلى جو غريب عليه هو جو الشعر الجاهلي الذي ينعكس في القصيدة متجاوباً مع مشاعر وأحاسيس لانظير لها في حياة القارئ العصري. وهذا مادعانا إلى اقتراح بعض البدائل في كل مرة شعرنا أن النقل إلى الفرنسية، على دقة اختيار ألفاظه، لم يكن ليثير في أذهاننا مايتطابق مع حسنا أو يولد الأصداء التي تثيرها تلك الأبيات عادة في الأذن العربية، والاهتزاز والترنم اللذين ينعم بهما المستمع إليها. إنها كانت مجرد مقترحات لم نطمح من خلالها إلى إدخال أي تغيير على النص الفرنسي الذي وضعه أحد كبار المستعربين في العصر الحديث وهو من أساتذة اللغة الفرنسية، بل كنا نود لفت نظره إلى وجود حس آخر وفهم آخر لما ورد في المعلقة لعل نقلها إلى الفرنسية يصل إلى تعبير أقرب إلى انطباعاتنا. وقد نشر الأستاذ/ برك ترجمته للمعلقة وهي بالفعل رفيعة المستوى وتتخللها مقاطع فيها الكثير من الشاعرية المحركة للخيال.

ثم إني عدت فتذكرت محاضرة كان قد ألقاها الأستاذ/ جاك برك في جامعة دمشق في الستينات وكانت المحاضرة باللغة الفرنسية عن الثقافة العربية.

وتذكرت كيف أنه حين تطرق المحاضر إلى مفهوم الأصالة أقر بأنه لم يجد مقابلاً فرنسياً لما نعبر عنه بالأصالة في لغتنا العربية وقال سوف أستعمل لفظ الأصالة كما هو وارد في اللغة العربية.

لقد درج المستشرقون على إحاطة لغات الشعوب التي يدرسونها بنوع من التقديس وكانت جهودهم تنصب على الاشتقاق والفيلولوجيا واللسانيات المقارنة لعلهم يجدون من خلالها المفتاح الذي يدخلهم إلى الواقع الاجتماعي والثقافي لتلك الشعوب ومنه يستطيعون النفوذ إلى الشخصية المميزة لتلك الشعوب وإننا مع احترامنا لمجهودات أولئك المستشرقين في محاولاتهم نقل تراثنا إلى لغاتهم وتعريف العالم بكنوزنا لانستطيع إلا أن نأسف أن حركة الترجمة هذه إلى اللغات الأجنبية لم تقم على أيد عربية.

ذلك أن أساس حوارنا مع الثقافات الأخرى هو الوصول إلى فهمها قبل كل شيء، ومن ثم إيضاح كنه ثقافتنا لمن لايتكلم بلغتنا، حتى يستقر تبادل ثقافي متوازن فنعرف ماهية مانأخذه ويعرفون ماهو موقفنا مما يعرضون، مادمنا في مصاف المتلقين للثقافات الأخرى، وهذا يعني أن المنطلق في أي تبادل بيننا وبين الغرب لابد أن يرتكز إلى تفهم الغربيين للخصوصية العربية.

وهنا ندخل إلى صميم الإشكالية التي تعتري كل تصنيف للخصوصية الثقافية التي تتميز بها الشعوب. أي أنه لابد لنامن تحديد أسس الهوية الثقافية وهي التي تجسد القوالب الفكرية التي يتم تفهم الأمور من خلالها. فكأن هناك عدسات مكبرة لابد أن تمر منها المعروضات لتصل إلى إدراكنا وقد

توضحت معالمها وانجلت خصائصها فنستطيع الحكم في قبولها كما هي أو إحكام التعديل في تفصيلاتها بحيث تتطابق مع معطياتنا ومعاييرنا وإلا فإننا نرفضها لتعارضها مع تلك المعطيات.

إننا حين نعبر عن أفكارنا في أي مجال ثقافي، وبأي لغة كانت، فإننا نغترف المفهومات من مخزننا الثقافي اللغوي وهو في الوقت ذاته المستوى المعياري المعتمد حين اختيارنا لأي لفظة أجنبية حيث نقوم بربطها بلفظة عربية. وهذا ينطبق كذلك بصورة خاصة على أي نقل نقوم به من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية نظراً لما تمتاز به لغتنا من ثروة لفظية تفوق ماهو معروف في اللغات الأخرى.

إن هذا المختزن اللغوي هو الذي يشكل لب أصالتنا الثقافية إذ إنه يطبع كل تبادل بيننا وبين الآخر وكأنه المصفاة التي ترشح من خلالها المفهومات فتكتسب الطابع العربي حين التلقي، كما يتحدد عن طريقها الانتقاء اللفظي حين النطق باللغة الأجنبية. وهذا مايجعل اللغة العربية هي المهيكلة لإطاراتنا الفكرية وهي المرجعية العليا في جميع تبادلاتنا الثقافية.

باستطاعتنا إذن أن نقول إن أصالتنا كامنة في لغتنا أي في وعينا لما نعتبره خاصية ثقافية مستقرة في كياننا الفكري، تلك الخاصية التي تستقبل روافد مختلفة تلتقي في خواطرنا لتكون مفهومنا الخاص للقيم السائدة في مجتمعنا، أي أن الهوية الحضارية العربية تتمثل في المعاني التي تجسدها الألفاظ المنطوقة إذ إن كل لفظ يستخلص معناه من دائرة تحتوي على مجموع من الدلالات بحيث يسبغ على كل لفظ مااصطلحت عليه المجموعة نتيجة لتجربتها الحضارية وتطورها التاريخي.

فإذا حاولنا تحليل مفهوم الأصالة نرى أنه يمكن اختصاره في أن نكون مانحن. أي أن نظرتنا إلى الحياة تستند إلى أسس ودعائم خاصة بنا وبالتالي

فإن مسلكنا وتفاعلاتنا وخياراتنا تبقى خاضعة لمرجعيتنا الثقافية وهي لغتنا العربية، تلك اللغة التي حملت إلينا خلاصة لتاريخ أجدادنا ولمنطلقاتهم وقيمهم وحساسيتهم. فنحن اليوم نتخير من بين الطروحات المتوفرة في أمور مجتمعنا وفي تقرير مصيره واتجاهاته مايناسب تاريخنا أي ماتستسيغه أصالتنا وهي مفتاح إداراكنا للحقائق الحضارية، وتمثلها فيما يحدد مسار مجتمعنا. وبذلك يكون من أهم أسس هويتنا الثقافية أساس شعوري وعقلاني في آن واحد إذ إن حسن تلقي الحقائق الحضارية يرتبط قبل كل شيء بمشاعرنا تجاهها بحيث نقبلها أو نميل إلى رفضها، ويتقرر مصيرها بعد ذلك من خلال محاكمة عقلانية تروزها وتسبر أغوارها وهي محاكمة لايمكن أن تستغني عن المدلولات اللغوية لتستطيع الوصول إلى القرار المناسب.

لذا يمكننا القول إن هذه الأصالة الكامنة في مخزوننا اللغوي تعمل حسب آليات يمكن تفكيكها. فهناك مآخذ ومدخرات شحنها تاريخنا وغذتها خبرات مجتمعنا وهي تشكل المصافي التي تلتقط من التيارات المارة بها ما يسمح تركيبها ودعائمها من الاحتفاظ به، وهناك المختبر التجريبي اللاشعوري الذي يتم الفرز والانتقاء وهناك في نهاية المطاف الحرز الذي تختزن فيه الجواهر المقبولة بعد أن نبذت العناصر المرفوضة. وهكذا تتشكل الرواسب الحضارية النفسية التي تسود الفكر الجمعي للمجتمع وتهيمن على تصرفات أفراده.

وإننا حين نعتمد اللغة تجسيداً للأصالة لا نريد أن نصل إلى تقديس اللغة كما فرضه المستشرقون بل إننا نؤكد رفضنا لمنطلقاتهم وأخصها أسطورة الطبائع الثابتة وإصرارهم على التأكيد بوجود فروق جوهرية بين الطبيعة الشرقية والطبيعة الغربية. إننا على العكس نقول إن أصالتنا تميزنا عن الشعوب الأخرى لابجمودها وتحجرها ولا لاحتفاظها برفعة أصلية مفترضة

بل لأنها نتاج صيرورات تاريخية ووعاء مازال يستوعب المزيد من الروافد الحضارية. نحن لا نؤمن بوجود خصائص بشرية طبيعية وأولية وثابتة تميز أصحابها عن باقي البشروتعطيهم مكانة ورفعة لا ينالها غيرهم.

إن هذا ما يبعدنا عن المنطلقات الشوفينية التي التزم بها مارتن هايدغر بتمجيده للغة الألمانية قائلاً: «انه لايصلح للفلسفة سوى الألمانية والإغريقية». كما يبعدنا عن محاولة أرنست رونان اختزال اللغة إلى أساسياتها لربطها بالروح أو العرق بما يثبت له تفوق العقلية الغربية الأصلية وقصور العقلية السامية الشرقية الأصلية. وبذلك نكون قد أسقطنا مفهوم وجود أنماط من العقلية تكفي للتمييز بين الشعوب ، لنقر بوجود مجموعةحية من المعايير المختزنة في لغتنا وهي نتاج تاريخنا وتجاربنا وهي التي تشكل أصالتنا. وهذا ما يبعدنا كذلك عن أسطورة وجود خصائص تندرج تحت راية خصوصية ثقافية يفترض فيها الثبات وهي خصوصية يعزى إليها نقاء أيديولوجي فريد وسمو فكري لا يبارى.

وإننا بتحديدنا للحيز اللغوي عماداً للأصالة نؤكد عدم قبولنا لتصنيف أمتنا بالاستناد إلى الأمجاد التاريخية كالفتوحات والكشوف العلمية فحسب إذ إن ذلك ينفي عن الأمة اكتسابها لخبرات على مر الزمن ويحصر شخصيتها في وصف ماضيها كما أنه يمثل نظرة ارتدادية تتعامى عن مجريات الأمور التي أوصلتنا إلى الحداثة، فهي محاولات تغطي الشمس براحتها وتؤثر القوقعة على التطور.

إن مفهومنا للأصالة هو أنها تشكل الأطر المرجعية النظرية والمنهجية التي تقود عملية التحديث وتوجه العلاقات في داخل المجتمع وخارجه بما يفضي إلى استخلاص الوجه الحضاري المرغوب عن طريق الاستيعاب والتمثل والدمج والحوار الفكري وهذا مايضمن وصول المجتمع إلى حداثة

تستوعب القديم من الأشكال والموضوعات دون إحداث أي شرخ في المسلسل الحضاري الخاص بمجتمعنا.

كما أننا حين نقول بأن أصالة الشعب العربي تتركز في لغته فإن ذلك لا يعني أنه يمكن استخلاص جميع مقومات المجتمع العربي من تحليل مفردات وتراكيب لغته. فقد حاول بعض الدارسين الغور في أعماق اللغة باحثين عن «كلمات أساسية في اللغة العربية لمعرفة بعض ملامح العقلية العربية الكامنة خلفها»، إلا أننا لا نعتقد أنه يمكننا أن نهتدي عن طريق ذلك التحليل إلى إقرار وجود نظام معرفي خاص بكل ثقافة بحيث نصل إلى تحديد جوهر الطبيعة العربية معتمدين على أن تلك الكلمات الأساسية تدل على مكنونات في العقلية العربية الأصلية مازالت فعالة في ثقافتنا اليوم.

كما أننا لا نقر بجدوى دراسات أخرى اعتمدت على كشف خصائص صوت كل حرف من الحروف العربية وتطبيق إيحاءاته الحسية أو الشعورية على معاني الألفاظ، وذلك لاستخلاص مايؤكد أن اللغة العربية «لغة معجزة» تثبت بداءة الإنسان العربي وحروفه، وأن الحروف العربية خلاصة للإنسان العربي عصبية وروحية وأنها خلاصة لمقوماته القومية.

إن جل ما نقوله هو أن لغتنا تعكس تاريخنا وفيها يتركز مجموع تجاربنا القومية بحيث أصبحت الحارس الأمين على ذاتيتنا، وهذا مايجعلنا نؤكد أن مفهوم الإسلام يتمم مفهوم العربية ولكنه لا يمكن أن يطغى عليه، وما ذلك إلا لأن الحضارات الإسلامية المعاصرة لا تتركز على اللغة العربية بينما ينطق باللغة العربية غير المسلمين من العرب ويعتمدونها أساساً لأصالتهم.

من المعروف أن الموجة الحضارية العارمة التي حمل لواءها المسلمون إلى عالم غارق في التخلف والجهل، والتي تشكل أساس الحضارة الغربية،

قد كانت عربية خالصة إذ إنها أخرجت في حلة عربية ناصعة، هي لغة القرآن، ولو أن عدداً كبيراً من علمائها المسلمين لم يكونوا عرباً. وقد نتج عن الحوار الثقافي الذي فرضته الفتوحات الإسلامية أن تصدت اللغة العربية لسيل من المعاني والمفهومات الجديدة في الميادين التابعة لمختلف العلوم والمعارف في ذلك الزمن وأدخلتها في مجالاتها التعبيرية بحيث أصبح تراثنا العربي يمتلك لغة مطواعة تسمح لنا بالتعامل مع أعقد الحقول الفكرية، في التاريخ أو الفلسفة أو غيرها. وهذا ما يجعل الذاتية العربية واضحة المعالم في البحر الواسع الذي نسميه الحضارة الإسلامية وذلك إلى جانب ذاتية فارسية وذاتية تركية وغيرهما.

إنه يتوجب علينا اليوم أن نقوم بمجهود كبير للتعريف بثقافتنا أمام مانراه من تساؤلات من قبل الغرب ومن غطرسة منبعها تقانة عارمة دخلت جميع بيوتنا وهي تحاول أن تحدد لنا مسارات جديدة في مواجهتنا لعالم متطور مازال يحمل أحقاداً عميقة وضغائن واضحة ترتبط بتاريخ فتوحاتنا وبتحطم الهجمات الفكرية والعسكرية على صخرة صمود شخصيتنا.

إن العالم مازال يقبل وجود التعددية ولا يجوز لنا أن نقبل الانسياق في حداثة جارفة تضيع فيها مقومات شخصيتنا. إلا أن هذا التعريف عن ثقافتنا عبر اللغات الغربية يصطدم بعقبات حقيقية حين نحاول نقلَ بعض الألفاظ العربية إلى اللغة الأجنبية وخاصة حين يكون معظم هذه الألفاظ ينتمي إلى الحقل القيمي الوجداني.

صحيح أن المثل الشائع يقول إن في كل ترجمة خيانة Traduttore Traditore إلا أن ذلك ينطبق بصورة خاصة على لغتنا حين نحاول نقل بعض المفهومات العربية ونبحث عن الكلمة الأجنبية التي تقابل كل واحد منها. ذلك أن أي كلمة عندنا لا تختص بالضرورة بمعنى واحد أو بمفهوم

واحد بل هي المحراق الذي تجمعت فيه مقاربات وتحديدات ومؤثرات زمنية، وهي إنما تعكس خلاصة لكل ذلك حين ننطق بها. وما ذلك إلا لأن لغتنا العربية كما ثبتتها المعاجم هي لغة استنبطت عناصر ثقافية عديدة في القرن الثاني للهجرة، من المنابع الهلنستية والهندية والفارسية دون أن يختل نظامها أو تفسد أصولها. إنها لغة القرآن الكريم الذي أُنزل بلسان عربي مبين، وبفضله تثبتت اللغة وحُفظت وأصبحت جاهزة لتلقي تلك الروافد الثقافية التي أوصلتها لأن تكون مصدر إشعاع ثقافي وعلمي على مدى قرون طويلة.

وإنه من الصعوبة بمكان أن ننجح حين ننقل نصاً عربياً إلى لغة أجنبية في إيصال ما نشعر به من فروق بين كلمات متقاربة في المعنى. فنأخذ على سبيل المثال كلمة من أكثر الكلمات تداولاً وهي الحب وندخل في الحيز الدلالي الذي تنتمي إليه. فكيف نشرح الفروق بين الحب والعشق والغرام والود والغواية والهيام والهوى والشغف؟

إنها فروق نحس بها ولكنه يصعب علينا التعبيرعنها بلغات أخرى وإيجاد الألفاظ المقابلة لها في تلك اللغة وذلك حتى بعد الاستعانة بكتبنا الأصلية التي تخصصت في توضيح تلك الفروق بالاستناد إلى ما نطق به العرب.

وإن من مفاخر تراثنا وجود تلك المعاجم الموضوعية الجامعة المعجزة التي تتقدم فيها العربية على كل اللغات الأخرى زمنياً وسعة، فهي كتب اختصت بتوضيح الفروق الدلالية بين الكلمات ككتاب الألفاظ لابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) ومتخير الألفاظ لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) وفقه اللغة للثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) والمخصص لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) وقد ألف جميعها قبل نهاية القرن الخامس الهجري.

وهي المؤلفات التي تثبت أن معظم ما قد يعتقده البعض من باب الترادف إنما هو من باب التفريق وفي ذلك إشارة إلى تفصيل في المعنى يميز كلمة عن أخرى في الحيز الدلالي الواحد. فهكذا يُنبِئُنا الثعالبي بأن العشق هو ما فضل عن المقدار الذي اسمه الحب وأن اللوعة هي حرقة الهوى وأن المتيم هو من استعبده الحب والمتبول هو من أسقمه الهوى وهكذا متدرجاً حتى نصل إلى الهيام الذي يقضي على المحب بأن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه.

وكذلك كيف نفرق بين الكرم الذي اشتهر به العربي وبين السخاء والإغداق والجود والإسراف والمنة وغيرها. هذا ما نجد شرح بعضه في كتاب أبي هلال العسكري (الفروق في اللغة) حيث نجد أن تعريف السخاء هو أن يلين الإنسان عند السؤال ولذلك لا يقال بأن الله سخي وأما الجود فهو كثرة العطاء من غير سؤال ولذا يمكن القول بأن الله جواد وأما الكرم فله عدة وجوه، فهو تارة بمعنى العزة ﴿ما غرك بربك الكريم﴾ وتارة هو التفضيل ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ وهو بصورة عامة إعطاء الشيء عن طيب النفس. ولكن أين ينتهي الكرم ويبدأ الإسراف والتبذير بل السفه؟ وكذلك كيف نجد مقابلاً للفظة المعروفة المكررة في آيات عديدة من القرآن الكريم وكيف نعرف عن العرض وعن الشهامة؟ لا شك بأن العربي أقدر من غيره على نقل تلك المعاني إلى لغة أجنبية مستنداً إلى حسه وإلى مقتضيات النص. فهو حين ينقل شعر عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

لن يكتفي بالقول بأن الجهل هو ضد العلم بل سيعود إلى مفهوم الحلم العربي ليقول بأن الجهل هو ضد الحلم والحلم من الشيم العربية الأصيلة.

لقد واجه المستعربون صعوبات جمة في نقل الكثير من تراثنا وبصورة

خاصة تلك العبارات والألفاظ التي ترتبط بتراث حضاري عريق يستند إلى قيم ومشاعر سامية تأصلت في بحور لغتنا، آخذين بعين الاعتبار ما يعطيه خطابنا من قيمة عالية جداً للفصاحة وكذلك لمفهوم البلاغة وهما من شروط البيان السليم الذي يفترض عرض الأفكار بما يتناسب مع مقتضى الحال.

ولذلك فإن جميع الألفاظ الخاصة بالمجالات القيمية والتي ترتبط بالعمليات الفكرية وبالسجايا كالطهارة والعفة أو كالوجد والشطح عند الصوفية أو الدهر والزمان والأجل ﴿لكل أجل كتاب﴾ أو الستر والفضيحة تشكل صعوبات خاصة لارتباطها بعناصر مشاعرية قد استبطنتها لغتنا وأضفت عليها هالة معنوية يصعب على غير العربي إدراكها. ناهيك عن صعوبات إضافية حين يتطرق الغربي إلى نقل الألفاظ المرتبطة بالدين الإسلامي والتي بقيت فعالة وبارزة في أساليب التخاطب حيث يحتل الدعاء موقعاً مركزياً (حفظك الله، أدام الله نعمتك، سامحك الله، الله يعينك) وبرز وعينا للإرادة الإلهية في خضوعنا إلى مشيئة الله (إن شاء الله) وحين نقف وقفة تعجب وإقرار بعظمة الخالق (سبحان الله).

ولذلك يترتب على العرب أن يقوموا بأنفسهم بالتعريف بثقافتهم ولا يجوز أن يترك ذلك لمن لا يملك حس اللغة طالما أنه لا يعيشها أي لا يعيش القيم التي تحملها ولم يتمثل تلك الرواسب الحضارية النفسية التي تسود الفكر الجمعي لمجتمعاتنا.

وإن نجاحنا في حوارنا مع الآخر لا يتركز في فهمنا لثقافته فحسب ولا في تنبهنا لما يغرقنا به من إنجازات حضارية يحاول من خلالها صهر المجتمعات الأخرى في بوتقة تخرج منها متماثلة في شكلها وارتكاساتها وتفاعلها وتطورها بما يمحو شخصيتها ليضمها إلى الحضارة الغالبة كحضارات تابعة.

وإن الخط الأساسي في دفاعنا عن ذاتيتنا الثقافية عماده الإيمان بلغتنا التي تشكل الوعاء الذي تنصب فيه أحاسيسنا والذي يحتوي على خلاصة

تاريخنا ويمثل المدخل الحقيقي إلى فهم العالم الذي نعيش فيه.

إن اللغة العربية مفتاح إلى ثقافة عالمية وقد أثبتت عظم طاقتها في العصور الإسلامية الأولى وهي اليوم ماتزال قادرة على الوفاء بجميع احتياجاتنا في سعينا الحثيث نحو الحداثة، وهي الحارس الأمين على خصوصيتنا الثقافية لأنها معقل أصالتنا. ولا بد لخطنا الدفاعي أن يكون سداً منيعاً قادراً على منع أي اختراق. والاختراق هنا هو تقديم البديل اللفظي الذي يتجاوز العربية بحيث تبدأ لغتنا بالانكماش أمام هذه الاختراقات ويتوالى اختزالها حتى تستقر على مستوى الخطاب اليومي تاركة الساحة خالية تسيطر عليها ثقافات أخرى بلغات أخرى لا تقيم وزناً لأصالتنا التي نكون قد بددناها بإهمالنا لمرتكزها الأساسي وهو اللغة العربية.

وإننا حين نقول بأن اللغة العربية هي أصالتنا لا نحاول إثبات خصائص ينفرد بها العربي لمجرد انتمائه للعروبة أو لأنه مشرقي إذ إن هذا الأمر مرفوض ليس له أي مستند علمي. بل إن هدفنا هو التأكيد على أنّ لغتنا العربية ما زالت حية وما زالت تستوعب كل جديد في عالمنا المعاصر وتستطيع أن تحملنا في جهدنا للحاق بالركب العلمي العالمي. فالأصالة التي نحن بصددها ليست أصالة جامدة لا تعكس سوى ما دخل إليها في القرون الأولى من الحضارة الإسلامية بل هي ذلك المرجع الدائم التطور الذي تزيده تجاربنا ثراء وعمقاً وهو الذي يستطيع إصدار الأحكام في مجال انتقاء ما يناسب ثقافتنا من بين ما هو معروض علينا في هذا العصر الذي يتميز بما نراه من سرعة فائقة في الاتصالات بين أرجاء المعمورة.

إنها الأصالة التي تدعم استمرارنا في السير نحو الحداثة بل تفتح لنا أبواب المشاركة في صنعها وتطويرها وتضمن لنا بقاء الاتساق بيننا وبين تاريخنا وتحمي شخصيتنا من التسلط الذي يؤدي إلى ذوبانها.

خواطر حول لغة العلم

الدكتور وديع فلسطين

يطيب لي في هذه السانحة السعيدة أن أهنّئ مجمعكم الموقّر - ومجمعنا - بانقضاء خمس وسبعين سنة على نشأته، وأن أُشيد بالدور الرياديّ الذي اضطلع به في خدمة الضاد وتراثها سابقاً على جميع المجامع العربية الأخرى، وأن أعرب عن ثقتي الكاملة في أن المجمع سيواصلُ أداء رسالته السامية في عقودٍ وعقودٍ كثيرة مُقبلة، فاتحاً أمام أمّة الضاد والثقافة العربية آفاقاً جديدة رحيبة، ومسهماً في الرقي الحضاري المأمول لوطننا العربيّ، وحاملاً رايات العلم والفكر جيلاً بعد جيل، وشاقّاً طريقه مهما توعّرت السبل، وآخذاً نفسه بأسباب الجدّ الجاد، وحاشداً جهود أعلام الضاد من سورية ومن البلدان العربية الأخرى ومن محافل الاستشراق كيما تتأدّى على يديه كبارُ الأمنيات التي تاق إلى تحقيقها سدنةُ الضاد من أعضائه برئاسة العلماء الأجلاء: محمد كرد علي وخليل مردم بك والأمير مصطفى الشهابي والدكتور حسني سبح رحمهم الله وأجزل لهم المثوبة، ورئيسنا المبجّل العلامّة الدكتور شاكر الفحام، أطال الله بقاءه.

ولئن أزجيت إلى المجمع الجليل أعمق آيات الشكران والعرفان على دعوتي إلي المشاركة في هذا العيد، وإلى زيارة الشام وهي - واخجلي - أوّل زيارة لي، فقد مضى زمنٌ - لا أعاده الله - كانت زيارة سورية موضع مساءلةٍ وتحرٍّ، فأرجو أن يتسع صدركم لهذا الحديث الموجز.

كان معنى «العلم» ينصرفُ في الكتابات القديمة إلى المعرفة بصورة عامّة، دون تحديدٍ لأبوابها المختلفة. فاللغة علم، والتاريخ علم، والبحث علم، والتحقيق علم، وهلمّ جرا. ومازال هذا المعنى العام سائداً إلى يومنا هذا. فيقال مثلاً «علماء الأزهر» أو «علماء النجف» أو « علماء الزيتونة»، وطَبيعيّ أن العالِم في هذا السياق هو المقابل للفظة scholar لا scientist. فقد باتت اللفظة الأخيرة تقتصر على وصف المشتغلين بالعلوم التطبيقية كالطب والرياضيات والصيدلة والكيمياء والفلك والفيزياء والتكنولوجيا والهندسة وما إليها، في حين يُشار إلى فروع المعرفة الأخرى بلفظة «الإنسانيات».

وتشترك العلوم والإنسانيات في كونهما تحتاجان إلى اللغة للتعبير عنهما، لأن اللغة هي سبيلُ التواصل بين المشتغلين بفروع المعرفة جميعاً، وهي التي تُحيل ما يجري في مختبرات العلماء ومعاملهم ومصانعهم إلى كلام مسطور يفيد منه الباحثون في جهات العالم الأربع. فاللغة هي الناقل للعلوم التجريبية التي ازدادت أهميتها في العالم المعاصر نتيجةً للطغيان التكنولوجي على جميع مرافق الحياة.

ونحن الآن على مشارف قرن جديد، تتأهب له الدنيا بتسخير العلوم بمستحدثاتها ومخترعاتها وتطبيقاتها في خدمة الجماعة. وسواء أأطلق على عقدنا الحالي عقد الألكترون أم عقد التكنولوجيا (التقن)، فإن الفتوحات التي تحققت أو التي تُؤذن بأن تتحقق في هذين الميدانين في القرن المقبل تتجاوز كلّ مايرجم به الراجمون أو يتكهن به المتكهنون، بعدما دخلت ثورة الإلكترون في كل بيت، واستحال العالم إلى قريةٍ صغيرة مكشوفة الأستار.

ولكي يتأتّى للغة أن تؤدي رسالتها في نقل العلوم، فلا بدّ من أن

تسعفها حصيلتُها اللغوية وتصريفاتها وقواعدها على التعبير عن الكشوف والمستحدثات العلمية و «تنسيق ألفاظ المخترعات» بتعبير الشاعر حافظ إبراهيم. ولابدّ للغة من أن تكون مطواعة لصوغ المصطلحات الجديدة والتي تستجدّ، والتي بات تكاثرها أكبر من أن يلاحقه واضعو المعاجم العلمية وأعضاء المجامع اللغوية.

ومازال عالمنا العربي، برغم كل ما طرأ عليه من تقدم، يُعتبر مستقبلاً للعلوم لا مُنشئاً لها أو مُضيفاً إليها، ناهيك عن أن يكون مُصدِّراً لها. فنحن نتلقى من العالم المتقدّم «تكنولوجيا معلّبة» لا يَدَ لنا في صُنعها ولا قِبَلَ لنا بتطويرها أو حتى محاكاتها. ومادام هذا هو وضعنا الراهن، فلا بديل للعرب إلاّ أن يوطّنوا أنفسهم على النقل، نقل العلوم والمكتشفات والمستجدّات، لأن هذا هو سبيلنا الوحيد إلى استيعاب التطورات الهادرة في عالمنا، ومحاولة ملاحقتها. ومن شأن هذا أن يُلقي بعبءٍ ثقيلٍ يرقى إلى مرتبة التحدّي على المشتغلين بنقل العلوم وسكّ المصطلحات وتيسير أسباب الفهم الدقيق لكل وافدٍ من المخترعات وفنون الصناعة. وبغير المصطلحات المفهومة السائغة التي تجري على السليقة العربية، يستعصي على القارئ فهم العمليات الصناعية والتكنولوجية التي تتمّ في المختبرات والحقول ودور الصناعة.

والصحافة هي أوَّلُ مَنْ يستقبل الكشوف الجديدة عند وقوعها، بفضل السرعة الهادرة التي تنتقل بها الأخبار عَبْرَ القارّات، ممّا يفرض على الصحفيين ترجمة المصطلحات المتعلقة بهذه الكشوف في سرعة وارتجال، على خلاف أعضاء المجامع ومُصنِّفي القواميس الذين يعملون في تؤدةٍ بطيئة، ويتحرّون دقّةً صارمة في سكّ المصطلحات وصياغتها، حتى إذا خرجت المصطلحات القاموسية والمجمعية إلى التداول، كانت المصطلحات الصحفية قد سبقتها إلى الاستقرار والشيوع والتقبّل العام.

صحيح أن كثرةً كاثرة من المصطلحات العلمية الحديثة لا عهد للغة العربية بها، ولكن القيام بعملية نَخْلٍ للتراث العلمي العربي القديم الزاخر بمصطلحاتٍ وتعبيراتٍ مأنوسة كفيل باستخراجها من بطون المدونات إلى التداول العام إذا اتفق لها تأدية المعاني الوافدة مع التكنولوجيا الحديثة. ويحضرنا في هذا المقام مثالان يصحّ الاستشهاد بهما. أولهما أن مجلة «المقتطف»، وهي رائدة المجلات العلمية التي عمرّت ٧٧ عاماً بين عامي ١٨٧٦ و ١٩٥٢ نشرت في عددها الصادر في تموز/يوليو ١٩١٢ تحت عنوان «المصطلحات الهندسية» مانصّه:

«جرى العلماء في كل لغةٍ على التعبير عن المعاني العلمية التي ليس لها أوضاع لغوية بكلماتٍ اصطلحوا عليها... ومتى اتفقت جماعة منهم على كلمة اصطلاحية، لم يبق مُوجبٌ لتغييرها. والذي يُنعم نظره في المصطلحات الهندسية التي جرى عليها الدكتور ڤان ديك[1] في كتابه «الأصول الهندسية» يجد أنها نفس المصطلحات التي جرى عليها نصير الدين الطوسي في كتاب «تحرير الأصول لأقليدس» كالزاوية الحادة والقائمة والمنفرجة والسطح المستوي والمحدّب والمقعّر والدائرة والقطر ونصف القطر والمثلث المتساوي الساقين والمتساوي الأضلاع والمختلف الأضلاع والقائم الزاوية والمربع والمعيَّن والمستطيل والشبيه بالمعيَّن والمعيَّن المنحرف والشبيه بالمنحرف، وهلم جرّا. فلا داعي للعدول عن هذه المصطلحات إلى غيرها لأنها قديمة مألوفة.»

---

(١) الدكتور كرنيليوس فان ديك أمريكي كان أستاذاً للعلوم في الكليّة السوريّة الإنجيلية جامعة بيروت الأمريكية اليوم) وقد تعلّم العربية وأجادها وألّف فيها في الفلك والكيمياء المثلثات والنبات والباثولوجيا والعروض، ووضع سلسلة «النقش في الحجر» لتبسيط العلوم.

أما المثال الثاني، فهو مارواه الأمير مصطفى الشهابي الرئيس الأسبق لهذا المجمع متحدِّثاً عن تجربته الخاصة في صُنع معجمه الزراعي، حيث قال:

«كنت قبل الحرب الكبرى تلميذاً في مدرسة غرينيون الزراعية العليا في فرنسة، وكان من جملة التلاميذ نفرٌ من المصريين ومن الشاميين. ففي ذات يوم، فوجئنا بزيارة الزعيم الشامي الكبير صديقنا الدكتور شهبندر، فجعلنا نطوف به في مخابر المدرسة وحقولها وحدائقها ورياضها وسقائف آلاتها وحظائر حيواناتها. وكنّا نسمي بعض الأشياء التي نريه إيّاها بأسماء فرنسية، لأننا كنّا نجهل ألفاظها العربية. فكان الدكتور يلفت نظرنا برفق إلى وجوب تحرّي ألفاظ عربية لتلك المسمّيات. وممّا قاله لنا إن في أبحاث (المقتطف) الزراعية جملةً صالحة من المصطلحات العربية تُفيد مراجعتها كلَّ تلميذ زراعي وكل كاتب في العلوم الزراعية. فصرت منذ ذلك الحين أراجع الأبحاث المذكورة في مجلدات «المقتطف» وأستخرج منها تلك المصطلحات حتى اجتمع لديَّ منها زبدةٌ أغرتني بمتابعة هذه الدروس اللغوية، فتابعتها إلى أن وضعت منذ سنتين «معجم الألفاظ العربية للمعاني الزراعية)»[٢].

والذي يراجع الأعداد القديمة لمجلة «المقتطف» يلاحظ أنها بذلت جهداً محموداً في سكّ مصطلحات عربية لألفاظ علمية أعجمية مثل «الجوهر الفرد» للدلالة على الذرّة و «اليحمور» للدلالة على المادة الحمراء في الدم (الهيموغلوبين)، و «اليخضور» للدلالة على المادة الخضراء في النبات (الكلوروفيل) و «الحثالة» للدلالة على المواد الخردة، و «اللدائن» للدلالة على

(٢) مجلة المقتطف، عدد أيار/مايو ١٩٣٦.

البلاستيك، و «المخمَّر» للدلالة على السباخ، و «كُلَف الشمس» للدلالة على بقع الشمس، و «ركاز المعادن» للدلالة على خام المعادن، و «استفراد العناصر» بدلاً من عزل العناصر، وهلمّ جراً. وهي مصطلحات سائغة واضحة تؤدّي المعنى المطلوب بما يقرب من البداهة، ولكنها مع ذلك هُجِرَتْ وبطل استخدامها اكتفاءً بما درج على الألسنة من ألفاظٍ تقابلها.

والذي يطالع الصحف اليومية يقع على مصطلحات مستحدثة يحار في فهم كنهها القارئ، اللهّم إلاّ إن استطاع ردَّها إلى أصلها الفرنجي. ومن هذه المصطلحات وأغلبها من وضع الأمم المتحدة ـ «الآليات» مقابل mech-anisms و «التأيين» مقابل ionization و «الخصخصة» مقابل privatization و«السواتل» وهي تعريب للفظة Satellite التي يطلق عليها أحياناً اسم الأقمار أو التوابع الصناعية أو الاصطناعية، و «الأتمتة» وهي تعريب للفظة automation مقابل environmeutliazation، و «التكيّف الهيكلي» مقابل Adjustment Structural و«الدولدة» مقابل dollarization، وما إلى ذلك. وهي مصطلحات تبدو في معظمها آثار العجمة، كما أنها تحمل طابع القلق وعدم الاستقرار، فضلاً عن أن الإجماع على ارتضائها وتداولها مشكوك فيه. وهي إنْ حلت مشكلةً تعبيريةً في فترة مرحلية، فقد لا تحلّ المشكلة متى تواضع العلماء العرب على مصطلحات موحّدة لها. فبغير توحيد المصطلحات، وهي في الصميم من مهام المجامع، سيظل العلماء العرب يتحدّثون في ميادين تخصصهم وكأنَّهم في برج بابل.

ولا ريب في أن المصطلحات هي محور الكتابة العلمية التي تدور حول الصناعات أو المهن المختلفة، مما يسم هذه الكتابات بشدّة الجفاف والخشونة. ولكن الحياة الفكرية المعاصرة تمدّنا بشواهد على أن الموضوعات

العلمية يستطاع كتابتها بأسلوب بالغ الروعة باللغة العربية، فتخرج وكأنها قطعة من الأدب المصفى.

والتاريخ الفكري المعاصر حافل برجال قبضوا على ناصية العلوم وناصية الأدب في آن، مثل الطبيب الشاعر أحمد زكي أبي شادي، وحسبُك كتابه الضخم «الطبيب والمعمل» ومؤلفاتُه عن تربية النحل والدواجن، ومثل الطبيب الشاعر إبراهيم ناجي الذي استطاع أن يبسّط علم النفس في كتبه وفصوله، ومثل الدكتور حسين فوزي المختص بعلوم البحار وقد ساق تجاربه الماتعة بأسلوب رائق في «سندباديات»، ومثل سلامة موسى الذي بسّط العلوم واقتحم دنيا المصطلحات بتعبيراته القريبة المأتى، ومثل اسماعيل مظهر الذي لم يقنع بتقريبه لنظرية داروين بل وضع معجماً ضخماً في جزأين لمصطلحات العلوم، ومثل الطبيب الأديب محمد كامل حسين صاحب رواية «قرية ظالمة» ومؤلفاته عن المتنبي والشعر، ومثل المهندس الشاعر علي محمود طه الذي لم تنهزم رومانسيته الخصبة تحت وطأة النظريات الهندسية، ومثل الدكتور أمير بقطر الذي وضع وترجم كتباً في تبسيط علم النفس، وجاراه في هذا الميدان الدكتور يوسف مراد هو ومدرسته المعروفة «بجماعة علم النفس التكاملي».

وحسب المرء أن يطالع الكتابات العلمية لأحمد زكي أو فؤاد صرّوف أو أحمد شفيق الخطيب أو الأمير مصطفى الشهابي (وقد تقدم عرض نموذج من أسلوبه) ليدرك أن الجمع بين اللغة العربية الناصعة المشرقة والأسلوب البياني الرفيع والمادة العلمية الرصينة ليس بمستعصٍ على أفذاذ من هذه الشاكلة.

تأمّل مثلاً حديث الدكتور أحمد زكي عن «الخلية» حيث يقول:

«إن الأجسام دول، تتألف من أفراد هي الخلايا. وتنضمّ الخلايا

المتشابهة بعضها إلى بعض فتكوّن الأنسجة. والعضلة مثلاً تتألف من خلايا عضلية تخصصت في عمل واحد هو التقبض والانبساط اللذان يسبّبان الحركة. والعضلة نسيج من الأنسجة، بما تضمنّته من خلايا متشابهة. ويجتمع النسيج من نوعٍ بنسيج من نوع آخر ثم بثالث، وهلمَّ جرّا، فينتج عن ذلك العضو. فالقلب عضو، والكبد عضو، وهلمّ جرا. وكل نسيج يتألف منه العضو له عملٌ مختلف، ولكن مجموع أعمال هذه الأنسجة يؤلف شيئاً واحداً، وله هدف واحد يحتاج الوصول إليه إلى كل هذه الأعمال متعاونةً. والعضو قد ينضم إلى العضو الآخر وإلى الثالث والرابع، فيتألف الجهاز، ومن أمثلة ذلك الجهاز الهضمي. فالفم والأسنان والحلق والمريء والمعدة والمِعَاء وما يتصل بالهضم من بنكرياس وكبد وغير ذلك، من هذه يتألف الجهاز الهضمي لينجز عملاً معروفاً كثير الخطوات كبير الخطورة. ومن هذه الأجهزة يتألّف الكائن الحي»(٣).

ثم تأمَّل وصف فؤاد صروف لمغامرة أول طيار عبر المحيط من أمريكا إلى أوربا بطائرة صغيرة تضرب بجناحيها في الأجواء، حيث يقول في فصلٍ عنوانه «صدمة الجناح الفضيّ»:

«في هدأة الليل، أستيقظُ في الحين بعد الحين على طائرة تمرق في الجوّ فوق الدار، ولمروقها هدير وصفير، فهي - على ماقيل لي - الطائرة النفاثة التي تنقل الركاب من لندن إلى بيروت. وقد مرقت أمس، فلم يزعجني هديرها وصفيرها، ولكنها نبشت في هدأة الليل من دفائن الماضي ذكرى أيام قضيتُها في مصر مع جماعة من الصحب، مضى عليها اليوم خمسٌ وعشرون سنة أو تزيد، ولكن مرور الأيام لم ينل من صفائها.

---

(٣) مجلة العربي - كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٣.

كان ذلك في شهر أيار/مايو ١٩٢٧ وقد جلسنا إلى الشاي، تستبدُّ بنا لهفة على طيار مغامر روت أنباء البرق أنه استقل طائرة ذات محرك واحد من مطار روزفلت في جوار نيويورك، ثم امتطى بها متن الرياح، ومضى على وجهه قاصداً إلى باريس... تحته عباب مترامٍ، ومن حوله فضاء لا يعرف له حدوداً، وأمامه ساعات وساعات من بياض النهار وسواد الليل قد يغلبه في خلالها الملل أو يغلبه النعاس أو تلهبه العاصفة بسياطها أو تجرفه الرياح كريشةٍ في مهابّها، فيضلّ الطريق»[٤].

بهذا الأسلوب الشاعريّ صوّر فؤاد صرّوف مغامرة الطيار تشارلز لندبرغ الذي دخل التاريخ بوصفه أول طيار عبر المحيط الأطلسي بمفرده على متن الهواء في رحلة واحدة دون توقف.

وتأمل أسلوب أحمد شفيق الخطيب صاحب المعاجم العلمية النفيسة حيث يقول:

«اللغة العربية لا تنقصها خصائص اللغة العلمية، ولا مقوّماتها. والذين يتّهمون العربية بالعجز عن مجاراة التطورات الحضارية العلمية إنّما يعبّرون عن عجزهم هم، وعجزنا نحن، أو غالبيتنا في دنيا العرب.

أيام صدقت النية، وشمخت المعنويات عامرةً بالثقة والإيمان ، لم يجبن السلف أمام تيارات الحضارة اليونانية والفارسية والهندية، فأخذوا وأعطوا وعرّبوا وترجموا وألفوا وأبدعوا وانطاعت لهم العربية، فكان لهم جامعاتهم في بغداد وفاس وقرطبة والقاهرة ودمشق وتونس»[٥].

---

(٤) «على الطريق» لفؤاد صروف ـ مطبعة قلفاط، بيروت، ١٩٥٤.

(٥) «تعريب العلوم ـ القضية» لأحمد شفيق الخطيب ـ مكتبة لبنان ١٩٩٤.

وهذه النماذج تسوق أكبر البراهين على أن العلوم الصعبة المرتقى لا تتنافر مع لغة الأدب بكل جمالياتها وإشراقها، بل إن في وسع العالم المتمكن أن يعبّر عما يريد من المعاني بأسلوب أدبي رفيع يرقق الذوق، ويرهف الحسّ، ويُكسب المادة العلمية طلاوةً بعد جفاف، ورونقاً آخذاً بالألباب، فيحبّب طلاب العلوم في اللغة العربية وذخائرها من التعبيرات والمفردات.

والحقيقة المؤكَّدة هي أن اللغة لا تقوم أبداً عقبة أمام التعبير العلمي مهما استغلق، مادام الباحث جادّاً في تطويعها للمعاني التي يريدها، ومادام ينبعث من رغبة أصيلة في إغناء الضاد «بالأدب العلمي» الذي دانت له مقاديره.

ومُرادنا أن تكون لغة العلم في ألفةٍ كريمة مع لغة الأدب، وأن تزول الجفوة بينهما، تلك الجفوة التي مازالت تغري بتدريس العلوم باللغات الأعجمية في كثير من الجامعات العربية دون أي محاولة جادّة للعدول عن هذا العرف.

خلاصة

إن القرن الحادي والعشرين الذي بتنا على مشارفه يمثل تحدّياً ضخماً بالنسبة للدنيا بأسرها، ومنها عالمنا العربي، لأن الحضارة العلمية تسير بخطواتٍ متعاظمة يتعذّر التكهن بآمادها، ولأن العلوم الحديثة تنطلق بسرعة الصاروخ وتحطّم جميع حواجز المستحيلات.

ولن يتسنّى للعرب أن يلاحقوا مواكب العلوم الهادرة إلاّ إنْ فهموها واستوعبوها ودانت لهم مقاديرُها. وإذا كان المستقبل هو للعلم، فإن اللغة هي وسيلة متابعة العلم ونشره والتمكن منه والوقوف على أسراره واكتناه دنياه. وحتمٌ على اللغة العربية أن تنتضي جميع أسلحتها لخضد شوكة العلم وإخضاعه لسلطانها وتطويعه لقواعدها، وذلك بالتوسّع في سكّ

المصطلحات ونقل العلوم ومتابعة كل جديد من الفتوحات وتجديد المعاجم العلمية المتداولة بحيث تواكب مسيرة العلم.

ولئن كان هناك كثيرون من «المجتهدين» في سكّ المصطلحات وهم عادةً المشتغلون بالصحافة والترجمة والتأليف العلمي، فإن توحيد المصطلحات وإجراءها على السليقة العربية والعمل على إشاعتها هي في الصميم من أعمال المجامع. وحبذا استخراج المصطلحات من تراث العرب، إنْ كان هذا ميسوراً، فإنْ تعذّر ذلك ففي الترجمة والتعريب ملاذ. والعلمُ، مهما استعصت مادته، لا يؤود العالم الأديب، الذي يحرص على السلاسة اللغوية قدر حرصه على الأمانة العلمية، فهو يسوق عباراته بأسلوب مشرق وبيان جميل وإنْ تناولت موضوعات علميةً شديدة الجفاف. فليس بين الأدب والعلم تنافر أو خصومة أو جفوة، ولكنَّ بينهما أُلفة وتجانساً لأنّهما يصبّان في وعاء المعرفة المشترك.

فإن زالت هذه الجفوة المصطنعة بين لغة العلم ولغة الأدب ـ أعني اللغة العربية ـ انتفت حُجة الداعين إلى قصور اللغة العربية عن التعبير الصحيح عن العلم، وهي الحجة التي يتذرّعُ بها القائلون بتدريس العلوم باللغات الأعجمية في الجامعات.

مستقبل العمل المجمعي العربي

الأستاذ الدكتور يحيى جبر

أيها الحفل الكريم

يشرفني أن أقف أمامكم ممثلاً لمجمع بيت المقدس، مجمع فلسطين، سورية الجنوبية، الجرح النازف. وإنّا لنأمل هناك أن ننجح في نصرة العربية في الصراع الذي فرض عليها أن تخوضه في عقر دارها، ليس مع اللغات الأوروبية وحسب، ولكن مع العبرية أيضاً، مما يجعل العبء ثقيلاً ثقيلاً، غير أنّا يحدونا الأمل في النهوض به، راجين أن نسهم معكم في رفع شأن العربية وأهلها، مستنيرين بجهودكم، وجهود الراحلين من المجمعيين الفلسطينيين: الكرمي وزعيتر وطوقان ودروزة والنشاشيبي والحسيني وغيرهم، الذين قدم بعضهم إلى الشام ممثلا لبلده في المؤتمر السوري العربي الذي انعقد بدمشق سنة عشرين من هذا القرن.

أيها الأخوة:

ان أمتنا تعيش ظروفاً غير عادية، ولابد للتعامل معها من مناهج وأساليب غير عادية... وهذه ضرورة يقتضيها المنطق... ولا أدري لماذا يصر

بعضنا على وضع الجديد في وجه القديم على أنه ند له وبديل منه، بينما يصح أن يكون الجديد وليداً للقديم، يتخلّق في رحمه، فيأتي ابناً له، وامتداداً. ودون أن يكون ثمّ عداء، بل تناغم وصفاء.

ان الواقع الذي تحياه الأمةُ، والعالمُ من حولها، وقد غدا صغيراً، لواقع جديد يتطور ويتغير على شكل متوالية هندسية تفوق التصور، وان علينا أن نرتقي إلى مستوى المتغيرات، وأن نقيسها بما تقتضيه من أقيسة ومعايير.... دون المساس بثوابت الأمة بحال.

فهل نبادر إلى إرساء المشروع الحضاري العربي...

توطئة :

يقتضي الحديث عن العمل المجمعي العربي أن يعرج المتحدث مضطراً على العمل العربي بعامة، ذلك لأن هذا جزء من ذلك، يتأثر به، ويؤثر فيه، ونأمل أن تجيب هذه الورقة عن كثير من المسائل المتعلقة به، ولو بشكل غير مباشر، لأن العمل المجمعي المشترك يصب في معينه، ويسهم في إغنائه، غير أن مايشهده الواقع من تعثر العمل العربي المشترك انعكس على نتائج العمل المجمعي فحال دون تحقيق التنسيق الكامل، ودون شيوع الاصطلاحات وتوحيدها على الرغم مما يؤلف بين أعضاء المجامع من روابط وعلاقات متينة وصداقات أكيدة. يسمح لهم أن يلتقوا ويقترحوا، دون أن تكون لهم فرصة المتابعة والتنفيذ في الوقت الذي نجد فيه الجهات الموازية في بعض الدول الأوروبية (إيطالية وفرنسة على سبيل المثال) تملك الحق في رصد المخالفات وتصحيح الأخطاء ومنع المخالف من الاستمرار في مخالفته بكل وسيلة ممكنة.

وفي هذه الورقة نرجو أن نقدم تصورا لما ينبغي أن يكون عليه مستقبل

العمل المجمعي العربي، والتحديات التي تعترض سبيل الأمة إلى التقدم والترقي، هذه التحديات التي تترك بصماتها على كل منتجات الحضارة المادية المعاصرة شاهداً يؤذّن صبحاً ومساء أن على العرب أن يعيدوا النظر في كل ماهم عليه ابتداء من مفهومهم للدين والتديّن إلى ضرورة التعامل مع التقنيات المستحدثة في تطورها المتلاحق على شكل متوالية عددية بما تقتضيه من تفتّح لايفرط بالأصول، والأخذ بأسباب النهضة الشاملة في كل مجال، على طريق تحقيق ثورة عارمة تشمل كل عناصر الحياة وتحديداً في مجالي البنيان الاجتماعي والحصالة الثقافية.

مغالطة منطقية:

لكل كلمة معنى تختص به، ويكتسب اللفظ مكانته الاجتماعية من معناه، وهو الذي يحببه إلى الناس أو يسخطهم عليه. فللمفردتين جامعة «الدول العربية» واتحاد «المجامع» مكانة أكيدة في العرف الاجتماعي لأن في «الاتحاد» قوة... ولأن التجمع غالبا مايكون لرحمة، هو قريب من الاتحاد، ونحن نحرص على بقاء الجامعة العربية واتحاد المجامع العربية، وعلى أن تنهض هاتان المؤسستان بالأعباء الملقاة على كاهلهما لتلبي المطامح العربية وتطلعات الشعوب العربية في أرجاء الوطن العربي كافة .

ونضيف هنا، بكل مرارة وأسف أن «العربية» التي تضاف إليها المجامع هي عربية واحدة ألفاظاً ومعاني وتراثاً، ولكنها لم تعد واحدة متكلما واتصالا بالتراث ومنطلقات، فالعربية في المناطق المحتلة عامي ٤٨ و ٦٧، وتحديداً على ألسنة الطبقة العاملة والتجار، وفي أرجاء الوطن الكبير على ألسنة أهل بعض أشكال الفن والتجارة ـ تختلف وظيفتها عن الوظيفة المعروفة للغة، إذ يدخل فيها توجيه التفكير والإسهام في بلورة الرأي العام بما ينسجم مع المصلحة العليا للأمة... وكثير من العرب مازالوا على اتصال

وثيق بتراث أمتهم، ويستمدون منه مايحوكون به مستقبلهم، غير أن كثيراً منهم أيضاً قطعوا الصلة بالتراث، أو وجدوا أنفسهم يرضعون لبنا مزورا مجهول المصدر أو معلومه، مما انعكس على الواقع اللغوي بوجه عام، وأخذ يتغلغل في بنية الذات بما فيها اللغة بإجمال. إن الأمة العربية اليوم تخضع لعملية تهجين رهيبة، بعد أن دجنت تدجيناً، فما هذه بأمة محمد، وماهذه بأمة خالد ولا ابن نصير ولا صلاح ولا الظاهر، انها تتعرض لزرع جينات وراثية ليست مما ورثه الآباء. لو كان يصحو المبنج.

أعمال المجامع :

يقف المطالع في منشورات المجامع اللغوية على طبيعة النشاطات التي تنهض بها، وهي مختلفة متنوعة إلى حد كبير، ولعلها كانت أمثل مايمكن أن تؤديه المجامع في العقود السابقة، غير أن في الانفجار المعرفي وثورة التقنية اللذين باتا يكتنفان العالم من حولنا ويمتدان إلينا بآثارهما مايحدونا إلى إعادة النظر في طبيعة العمل المجمعي، وضرورة نقله إلى آفاق أرحب، والامتداد به إلى أبعاد جديدة «نووية إن صح التعبير».

ويمكن إجمال نشاطات المجامع في العقود السابقة في إقامة الندوات والمؤتمرات ونشر أعمالها، وإعداد الدراسات والأبحاث، وتوليد الاصطلاحات وترجمة بعض مصادر المعلومات، إضافة إلى تحقيق بعض المخطوطات وفهرستها وتأليف بعض الكتب المدرسية المقررة. وتراوح الأبحاث مابين السير الذاتية والدراسات العميقة مما يجده الدارس منشورا في مجلات المجامع المختلفة.

ونعتقد أنه لتحصين أهل اللغة من عوامل الحضارة المادية وانعكاساتها على الإنسان واللغة، لاسيما في ضوء ضعف أثر التراث فيهما ـ لابد من العمل على إعادة تعريب المواطن ووصله بتراثه، وهذه عملية شاقة لابد

لنجاحها من تضافر جهود كثيرة، ونرى أنها يجب أن تقوم على عاملين رئيسين هما:

١ ـ التعامل مع مقتضيات ثورة المعرفة والتقنية، والعمل على تطويعها، لتنسجم مع مقتضيات تحقيق الهوية ومواصفات الذات، اقتداء بما كان عليه السلف عندما ترجموا عن الإغريق والرومان والفرس والهنود، وبما انتهجه اليابانيون وسكان شرق آسيا في تعاملهم مع افرازات الحضارة الغربية. بعبارة أخرى: على الأمة أن تبادر إلى توطين العلم وتوليد المعرفة محليا.

٢ ـ فتق العربية عن طاقاتها الكامنة، ومانرى العربية بل اللغة بوجه عام الا كالذرة، لم يكن أحد يدري بمكنونها من الطاقة حتى كان علم الذرة الحديث، ففجرت الذرة عن طاقتها الهائلة بغض النظر عما استخدمت فيه من أغراض... والشيء نفسه نقوله في اللغة، إذ هي إطار ينطوي على علوم جمة، وطاقات ضخمة فأين الصاعق؟

ميادين جديدة للعمل المجمعي:

نسوق في مايأتي جملة من الاقتراحات من شأنها أن تؤدي إلى الانتقال بالعمل المجمعي إلى ميادين جديدة وتمده بطاقات خلاقة، وهي:

١ ـ تفريغ معاجم الألفاظ في معاجم متخصصة على غرار فقه اللغة وسر العربية للثعالبي والمخصص لابن سيده، وكتب خلق الانسان للأصمعي وابن أبي ثابت والربعي وغيرهم، وكتب الأضداد للأصمعي وأبي الطيب وابن الدهان ومن بينهم، ونحو ذلك من الكتب.

ان الأهداف التي كانت من أجلها معاجم الألفاظ غدت وراء مطلب العصر، وتجاوزها الباحثون أو ينبغي أن يتجاوزوها، ولابد من إعادة توظيف المعلومات التي تتضمنها بما ينسجم مع سمة التخصص ـ هذه الآلة التي باتت

تسهم بطابعها جل مناشط العصر.

٢ ـ تطوير منهج ابن فارس والصاغاني، وتفجير فلسفة الأصل والتركيب على طريق توليد أبعاد لغوية جديدة، واستخراج «برمجات» دماغية قادرة على التعامل مع مستجدات العصر.

ان تحليل اللفظ إلى الأصوات التي يتألف منها أمر ميسور، ولكن علينا أن نجتهد في تحليل المعنى المفرد، مم يتكون، عندئذ نبدأ في جدلية تقوم على استخراج الطاقة بتجزئة الخلية ـ الذرة ـ المعنى المفرد، ولابد نتيجة لذلك من الطاقة (س) وماعلينا إلا أن نحسن استخدامها بتحويلها إلى ضوء أو صوت أو حركة أو جاذبية... أو غير ذلك، أعني بتحويلها إلى قدرات لغوية تسعفنا في مجابهة العصر. فاللغة هي مادة العلوم، واتقان اللغة والدراية بفلسفتها يعنيان اتقان العلوم ولو إلى حد، والقدرة على التعامل معها.

٣ ـ تلمس الفصيح في اللهجات الدارجة، وماأكثره، ومنه فصيح لم يرد في المعاجم ولا في شواهد اللغة، ذلك أن هذه لم تشتمل على كل ماكان لدى العرب من ألفاظ ومعان، لو كانت هذه الأخيرة مما يحصى، ونعتقد أن في الأدب الشعبي العربي، وتحديداً ماكان منه في البوادي على امتدادها شرقاً وغرباً، ذخيرة من الألفاظ يمكن أن تسعفنا في توفير بعض مانحتاج إليه في العصر الحديث، وقد ننبه هنا إلى أن الأعراب أصدق حسا وأقدر على التعامل مع ألفاظ الحضارة الوافدة، إذ لايلبثون حتى يعربوها لعلاقة في شكل ماتطلق عليه أو لونه أو غير ذلك.

٤ ـ توطين العلم وتوليد المعرفة والتقنيات على طريق تحصين المجتمع وسد حاجاته، وهذا يستدعي إعادة النظر في الخطة الشاملة لتطوير الوطن العربي في كل مجال، وتحديد مفهوم العروبة، ففي نظرنا أن العرب كانوا أمة عندما كان الإسلام منطلقهم وصائغ وجودهم، ومن هنا فإن العروبة

والإسلام جسد واحد، والحرص على هذه يجب أن يكون حرصا على ذاك.

ولابد من العمل على بلورة الذات في ضوء مقتضى هذين العاملين، أعني الدين والقومية، حتى إذا ماتبلورت ذات متميزة أمكن للحمية الوطنية بمفهومها الشامل أن تستيقظ وتستشري محدثة شعورا بالغيرة والحرص والأخذ بأسباب الوقاية والتحصين الحضاري والتحسس ضد الأفعال المعادية ومقاومتها بردود الفعل المناسبة، بل تتجاوز ذلك إلى ممارسة الفعل، ويبدأ المجتمع بذلك مسيرة جديدة فاعلة، ودورة حياة تستعر فتوة وتحفزا كنامية اللوز بعد خروجها من سجن القشرة.

عندئذ، يكون في وسع المجتمع العربي أن يتعامل مع معطيات الحضارة الحديثة وهو آمن مطمئن، فلن يطغى لونها على لونه، بل أن في لونه من التركز مايكفي لإضفائه عليها، فنغدو تماما كاليابانيين، أو أشد، في محافظتهم على إبراز الذات اليابانية في كل جديد وافد، فلا يلبث حتى يبدو يابانيا أصيلا. إن توطيد العلم وتوليد المعرفة لايتحققان دون وطن حي محدّد المفهوم والأهداف والمنطلقات، يحترم نفسه، ويحافظ على جوهره وهويته معتدا بهما، عاملا على صيانتهما ليظلا صقيلين فاعلين. فمن هو العربي؟ أهو من يجيد العربية؟ أم هو المنتمي إلى أحد الأقطار المنتسبة لجامعة الدول العربية؟ سؤال ينبغي أن لايترك المجمعيون الإجابة عنه، وينبغي أن نسعى لبلورة مفهوم جديد أو تأصيل المفهوم الذي كان سائدا في أوائل هذا القرن الميلادي حول الشرق والشرقيين، والجامعة الإسلامية، وهو أن العروبة والإسلام جسد وروح، والعربية قوام العروبة، وهذا ماسلك الحديث في مجراه الذي رأيتم. ويقودنا ماتقدم إلى طرح التساؤل التالي:

ـ هل تستطيع المجامع اللغوية أن تتجاوز موقعها إلى موقع متقدم، تستطيع منه التعامل مع مستحدثات العصر ومقتضياته بما يمكّن المجتمع من تجاوز ماهو فيه؟ فتقوده بذلك بدلا من الكتاب والأدباء إلى مواقع متقدمة على طريق التحضر والترقي؟

ولتحقيق ذلك فانه لابد من القيام بخطوتين على الأقل هما:

أولا: الاعلان عن توحيد المجامع تحت اسم «المجمع العربي الموحّد للغة العربية» وتسمية ماهو قائم منها فروعا تحمل أسماء العواصم.

ثانياً: تحديد قيمة عليا يسعى المجمع العربي لتحقيقها، وخطة بعيدة المدى تستند إلى فلسفة تنبع عن الذات، وتؤسس على قاعدة صريحة من احساس بالخطر الداهم، وبضرورة الأخذ بأسباب العلم، والتعامل مع المتغيرات المتوالية على كل صعيد بما تقتضيه دون مساس بالهوية.

وأخيراً أرجو بهذه المناسبة، أن يوفق مجمع دمشق، ونحن نحتفل به في عيده الخامس والسبعين، وممثلو المجامع اللغوية العربية إلى جعل هذا اليوم يوما مشهودا في تاريخ العمل المجمعي العربي، تعلن فيه وحدتها في مجمع واحد. يسعى إلى قمم أعلى، وقيم عليا، ليخطو باللغة والمجتمع العربي نحو آفاق أرحب، وأبعاد جديدة تحقق للأمة مكانتها اللائقة.

المدرسة الظاهرية ومكتبتها

الدكتور محمد زهير البابا

في وسط مدينة دمشق، وبالقرب من باب البريد، يرى الزائر في الوقت الحاضر بناءين جميلين متشابهين، يفصل بينهما طريق ضيّق. وهما المدرسة العادلية وفيها قبر الملك العادل أبي بكر بن أيوب، المتوفى سنة٦١٥هـ، ويقابلها المدرسة الظاهرية، وفيها قبر الملك الظاهر ركن الدين أبي الفتوح بيبرس التركي البندقداري، المتوفى سنة ٦٧٦هـ ، وقبر ابنه الملك السعيد محمد بركة خان المتوفى سنة ٦٧٨ هـ.

يُعّد ابن شداد ، واسمه عز الدين محمد بن علي، أشهر من وضع كتاباً تحدّث فيه عن حياة الملك الظاهر وفتوحاته وأعماله. وهو مؤرخ وجغرافي سوري، ولد بمدينة حلب سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٧ م. وحينما بدأ غزو المغول لمدينته سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١م لجأ مع أهله إلى مصر. ثم انخرط في خدمة الملك الظاهر، فحصل على مكانة مرموقة، نظراً لفضله ومزاياه. لقد بيّن ابن شداد، في كتابه تاريخ الملك الظاهر، الطرق التي سار عليها في توطيد دعائم حكمه، واكتساب محبة رعيته واحترامها.

قام الظاهر بطرد الصليبيين من الساحل السوري، وأحيا الخلافة العباسية بالقاهرة، بعد سقوطها على يد هولاكو في بغداد، وحرّم الخمور وتدخين الحشيش، وعاقب بشدة كل من كان يخالف أحكام الشريعة

الإسلامية . أمّ مكة حاجاً، وأمر بكسوة الكعبة الشريفة. أنشأ عدداً كبيراً من المدارس والمساجد والبيمارستانات والحمامات العامة. كما أمر بترميم القلاع التي خرّبها الأعداء في مصر والشام. وتراجع عن فرض الضرائب التي كان ضربها، حينما شعر بتذمر الشعب.

كان الملك الظاهر، كما يقول ابن شداد، جبّاراً في الأسفار والحروب، شديد الوطأة على الأعداء من التتار والفرنج وغيرهم. وفي سنة ٦٧٦ هـ دخل دمشق، ونزل بالجوسق، المعروف بالقصر الأبلق، بجوار الميدان الأخضر. ولما سمع بوصول أبْغا(*) بن هولاكو إلى الموصل، قاصداً بلاد الشام، استعدّ للقائه. وفي أثناء هذا العزم وصل إلى أبوابه رجل من التركمان، أخبره أن أبغا أوغل في الهرب. فحمله شدة السرور والفرح على أن ازداد على نفسه (بالطعام واللذات). وكان قد شرب قمزاً (وهو شراب مخمر يصنع من لبن الفرس أو البقر). ولما أحسّ بوعكة، واشتكى حرارةً باطنة، أمر باحضار الأطباء. وقد اختلفت طرق معالجتهم، مما سبب له الإفراط في الإسهال، مع نزف الدم. وهذا ما أدّى لوفاته يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر محرم سنة٦٧٦ هـ .

كان الملك الظاهر قد أوصى أن يدفن في جهة عيّنها لأمرائه، قريبة من قرية داريا، على الطريق العام، بالقرب من دمشق، وأن يُبنى على قبره بناءٌ يبقى أثره على مر الزمان. ولما توفي رأى ابنه الملك السعيد أن يُدفن داخل أسوار دمشق، أسوة بغيره من الملوك المدفونين فيها. فكتب إلى الأمير عز الدين أيدمر، نائب سلطنة دمشق، يأمره أن يختار مكاناً إلى جوار الجامع الأموي.

لقد اتفق الأمراء عند موت الملك الظاهر، على إخفاء ذلك. فحُمل إلى

(*) جاء في كتاب العالم الاسلامي في العصر المغولي أن ابن هولاكو يدعى (أباقا) وهذا الكتاب من تأليف برتولد شبولر وترجمة خالد أسعد عيسى.

القلعة بدمشق ليلاً حيث تولّى تغسيله وتحنيطه وتكفينه المهتار شجاع الدين عنبر، والفقيه كمال الدين المؤذن الاسكندراني، والمعروف باسم المبنجي. ثم جُعل في تابوت، وأُغلق عليه في بيت من بيوت البحرية بالقلعة.

كان بيليك بدر الدين الخازندار نائباً للسلطان بدمشق. فخرج إلى مصر بمحفّةٍ ليوهم الناس أن السلطان فيها مريض. وهناك عمل على تولّي الملك السعيد الحكم، وكان عمره ثمانية عشر عاماً.

ويروي النعيمي، في كتابه الدارس في تاريخ المدارس، نقلاً عن ابن كثير، أنه في يوم الأربعاء، الثالث عشر من شهر صفر ٦٧٧ هـ ، شُرع في بناء الدار التي تُعرف بدار العقيقي، تجاه العادلية، لتجعل مدرسة وتربة للملك الظاهر. وفي ليلة الجمعة، الخامس من شهر رجب، حُمل نعش الملك الظاهر من القلعة إلى تربته. وفي شهر ذي القعدة من عام ٦٧٨ هـ توفي الملك السعيد فجأة، وهو في قلعة الكرك، بعد أن خلع نفسه، فنُقل إلى جوار والده في تربته بالظاهرية .

إن تحول قصر العقيقي إلى تربة ومصلّى ومدرسة قد أدى لتغيير شكل البناء الأصلي. إذ ارتفع حوله جداران من الحجر المنحوت، أحدهما غربي، وفيه الباب الرئيسي المقابل للمدرسة العادلية، وعلى يمينه نافذتان على الطريق. والآخر جنوبي يطل على الطريق المؤدي لضريح السلطان صلاح الدين. أما الحمام الموجود إلى يسار المدرسة الظاهرية، وكذلك الإيوان الشمالي، الموجود داخلها، فهما البقية الباقية من دار العقيقي.

لقد ذكر المرحوم الأستاذ محمد كرد علي، الرئيس الأول للمجمع العلمي العربي بدمشق، في مقال له نشر في العدد الأول من مجلة المجمع، والصادر في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٢١م، عن المدرستين العادلية والظاهرية فقال: «وأجملُ مارُسم على الرتاج (فوق باب الظاهرية) جملةٌ

نقشت في الزاوية الشمالية (عمل إبراهيم بن غانم المهندس رحمه الله) كما ذكر ابن شداد، في كتابه تاريخ الملك الظاهر، إن إبراهيم بن غانم هو الذي قام بترميم القصر الأبلق الواقع بجوار الميدان الأخضر. وإنه سُمّي بالأبلق لأن جدرانه بنيت من حجر أسود جلب من حوران، وحجر أصفر جلب من حلب. وظل هذا القصر قائماً حتى هدمه تيمورلنك عام ٨٠٣ هـ/١٤٠١م.

وأضاف ابن شداد إلى قوله السابق: «إن المهندس إبراهيم بن غانم عُني ببناء قبة التربة، فاستعان بالعمال الذين قاموا بتزيين الجامع الأموي وترميمه. فطلوا جدران المدفن الداخلية برسوم من أحجار الفسيفساء، كما زيّنوا أطراف المحراب والنوافذ بقطع من الرخام الملون، وأحاطو النوافذ بإطار من الأحجار الصفراء، المنقوشة برسوم هندسية دقيقة ومتقنة».

وتقول السيدة أسماء الحمصي، المديرة سابقاً للمكتبة الظاهرية: «لقد استوحى المهندس إبراهيم بن غانم تقاليد الفن الأيوبي، والتي كانت ماثلة في بناء المدرسة العادلية. ولعلّه أراد أن يجعل هذين البناءين المتقابلين منسجمين، فألّف منهما وحدة عمرانية رائعة»

كان بناء المدرسة الظاهرية يشمل أربعة أمكنة رئيسة وهي:

١ - **تربة الملك الظاهر وابنه الملك السعيد :** وهي قاعة مربعة الشكل، يقع بابها على يمين الداخل من الباب الكبير الذي تعلوه المقرنصات. ويعلو التربة قبة تستند على دعامتين، بارتفاع ثلاثين متراً. وفي منتصف الجدار القبلي منها يوجد محراب مزخرف، وعلى كل طرف منه نافذة يعلوها قوس مزخرف أيضاً.

٢ - **الإيوان القبلي :** وهو يقع بمحاذاة التربة. وهو مصلّى في صدره محراب يماثل بشكله محراب التربة. وكان مخصصاً لتدريس طلاب العلم على المذهب الحنفي، ويستعمل حالياً مستودعاً لكتب المكتبة الظاهرية.

٣ ـ الإيوان الشرقي : وهو الركن الذي كان يجري فيه التدريس على المذهب الشافعي. وقد دثر ولم يبق من قوسه سوى ثلاثة أحجار تدل عليه، وعلى شكله المشابه للإيوان القبلي.

٤ ـ دار الحديث : وكانت تقع في الزاوية الكائنة بين الإيوانين، ولم يبق من تلك الدار سوى الباب.

وتقول السيدة الحمصي: «ويستفاد من تراجم بعض من درَّس أو دَرَس في الظاهرية، ولا سيما في دار الحديث، إنه كان هناك غرف لهم يعيشون فيها. وكان ذلك شرطاً على كل من يُعين شيخاً لدار الحديث على الأقل، ولكن في أية جهة منها ؟ وهل هي أرضية أم علوية؟ فكلها أمور لم تزل مجهولة».

الدراسة والمدرِّسون في المدرسة الظاهرية:

كان ملوك وأمراء المماليك بأشد الحاجة إلى المال، وذلك لإنفاقه على تجهيز الجيوش، واسترضاء الجنود وأعيان البلاد، وإقامة المآدب في المناسبات والأعياد، وإقامة المنشآت الدينية والعلمية والصحية، إظهاراً لتدينهم ومحبتهم للعلم. لذلك أثقلوا كاهل الشعب، في القطرين المصري والسوري، بفرضهم الضرائب، ومصادرتهم للأراضي والأموال والأرزاق. وقد ظهرت أهمية العلماء في الدعم السياسي والنفسي للنظام المملوكي في جمع الضرائب وتهدئة الأحوال. فقامت الدولة بتعيين موظفين من العلماء المشهورين، وجعلتهم قضاة أوقضاة قضاة، أو محتسبين أو مدرسين، أو وعاظاً في المدارس و المساجد. وقد حذا المماليك حذو نور الدين والملوك الأيوبيين، برعايتهم لمدارس الفقه على مذاهب السنّة الأربعة، وذلك بتعيينهم أربعة قضاة للمحاكم، وأربعة أئمة للمساجد، وأربعة مدرسين للمدارس.

كان قضاة القضاة هم المسؤولين، بشكل رئيسي، عن تنظيم مدارس الفقه، من وجهة نظر الدولة. وكان مقرهم ومسكنهم غالباً في المدرسة

العادلية. وكان القضاةُ مديرين للمدارس ولأوقافها أحياناً. وكان لمعظم القضاة، وكبار الموظفين الدينيين، رواتب شهرية من الأوقاف، كما كانوا يتقاضون أجوراً من المتقاضين. أما أصحاب الوظائف التعليمية، وطلاب العلم، فكانت رواتبهم ضئيلة نسبياً، فاعتمدوا غالباً على الإحسان، والتماس الهبات.

ولكن واردات المدرسة الظاهرية كانت وافرة. ويكفي إلقاء نظرة على أسماء الأملاك التي أوقفت عليها، والتي نقشت على حجرٍ فوق بابها، للتأكد من ذلك. وكانت تلك الواردات كافية لتمد المدرسة والقائمين عليها ومن يتعلم فيها بالخير العميم.

روى ابن كثير، في كتابه البداية والنهاية في التاريخ: إنه في يوم الأربعاء، الثالث عشر من شهر صفر عام ٦٧٧هـ، بدأ التدريس في الظاهرية، بحضور نائب السلطنة أيدمر الظاهري. وكان درساً حافلاً حضره القضاة، ألقاه مدرّس الشافعية، الشيخ رشيد الدين الفارقي، ومدرس الحنفية الشيخ صدر الدين سليمان، المعروف بابن أبي العز الأذْرعي، ولم يكن بناء المدرسة قد اكتمل، فأمر بإكمالها الملكُ المنصور قلاوون.

إن أكثر العلماء والفقهاء، الذي درّسوا في المدرسة الظاهرية، قد وردت أسماؤهم، مع لمحة عن حياتهم ومركزهم وآثارهم، في عدة مؤلفات منها:

كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي* - شذرات الذهب في

* كان النُعيمي أحد نواب القضاة في دمشق خلال القرن التاسع الهجري. ألف أوسع كتاب عن دور العلم التي كانت منتشرة في دمشق مستفيداً من مؤلفات من سبقه. وقد أحصيت تلك المدارس فبلغ عددها (١٣٢) داراً: دور للقرآن والحديث وعددها ١٦. المدارس الشافعية وعددها ٦٣. المدارس الحنفية وعددها ٥٣.

أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي - البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير القرشي - حسن المحاضرة للسيوطي وغيرها ..

لم تذكر كتب التراجم أسماء من قام بالتدريس في المدرسة الظاهرية في القرن الثالث عشر للهجرة. وهذا يدل على تضاؤل شأنها ومكانتها العلمية والدينية. ويمكن أن يعزى ذلك لعدة أسباب منها:

١ً - تدنّي موارد أوقاف المدرسة، بسبب سوء تصرف بعض من تولى القيام عليها وإدارة أوقافها.

٢ً - تنافس المدرسين على احتلال مناصب القضاء والإفتاء، وسعيهم لتنصيب أولادهم وأقاربهم من بعدهم.

٣ً - ظهور مدارس رسمية أو خاصة، تدرّس فيها العلوم العصرية والدينية.

تحويل المدرسة الظاهرية لمكتبة عامة :

كانت أكثر المدارس والمساجد والزوايا والبيمارستانات في دمشق تحوي في خزائنها عدداً كبيراً من المخطوطات والمطبوعات، المهداة إليها من أهل البر والإحسان. كما كان بعض علماء دمشق ووجهائها يحفظون في منازلهم نسخاً نادرة من أمهات كتب التراث العلمي والديني. ولما ازداد الطلب على شراء تلك الذخائر، من البلاد وخارجها، وازداد عدد سماسرة الكتب ولصوصها، تقدم رئيس الجمعية الخيرية في دمشق ، وهو الشيخ علاء الدين بن العلامة محمد عابدين، بعريضة إلى الوالي العثماني مدحت باشا، يقول فيها مع زملائه : إن دمشق تملك الكثير من خزائن الكتب، الموقوفة على روّاد العلم، والتي فرغت من كنوزها أو كادت، بنتيجة الاختلاس والسرقة. وإنهم يخشون أن يضيع هذا النزر اليسير المتبقي.

وفي عام ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٧م استطاع الوالي مدحت باشا الحصول على موافقة الباب العالي بجمع الكتب من بعض المكتبات الوقفية بدمشق، وأن يكون مقرّها في التربة الظاهرية.

ولما صدر الأمر بعزل مدحت باشا وتعيين حمدي باشا، قام الوالي الجديد بتحويل الجمعية الخيرية بدمشق إلى مجلس معارف، يترأسه العلامة محمود حمزة، وكان من أعضائه: علاء الدين عابدين، والشيخ سليم العطار، والسيد محمد المنيني، كما أصدر في ذلك العام قراراً بتأسيس دارٍ للكتب في المدرسة الظاهرية، لكي يستطيع رواد العلم المطالعة فيها. وأن يشرف على تلك الدار بعض علماء دمشق، باسم جمعية المكتبة العمومية.

لقد استطاع المرحوم الشيخ طاهر الجزائري، بمعونة زملائه أعضاء هذه الجمعية، القيام بجمع عدد كبير من المخطوطات والكتب، الموقوفة في بعض مكتبات دمشق، وأن يودعوها المكتبة العمومية، تحت قبة الظاهرية. وقد بلغ عددها (٣٣٥٣) مرجعاً، ثم قام بعض أعضاء الجمعية بتسجيلها، بموجب محضر وقع عليه المحافظان، اللذان جرى تعيينهما لاستلام الكتب، والإشراف على المكتبة، وذلك في شهرشعبان عام ١٢٩٨ هـ / ١٨٧٩م.

المكتبة الظاهرية بين الأوقاف ومديرية المعارف :

بعد أن استلم المحافظان عملهما في المكتبة العمومية، رُبطت هذه المكتبةبدائرة الأوقاف، التي أسند إليها الاشراف على عمل الجمعية الخيرية، والتي تشرف بدورها على المكتبة.

وفي شهر آذار (مارس) عام ١٣٣٧ هـ / ١٩١٩م قامت الحكومة العربية السورية بإلحاق المكتبة العمومية بديوان المعارف، وحوّلت اسمها إلى دار الكتب العربية.

لقد اتسع عمل هذا الديوان، وأصبح يشرف على التأليف والترجمة والنشر، وإيجاد المصطلحات العلمية،وحفظ التراث والآثار، والإشراف على دور الكتب. لذلك أصدر حاكم سورية العسكري، في شهر حزيران (يونيو) ١٩١٩م قراراً بتسمية ديوان المعارف بالمجمع العلمي العربي.

المكتبة الظاهرية في ظل المجمع :

بقيت دار الكتب العربية مقتصرة على قبة الظاهرية، والتي تحولت لمستودع للكتب وقاعة للمطالعة. وأصبحت مرتبطة مع المجمع العلمي العربي بالجامعة السورية ، التي تم إنشاؤها عام ١٩١٩ ، في أمورها المالية دون الإدارية.

ولما كثر عدد المطالعين في المكتبة، وازداد عدد خزائن الكتب، اضطرت إدارة المجمع إلى جعل القاعة الكبرى، القائمة في إيوان العادلية الشمالي، قاعة للمطالعة. كما أصبحت خزائنُ الكتب موزعةً بين قبة الظاهرية والمدرسة العادلية. لذلك سعى رئيس وأعضاء المجمع لفصل المجمع عن الجامعة السورية، كما سعوا لإخلاء دار الكتب العربية من المدرسة الابتدائية الرسمية، التي أنشئت أواخر العصر العثماني (عام ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٦ م) على النمط الحديث.

لقد تحقق انفصال المجمع عن الجامعة عام ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٦م، وأجليت عنه المدرسة الابتدائية بعد ذلك بعام. وبهذه الصورة تحولت مدرسة الظاهر بيبرس، التي أنشأها ابنه الملك السعيد، إلى أول مكتبة رسمية عامة في مدينة دمشق.

وحينما تم للمجمع استلام كامل بناءي العادلية والظاهرية، سعى لتحقيق الأمور الآتية:

١ً ـ إجراء الإصلاح والترميم فيهما، بحيث يعود لهما الشكل

الهندسي القديم. وتخصيص ساحة المدرسة العادلية وإيوانيها الشرقي والجنوبي لحفظ الآثار، التي بدأت ترد إلى المجمع من المدن والمحافظات السورية.

٢ً - بذل الجهد لتزويد المكتبة بالمخطوطات والمطبوعات، الباقية في حوزة بعض علماء ووجهاء مدينة دمشق، أو السعي لاستنساخ بعض المخطوطات الموجودة لديهم.

٣ً - مراسلة بعض المؤسسات الثقافية، من عربية وأجنبية، والطلب منها تزويد المكتبة بمالديها من مخطوطات أو مطبوعات، عن طريق الإهداء أو الشراء.

٤ً - ارتأى مجلس المجمع إرسال معتمد من قبله، ليجوب بعض الأقطار العربية، بحثاً عما يفيد المكتبة من كتب ومخطوطات لشرائها أو استهدائها أو استنساخها. ووقع الاختيار على السيد حسني الكسم، مدير المكتبة، فذهب إلى مصر عام ١٩٢٤ م، حيث اطلع على الطريقة الحديثة في تنظيم المكتبات. كما استطاع الحصول على ألف وستمئة مجلد، في مختلف العلوم والآداب، وكانت جميعها هدية من بعض المؤلفين والناشرين. ويعود الفضل للعلامة أحمد تيمور باهداء عدد لا يستهان به من المخطوطات العربية المحفوظة لديه أو المنسوخة من مكتبته.

وبهذه الصورة ارتفع عدد المخطوطات والمطبوعات، الموجودة في المكتبة الظاهرية عام ١٩٢٨م إلى مايزيد على أربعة آلاف مخطوط وعشرة آلاف كتاب مطبوع تقريباً.

النظام الداخلي لدار الكتب العربية :

قام مجلس المجمع العلمي العربي، منذ ما استقل عن ديوان المعارف ١٩١٩م ، بوضع نظام حدد فيه أعمال الموظفين وعددهم في المكتبة، وساعات الدوام فيها. كما بين الطريقة الواجب اتباعها عند استعارة الكتاب

للمطالعة داخل الدار أو خارجها. وكلف الأساتذة: سعيد الكرمي وعيسى اسكندر معلوف وحسني الكسم، وضعَ فهارس للكتب، والاشراف على ترقيمها وترتيبها في خزائن المكتبة. وقد بقي القائمون على أمر المكتبة يسيرون على ذلك النظام حتى أوائل شهر أيلول (سبتمبر) من عام ١٩٣٥م.

وفي تلك الحقبة عاد الأستاذ يوسف العش من باريس، بعد أن حصل على شهادة المكتبات من مدرسة الشروط أو الوثائق Ecole des chartes ، والتي أوفد إليها فاستلم إدارة المكتبة، وسعى لتعديل نظامها الداخلي. وكان من جملة اقتراحاته التي وافق عليها مجلس المجمع:

١ ـ تخصيص قاعة عامة للمطالعة، يرتادها من يريد القراءة والاطلاع.

٢ ـ تخصيص قاعة للباحثين والمؤلفين،

ووضع فهارس حديثة في كل من القاعتين، بحيث تتفق مع غاية المطالع ومستوى علمه.

٣ ـ تنظيم فهرس جديد لكتب المكتبة، بطريقة تلائم العلوم العربية الاسلامية، ذات الصبغة الخاصة في التصنيف والتطور والهدف.

وفي عام ١٩٦٧ أعدّ مجمع اللغة العربية بدمشق مشروعاً جديداً للنظام الداخلي في المكتبة الظاهرية، يتلاءم مع الزيادة المطردة لعدد المطالعين، واختلاف أهدافهم، وكثرة المراجع العلمية والأدبية والدوريات التي تراكمت في الخزائن وفوق الرفوف. يضاف إلى ذلك ضرورة زيادة عدد العاملين من موظفين ومستخدمين. وقد تمت الموافقة عليه من قبل السيد وزير التعليم العالي، بموجب القرار رقم (١٥) ، تاريخ ١٥ / ٣ / ١٩٦٧، من قبل وزير التعليم العالي، الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد ، العضو العامل في مجمع اللغة العربية بدمشق، والمقرر الحالي لهذه الجلسة العلمية.

إنشاء مكتبة الأسد الوطنية :

ازداد عدد المدارس والمعاهد والكليات الجامعية، في القطر العربي السوري، منذ بداية عهد الاستقلال لذلك ظهرت حاجةٌ ماسة لتشييد مكتبة وطنية حديثة، تتوافر فيها الشروط الآتية:

١ ـ أن تتمتع بكامل المواصفات الفنية.

٢ ـ أن تكون مقراً للتراث الثقافي الوطني والقومي، إلى جانب المراجع العلمية والأدبية الحديثة.

٣ ـ أن تستوعب العدد المتزايد من المطالعين والباحثين.

فاتجه عندئذ تفكير المسؤولين في الدولة إلى اختيار مكان متسع ومناسب لإشادة تلك المكتبة. وبتاريخ ٢٠ / ٤ / ١٩٧٢ أصدر رئيس مجلس الوزراء قراراً يقضي بتأليف لجنة تضع دراسة شاملة، وتشرف على تنفيذ بناء المكتبة الوطنية، فوق قطعة أرض تبلغ مساحتها ستة آلاف متر مربع، تطل على ساحة الأمويين بدمشق. وفي أول الشهر السابع من عام ١٩٧٨ تم وضع حجر الأساس للبناء، الذي استغرق العمل فيه خمس سنوات، وبلغت كلفته الاجمالية نحو مائة مليون ليرة سورية.

لقد أطلق على تلك المنشأة الحضارية اسم مكتبة الأسد الوطنية، اعترافاً بفضل السيد الفريق حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية الذي أمر بتشييدها. وقد جرى الاحتفال بافتتاحها بتاريخ ١٦ / ١١ / ١٩٨٤، الموافق للذكرى الرابعة عشرة لمرور الحركة التصحيحية، والتي أشرف عليها ورعاها السيد الرئيس .

تبلغ المساحة الإجمالية لبناء المكتبة (٢٢) ألف م^{٢} ، موزعة على قبوين وستة طوابق. خصص الطابق الرابع منها لحفظ المخطوطات والدوريات

القديمة، ضمن الشروط اللازمة من الحرارة والرطوبة. وخصص الطابقان الخامس والسادس لحفظ المطبوعات، ضمن الشروط المناسبة أيضاً، وبمساحة تبلغ ستة آلاف متر مربع، تستوعب نحو مليوني مجلد.

نقلُ مخطوطات الظاهرية إلى مكتبة الأسد الوطنية

لقد صدر المرسوم التشريعي رقم (١٧)، الصادر بتاريخ ٢٦ / ٧ / ١٩٨٣، بإحداث مكتبة الأسد، وجاء في المادة الثالثة منه،ضرورة اقتناء وحفظ المخطوطات والوثائق ذات القيمة الثقافية والتاريخية أو القومية، لذلك أصدر مجلس الوزراء، في عام ١٩٨٦ قراره بضم المخطوطات المحفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق، ومكتبة الأشرفية بحلب. علماً بأن دائرة الأوقاف بحلب كانت قد جمعت في مكتبة الأشرفية المخطوطات التي كانت محفوظة في المدرسة الأحمدية والعثمانية والجامع الأموي والقرناصية والخسروفية وغيرها.

مما لاشك فيه أن ذلك الإجراء كان ضرورياً، لأن جميع المكتبات القديمة لم تكن فيها الوسائل الحديثة المستعملة في الوقت الحاضر لصيانة المخطوطات أو لمعالجة ما يصاب منها بالآفات الحشرية أو العفنية. بينما يوجد حالياً في مكتبة الأسد الوطنية قسم فني، فيه أجهزة يدوية وآلية لتعقيم المخطوطات وترميمها، ويعمل فيه جهاز مدرّب بصورة جيدة على هذا العمل . وبهذه الصورة يتم انقاذ كثير من المخطوطات العربية القيمة، والتي كان من المتعذر القيام بتحقيقها، بسبب وجود تلف في بعض أقسامها.

فهارس مخطوطات المكتبة الظاهرية المنقولة إلى مكتبة الأسد الوطنية

كانت المكتبة الظاهرية تذخر بعدد كبير من المخطوطات، يربو على

اثني عشر ألف مخطوط. وهي تشتمل على قسم كبير من تراثنا الديني والعلمي والتاريخي والفني. وقد قام بتصنيفها وترتيبها، بحسب مواضعها، مجموعة من الباحثين ضمن ستة عشر فهرساً . أصدرها مجمع اللغة العربية بدمشق منذ بداية عام ١٩٤٧ ـ حتى نهاية عام ١٩٨٠. وفيما يلي أسماء تلك الفهارس، وإلى جانبها أسماء من قام بتصنيفها، والعام الذي صدرت فيه:

١ـ فهرس كتب التاريخ	د. يوسف العش	١٩٤٧
٢ ـ فهرس كتب علوم القرآن	د. عزة حسن	١٩٦٢
٣ ـ فهرس كتب الفقه الشافعي	أ. عبد الغني الدقر	١٩٦٣
٤ ـ فهرس كتب دواوين الشعر	د. عزة حسن	١٩٦٤
٥ ـ فهرس كتب الطب والصيدلة	د. سامي حمارنة	١٩٦٩
٦ ـ فهرس كتب الهيئة وملحقاته	أ. إبراهيم الخوري	١٩٦٩
٧ ـ فهرس كتب المنتخب من علم الحديث	أ. محمد ناصر الدين الألباني	١٩٧٠
٨ـ فهرس كتب الفلسفة والمنطق والآداب	أ. عبد الحميد حسن	١٩٧٠
٩ ـ فهرس كتب الجغرافيا وملحقاتها	أ. إبراهيم الخوري	١٩٧٠
١٠ ـ فهرس كتب الرياضيات	أ. محمد صلاح عايدي	١٩٧٣
١١ ـ فهرس كتب التاريخ وملحقاته	أ. خالد الريان	١٩٧٣
١٢ ـ فهرس كتب علم النحو	أ. أسماء الحمصي	١٩٧٣
١٣ ـ فهرس كتب علم اللغة العربية	أ. أسماء الحمصي	١٩٧٣
١٤ ـ فهرس كتب علم التصوف	أ.محمد رياض المالح	١٩٧٨
١٥ ـ فهرس كتب العلوم والفنون	أ. مصطفى الصباغ	١٩٨٠
١٦ ـ فهرس كتب الأدب	أ. رياض مراد وياسين السواس	١٩٨١

لقد ذكر هذه الفهارس الأستاذ رياض مراد في محاضرته القيمة والتي تكلم فيها البارحة عن مجمع اللغة العربية بدمشق. وأود أن أشير بهذه

المناسبة إلى أن مكتبة الأسد الوطنيـة هي إحدى مؤسسات البحث العلمي في سورية، وهي ترحـب بكثير من الوافديـن إليها من الأقطار العـربية، للاطلاع على ما فيهـا من ذخائر المخطوطات والمراجع. كما تقوم إحـدى الدوائر الفنية فيها بتقـديم نسخ مصورة من مخطوطات للباحثين الجامـعيين، بعد دفع أجور رمزية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* * *



الرثاء في شعر شوقي

د. عبد الله الطيب

لشوقي رحمه الله مراثٍ كثيرة. بعضهن أنطقهن الحزن على أم رؤوم أو ذي قربى ومودة حميم، وبعضهن كن للوفاء والمجاملة، أو للمشاركة في واجبٍ وطنيٍ أو عُرْفٍ اجتماعي. ولفتتني قصيدته الهمزية في رثاء الشيخ عمر المختار رحمه الله أيَّما لَفْتٍ، لما فيها من معاني الغضب والحزن معاً.

قال أبو الطيب: «فحزْنُ كلٍّ أخي حُزْنٍ أخو الغضب» . والغضب الذي فيها فكريٌّ كما هو قلبيٌّ وجدانيّ، والقصيدة ذات إيقاع مندفعٍ وحرارةٍ.

وشوقي رحمه الله شاعرٌ مترنم تغلب عليه التَّقَيَّة في الأمور. مع ذلك هو ذو مواقف من عقلٍ وقلبٍ وأدبٍ تصعد به إلى قممٍ عاليات.

من ذلك مثلاً قوله في أرجوزة عن ملوك العرب:

ماكان ضرَّ نصراء البيعة ... لو صبروا على الوغى سُوَيْعةْ

غادرهم بسحره معاويهْ ... كأنهم أعجاز نخلٍ خاويةْ

ألقى القنا وشرع المصاحفا ... ينشد بالله الخميس الزاحفا

لايرفع المصحف كالدفوف ... والسلم لاتذكر في الصفوف

ومن ذلك حزنه على تساقط أطراف الخلافة العثمانية قطعةً بعد قطعة في زمانٍ كان الباب العالي قد جعلت تقرعه الدعوات القوميات تركية وعربية وغير ذلك قرعاً لا دينياً فظاً. قال رحمه الله:

صبراً أدرنه كل ملك زائل ... يوماً ويبقى المالك العلاَّم

خفت الأذان فما عليك موحد ... يسعى ولا الجمع الحسان تقام

في ذمة التأريخ خمسة أشهر طالت عليك فكل يوم عام
السيف عارٍ والوباءُ مسلط والسيل خوف والثلوج ركام

اختار في هذه القصيدة شوقي المترنم عادةً، بحراً رنانا، وقافية ذات صياح صارخ: همزةً مفتوحةً بعدها إطلاق ممدود:

ركزوا رفاتك في الرمال لواءَ يستنهض الوادي صباح مساءَ

وجعل أساس انفعاله وحزنه منبثقاً من انتمائه الإسلامي وإحساسه بماضي حضارة الحنيفية والعرب المجيد، وغضبه على المستعمر الأوربي الصليبي في تغوله على أقطار العرب المجاورة وعلى مصر وعلى بلاد إفريقية المسلمة والسودان، وما كان يفعله المستعمرون من أفعال القسوة بتعصبهم الحضاري والعنصري والديني أو كما يظنون.

وقد استفظع شوقي مقتل الشيخ الجليل عمر المختار رحمه الله شنقاً والازدراء بقدره والتهاون بوقاره وتقدم سنه:

ياويحهم نصبوا مناراً من دمٍ توحي إلى جيل الغد البغضاء

ههنا نبوءة شاعر وكشفه، موضع الجودة في هذا البيت مافيه من الحدس الصادق أن فعل المستعمرين هذا سيتجاوز وقته وجيله ليغرس حقداً في قلوب أجيال ستأتي - أجيال تطلب الثأر الثقيل بسلاح ثقيل، وركن الظلم منهدم لا محالة.

ماضر لو جعلوا العلاقة في غد بين الشعوب مودة وإخاء

هذه أمنية بعيد أن تتحقق، وكأن شوقياً رحمه الله قد أحس بضعفها، إذ لا مودة مع الظلم:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلةٍ لايظلمُ

وكان شوقي رحمه الله بطبعه مسالماً لطيف إحساس النفس، فأضرب عن هذه الفكرة البعيدة المنال، ثم كأن فيها نفساً غير مُسْلِم.

أليس حقاً أمر الناس كما قال الله في كتابه العزيز:

﴿ ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾.[سورة البقرة، الآية ٢٥١]

قال محمد بن جرير: « ولو لا أن الله يدفع ببعض الناس وهم أهل الطاعة والإيمان به، بعضاً وهم أهل الكفر بالله والمعصية له». ثم فصل محمد ابن جرير القول . وقال الزمخشري: « لو لا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لفسدت الأرض » إلى آخر ما قال، وقال زهير وهو عربي جاهلي كما نعلم:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يتق الشتم يشتم

وقال:

ومن يعص أطراف الزِّجاج فإنه يطيع العوالي ركبت كل لهذم

وقال أبو الطيب:

ونذمهم وبهم عرفنا فضله وبضدها تتبين الأشياء

وهذا أصل في الفكر والمعرفة، إذ لا بد من معرفة الأمر ومقابله المباين المضاد له حتى نتمكن من معرفته.

عدل شوقي رحمه الله عن أمنية المسالمة اللينة:

ما ضرَّ لو جعلوا العلاقة في غد بين الشعوب مودة وإخاء

لعلمه باستحالة تحقيقها بعد أن هم أن يستطرد إليها وعدل فقال:

يا أيها السيف المجرد بالفلا يكسو السيوف على الزمان مضاء

تلك الصحارى غمد كل مهند أبلى فأحسن في العدو بلاء

وقبور موتى من شباب أمية وكهولهم لم يبرحوا أحياء

وكأن شوقياً رحمه الله قد توهم أنه من شباب أمية، ثم فطن - إلى أنه كهل فأضاف « وكهولهم »، وكان معاوية عندما استعصى على عليٍّ كرم

الله وجهه أدنى إلى الشباب منه إلى سنّ الشيوخ.

ولشوقي غرام بما كان لبني أمية من مجد وحضارة ملك عضوض، على ميله بتشيع ما إلى أمير المؤمنين. وليس هذا من باب التناقض إذ لم يقع منه في قصيدة واحدة. وعند قدامة ألا بأس بالتناقض إذا وقع في قصيدتين مختلفتين. والشعراء مع قلب الشعر وهو قلّب. وكم منهم من مدح ثم عاد فهجا، أو هجا ثم رجع عن ذلك فمدح.

هذا ولو قد فطن شوقي فما كان شبان بني أميّة إلا من قريش، وقد يعلم رحمه الله الحديث الشريف أن مبدأ فساد الأمر سيكون بسبب غلمة من قريش.

على أن الذي أراده شوقي هو كما قدمنا أن يتغنّى بالمجد العربي القديم ما أسسه الراشدون أهل الفتوح والدعوة بعد وفاة النبي ﷺ وما صنع بنو أمية وبنو العباس بالمشرق والمغرب. وقد بلغت خيل الوليد حدود الهند والصين. وبلغت خيل هشام ناحية آخن وغابات ألمانيا وما ارتدت عن نهر الڤين إلا بعد أن خر القائد من رمية سهم غرب، فخاف القوم أن يقع بينهم خلاف فرجعوا - ومنهم من بقي واستمات واستشهد.

لو لاذ بالجوزاء منهم معقل دخلوا على أبراجها الجوزاء

وما كان دخول معاقل أوربا إلا كدخول الجوزاء.

سابقتهم هي التي هيأت للعثمانيين من بعد أن يفتحوا القسطنطينية وأن يقرعوا أبواب ڤينا بالحديد.

نسأل الله ألا تكون عاقبة الإسلام في مشرق أوربا كما كانت في الأندلس والغرب، ولعمري ماضر بني الإ سلام بالأندلس إلا طوائفهم المتفرقة وما خالطها من جور وفتن.

هذا ثم تمضي القصيدة في معانٍ من ذكر الشهادة وتأبين الشيخ

الشهيد في لفظ حار ومعنى بار:

بطل البداوة لم يكن يغزو على تَنْكٍ ولم يك يركب الأجواء
لكن أخو خيل حمى صهواتها وأدار من أعرافها الهيجاء
دفعوا إلى الجلاّد أغلب ماجداً يأسو الجراح ويطلق الأسراء

وليس ذلك من أدب الاستعمار ولا منهج عنصريته.

ويشاطر الأقران ذخر سلاحه ويصف حول خوانه الأعداء

لا يبخل عليهم بزاد. ويحبو الأحباب كما لا يخفى، ولم يضق نطاق البيت عن هذا المعنى لكنه متضمن فيه.

وتخيروا الحبل المهين منية لليث يلفظ حوله الحوباء
يا أيها الشعب القريب أسامع فأصوغ في عمر الشهيد رثاء
ذهب الزعيم وأنت باقٍ خالد فانقد رجالك واختر الزعماء
وأرح شيوخك من تكاليف الوغى واحمل على فتيانك الأعباء

والأعباء لا يتحملها الفتيان وحدهم. وكما في الفتيان جراءة واندفاع في الشيوخ أناة وحزم وصبر.

نسأل الله سؤال العانين الخاضعين لسطانه الخاشعين ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به. واعف عنا، واغفر لنا، وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ . [سورة البقرة، الآية ٢٨٦]

دعوة إلى تيسير النحو العربي

د . عبد الوهاب حومد

في عام ١٩٣٨ أوفدت في بعثةٍ دراسية إلى جامعة باريس،لدراسة اللغة العربية وآدابها. وكان أساتذتنا في كلية الآداب، من المستشرقين اللامعين: مارسيه وماسينيون وبلاشير وسوفاجيه، وكذلك ديمونبين، الذي لم يكن يحظى بتقديرنا ولا احترامنا، لما لمسناه فيه وفي كتابه «المؤسسات الإسلامية» من ضحالة علم، وضيق صدر بالإسلام والعروبة..

وقد أعجبنا منهم، طرقُ البحثِ المنظَّم والانطلاقُ من فكر متحرر، يبحث عن الحقيقة دون التزامٍ بثوابت مقررةٍ سلفاً، وكانوا يتبنَّون الآراء التي يلقيها في روعهم بحثُهم المجرَّد..

وكان عدد الطلاب والطالبات الفرنسيين والأجانب، الذين انتسبوا الى قسم اللغة العربية، في تلك السنة الأولى، في حدود الثمانين، غير أنه كلما أفل نجم وطلع فجر، كان عددهم يتناقص... وأظن أنه لم يتخرج معنا إلا المستشرق الحالي نيكيتا إليسييف، الذي انتخبناه في هذا العام عضواً مراسلاً لمجمعنا هذا..

وكانت هذه الظاهرة، ولازالت، مدعاةً لدهشتنا. وإن كنا إلى حد ما، نتوقعها..

فلم تكن حالة أمتنا العربية، آنذاك، صالحةً لاستقطاب أجانب كُثْرٍ في

رحاب علومها وآدابها، كما أن لغتنا كانت، ولاتزال، عسيرةً عليهم وعلينا نحن أيضاً، خاصة قواعدَها النحويةَ والصرفيةَ، بل والإملائية كذلك.. وكنت أشعر بضيق نفسي، وأنا أرتاد قاعات الإنكليزية والإيطالية (وغيرها من اللغات الحية) التي تكاد تتفجر بمن فيها من الطلبة والطالبات...

وكثيراً ماساءلت نفسي: هل العيب في ضعفنا في المصطرع الدولي، أم في قواعد لغتنا، أم في الأمرين معاً؟...

وأجابتني نتائج الاستقراء، بأن علتنا الكبرى تكمنُ في الجمود الذي ضرب مقوّمات حياتنا الفكرية، في جميع جوانبها، منذ أكثر من ألف عام..

ففي مجال الفقه، وهو الميدان الأرحب لتنظيم الحياة الدينية والعملية، أُغلِق باب الاجتهاد منذ القرن الرابع الهجري، وأسدل ستار كثيف على العقل، فأصبحت الدراسات الإسلامية شروحاً لنصوص قديمة، كانت في زمن تأليفها آيات في الروعة والدقة، إلا أن الزمن نفسه أخذ يتخطاها، فأصبحت في حاجةٍ إلى عقولٍ متفتحةٍ، تقرؤها قراءة جديدة، كما تقتضي سُنَنُ النشوء والتطور..

وكذلك تجمدت الدراسات النحوية والصرفية، على ماقررته مدرسة البصرة من قواعد، تأثرتْ أبعد مايكون التأثر، بالفلسفة والمنطق وعلم الكلام... وبذلك دخل في النحو ماليس منه ولا يحتاج إليه، كالعامل والمعمول، والعلل الثواني والثوالث...

ومع مرور الأيام، أصبح النحو علماً من العلوم، وأصبحت اللغةُ أسيرةَ قيوده وقواعده، كما أصبحت غايةً يُسْعى إليها، مع أنها ليست، ولا يصح أن تكون، إلا وسيلةً مأمونةَ المسلك، ميسرة المأخذ، لنقل الأفكار وحسن صوغها، لتسهيل نقلها وسلامة إدراكها...

وسلكت الأمم المتطورة مسلكاً مخالفاً، وظلت تنظر في قواعدها

النحوية والصرفية والإملائية، منتقلة من تيسير إلى تيسير، حتى استقرت على أسسٍ واضحة، سائغةِ المأخد وقريبة التناول.. وأنشأتْ كلُّ دولة، للغتها، مجمعاً يرعاها، ويسهر على سلامتها، وينقّح قواعدها ويمدُّها بالمفردات والمصطلحات... وقد أخذتْ المجامع على عاتقها مسؤوليةَ وضع معجم، يمكن أن نصفه بأنه المعجم القومي للغة، يكون مرجعاً للقول الفَصل في صحة الكلمة أو فسادها... وهذا ماأخذت الأكاديمية الفرنسية نفسها به، دون أن تغلق الباب على المبادرات الشخصية، فكان أن نبتت في حديقة اللغة، معاجم لها شهرتها كلاروس وروبير...

وتأثر بعض علمائنا بالنهضة الغربية المزدهرة، فسعوا إلى تبسيط قواعد النحو، خاصة، وجعله قريباً من حقائق الحياة ومدارك الطلبة... وأذكر أن أعلى صرخةٍ مدوية سمعتُها، وربما كانت الأولى، فيما يخصني، كانت تلك التي أطلقها عام ١٩٥٦ الأستاذ اللغوي الشهير إبراهيم مصطفى...

ففي ذلك العام، عقد في دمشق مؤتمران اثنان:

الأول، المؤتمر الثاني للأدباء العرب وقد التأم شمله مابين ٢٠- ٢٧ أيلول (سبتمبر) والثاني، المؤتمر الأول للمجامع العربية، التي كانت موجودة، إذ ذاك، وهي مجامع القاهرة وبغداد ودمشق، وقد عقد في ٢٨ ايلول نفسه..

وكان المؤتمران يضمان، بكل رفقٍ وإكرام، القِمَم الأدبية واللغوية في العالم العربي..

فقد شارك فيهما من سورية مصطفى الشهابي وخليل مردم وشفيق جبري وحسني سبح وشكري فيصل وجميل صليبا وسامي الدهان وأسعد طلس... ممن أذكر..

وحضر من مصر طه حسين ومنصور فهمي وإبراهيم مصطفى وأحمد

حسن الزيات..

وجاء من أرض الرافدين، محمد بهجت الأثري وجواد علي ومصطفى جواد...

وكان بين المدعوين من الأردن ناصر الدين الأسد، ومن لبنان ميخائيل نعيمة...

وكان من حضور المؤتمرين، مدعوون آخرون، معروفون بعلو مقامهم في علوم اللغة العربية وآدابها،..

وقد واتتني فرصة مباركة، كانت من قبيل الصدفة لا أكثر، ناطت بي شرف افتتاح المؤتمرين، جرياً على تقليد مألوف، هو أن يقوم ممثل الدولة المضيفة بافتتاح المؤتمر المنعقد فيها..

وكنتُ يومها وزيراً لمعارف الدولة السورية.. كما كانت تسمى آنذاك..

ومن باب تكريم أعضاء الوفود العربية، والحرص على إظهار أهمية انعقاد المؤتمرين، حرص المرحوم شكري القوتلي، رئيسُ الجمهورية، على حضور الحفل الذي أقامته الحكومة في بلودان، وألقى فيه خطاباً قومياً رائعاً، أشعر الجميع بأنهم في بلدهم وفي رحاب أمتهم، التي ستظل واحدة خالدة، برغم التجزئة وتقلبات السياسة..

وأذكر أنني أثرت في خطاب الافتتاح موضوع الحاجة إلى تبسيط قواعد النحو وتسهيل مفاتيح الصرف، والاتفاق على قواعد كتابةٍ موحدةٍ للإملاء.. وهي الصعوبات المزمنة، التي يشتكي منها كثيرون من أبناء الأمة العربية.. ولست أبرئ نفسي من هذه الشكوى..

وأذكر أيضاً أن أوضح المتحدثين بياناً وأقواهم إيماناً بقضيته، كان الأستاذ إبراهيم مصطفى. وكان حديثُه، وهو اللغوي الضليع، منصبّاً على

الحاجة الملحّة، إلى تبسيط قواعد النحو العربي وتخليصه مما علِقَ به من الشوائب والفرضيات التي صرفَتْه عن الغاية التي أنشئ من أجلها، وهي حمايةُ اللغة من لحن بنيها الأقحاح، ومن لحن أبناء البلاد المفتوحة، الذين أقبلوا على تعلمها حباً في فهم أصول دينهم الجديد الذي اعتنقوه، أو من أجل غاياتٍ دنيوية مبرَّرة..

ويحفظ تاريخ اللغة العربية وآدابها والفقه، أسماء عدد كبير ممن نبغ من هؤلاء الأجانب في دولة الإسلام، وقدموا أجل الخدمات للغة العربية، وللعلوم الإسلامية..

ولعل أغرب مافوجئت به، هو وقوف بعض أعضاء المؤتمرِيْن، من سوريين ولبنانيين خاصة، وأكثرهم مِمّنْ لم يُعْرف عنهم أنهم أصحاب قَدَمٍ راسخة في علوم لغة الضاد، في وجه كل دعوة إصلاحية، وحجتهم التي تذرعوا بها، هي أن كلَّ مساسٍ ولو كان رفيقاً بالقواعد التي ورثناها عن الخليل وسيبويه وتلامذتهما، إنما هو عدوان على العروبة والإسلام... وقديماً قال أبو عثمان المازني (المتوفّى عام ٢٤٨ هـ) :

«من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد سيبويه، فليستح»..

والذي يتتبع تاريخ اللغة العربية، يجد أن الدعوة إلى تبسيط قواعد نحوها وصرفها قديمةٌ، بدأتْ مع الجيل الثاني، الذي تلا جيل آباء النحو الأول، حين لاحظ كبارُ الأساتذة وُعورةَ مسالكها، فوضعوا للناشئين من تلامذتهم، موجزاتٍ نحوية، أخذوها من مفصَّلاتهم، تيسيراً عليهم. وهذا مافعله ثعلب (المتوفى عام ٢٩١ هـ) وأبو علي الفارسي، الذي أسمى مختصره «الأولويات في النحو»، وأبو عثمان بن جني (توفي عام ٣٩٢ هـ) الذي وضع مختصراً سمّاه «اللمع».

وكانت الغاية من هذه المختصرات، تمكين الدارسين من استيعاب

قواعد النحو، بتبسيط مناهجها وتخليصها من كثير من التفصيلات والنظريات الفلسفية ومن أصول علم الكلام، الذي أخذ يمكِّن لنفسه في العلوم المختلفة..

غير أن الدعوة الأساسية إلى الإصلاح، هي دعوة ابن مضاء القرطبي (٥١٣ -- ٥٩٢ هـ)، وكان عالماً فاضلا، وقاضياً للقضاة في دولة الموحدين.. على مذهب علي بن حزم الظاهري (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ)... وهو مذهب يقف عند ظاهر النص ويرفض القياس !. ويلخصه هذا الفقيه الشهير بقوله:

ألم تر أنــي ظاهريٌّ وأنني : على مابدا، حتى يقوم دليل

وقد نظر ابن مضاء في المطولات النحوية، وفي خلافات مدرستي البصرة والكوفة، فوجدها تغص بما أقحمه علماؤهما في علم النحو، من قواعد فلسفية وكلامية، لالزوم لها، عقَّدته وجعلته علماً عسير المأتى، وعر المسلك... لذلك نَقَم على المدرستين على السواء، ووضع كتابه، الصغيرَ في حجمه، الكبيرَ في مدلوله، وهو «الرد على النحاة». وقد حققه ونشره، الأستاذ الموقر الدكتور شوقي ضيف، ضيفُ هذا المؤتمر، عام ١٩٤٧، وقدَّم له بمدخل في حجمه...

وينطلق ابن مضاء من مبدأ «الدين النصيحة»، لأنه يرى أن النحاة يدخلون، من خلال تعليلاتهم وفرضياتهم، في القرآن الكريم ألفاظاً مفترضة، لاتتقبلها آياته..

وقد ركَّز جهوده على نقض نظرية العامل في النحو. وعن وجهة نظر ابن مضاء، كتب الدكتور شوقي ضيف في مقدمة «الرد على النحاة» مايلي:

«وابن مضاء لايُزْري على نظرية العامل لأنها فاسدة بذاتها، وإنما لما تجره من تقديرٍ في العبارات لعوامل ومعمولات، على نحو مانعرف من الضمائر المستترة والتنازع والاشتغال..

وليس هذا ماتجره نظرية العامل في كتاب النحو، فهي تجر وراءها أيضاً حشداً من عِلل وأقيسة يَعْجَز الثاقب الحس والعقل عن فهم كثير منها، لأنها لاتُفَسِّرُ غامضةً من غوامض التعبير ولا دفينةً من دفائن الأسلوب، وإنما تفسّر فروضاً للنحاة وظنوناً مبهمة...».

لذلك طالب ابن مضاء بتحطيم التقدير في العبارات والتخلص من الأقيسة والعلل الثواني والثوالث، ونبذ التمارين غير العملية.. كما أنه دعا إلى إلغاء «كل مالا يُفيد نطقاً»، كالاختلاف في علة رفع الفاعل ونصب المفعول به وسائر مااختلفوا فيه من العلل والتنازع والاشتغال..

وقد كان أميناً في تأليفه، فأثنى على أبي الفتح بن جني، الذي سبقه في كتابه «الخصائص» إلى القول:

«وأما في الحقيقة ومحصول الحديث، فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم، إنما هو للمتكلم نفسه، لالشيء آخر»[1].

ولكن هذه الدعوة الخيرة، بقيت صرخة في واد، ولم تَلْقَ حظها من الدراسة أو الاستجابة مدة تقرب من ثمانية قرون.. كان العقل العربي خلالها عقيماً يجتر شروح الأقدمين، خاصة في مجالي النحو والفقه..

وفي أوائل هذا القرن، هبت رياح النهضة على أمتنا، فتحركت لتجدد نفسها، بتجديد عقلها وفقهها ولغتها وعلومها، ولتلحق بركب الحضارة العالمي، الذي يحث الخطى بسرعة متزايدة.. واتجهت همم المصلحين إلى

---

(١) كتب الدكتور عبد الرحمن عطية، في كتابه «مع المكتبة العربية» دار الأوزاعي الطبعة الثالثة ص ٢٩٩ عن هذا الكتاب مايلي:

«وهذا الكتاب من أجلِّ ماألف في اللغة من كتب، فقد تكشف عن فهم عميق لدى ابن جني لمفهوم علم اللغة، على النحو الذي اصطلح عليه علماء اللغات في العصر الحديث من أنه علم بالقوانين الناظمة لجزئيات اللغة، وبصورة أعم وأشمل من علمي النحو والصرف».

محاربة التخلف في مكامنه وحيث يعشش...

وكان للأستاذ إبراهيم مصطفى، شرف المبادرة إلى استئناف العمل على مادعا إليه ابن مضاء، فألف في النحو كتاباً نشره عام ١٩٣٧ أطلق عليه اسماً غير مألوف، إلا أنه مُعَبِّر، هو «إحياء النحو».

والإحياء لايكون إلا للأموات

ومما قاله في مقدمته:

«كان سبيل النحو موحشاً شاقاً، وكان الإيغال فيه يُنْقِضُ قِواي نقضاً...

واتصلتُ بدراسة النحو في كل معاهده التي يُدَرَّسُ فيها بمصر... ورأيتُ عارضةً واحدة، هي التبرمُ بالنحو والضجرُ بقواعده وضيقُ الصدر بتحصيله.»

وقد شرح طريقته لإصلاح النحو، شرحاً مثيراً...

وقال فيه طه حسين في المقدمة التي قدَّم فيها هذا الكتاب:

« والناس يضيقون بالنحو ويتبرمون بحديثه..

وإذا بإبراهيم يَرُدُّ تفكير النحويين إلى تفكير الفلاسفة والمتكلمين من المسلمين. وهو يفتح لهم طريقاً إن سلكوها، فلن يُحيّوا النحوَ وحده، ولكنهم سيحيون معه الأدب العربي أيضاً...».

وسار على سنة الأستاذ إبراهيم مصطفى، علماءُ محترمون، أدلوا بدلائهم في عملية التجديد، أذكر منهم، على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر، الدكتور أحمد عبد الستار الجواري، الذي نشر عام ١٩٨٤ كتابه «نَحْوُ التيسير» وانتقد فيه النحاة القدماء بأنهم «عُنُوا باستخراج القاعدة النحوية من كل ماوصل إليه علمهم من كلام العرب شعراً ونثراً، فكثرتْ القواعدُ وتشعَّبتْ شُعباً شتى... والشعرُ يخضع لقواعد الضرورة.. ولم

يصرفوا عنايتهم إلى القرآن الكريم، وهو أسلوب سهل سلس، بالغُ القوة والبراعة والانسجام..»

والدكتور مصطفى جواد، الذي ألقى سلسلة من المحاضرات، في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة عام ١٩٥٤ عن «المباحث اللغوية في العراق» قال فيها:

«ومشكلةُ نحو العربية وصرفِها متفرعةٌ ومتنوعة. فأول فروعها الجمودُ وعدمُ الإبداع..

ونعني بالجمود اتباعَ قدماء النحاة في سرد القواعد من غير عرضها على كلام العرب والتزام أقوالهم، كأنها مما يحرم فيه الاجتهاد ولا يجوز التعليق عليه.

ولقد أُخِذَ النحو العصري، وهو نحو مدارس الأقطار العربية وكلياتها، من نحو البصريين، دون نحو الكوفيين، ومن هنا أتاه الجمود وصار عند كثير من المعاصرين المعنيين به، غايةً لا وسيلةً... وفي الحق، أن في نحو الكوفيين آراءً كثيرةً تَفْضُلُ آراء البصريين...»

وذكر، لدعم رأيه، أمثلةً متعددة، منها عمل كان وأخواتِها، التي يعتبرها الكوفيون تامة ولازمة، والاسم الذي يأتي بعدها هو فاعلٌ، وما نسميه خبرها المنصوب بها، هو عندهم حال..

ويستحق الأستاذ الدكتور شوقي ضيف، إشادة خاصة منا، بأعماله ودراساته النحوية الرائعة، وأخص بالذكر منها كتابه «تجديد النحو»، وكتابه الأحدث «تيسيرات لغوية» الذي نشره عام ١٩٩٠.

والدكتور ضيف، ضيف هذا المهرجان، وقد كرَّمنا نحن رئيس وأعضاء هذا المجمع بقبوله دعوتنا... لذلك لن أطيل القول في نضاله التجديدي في حضوره، حتى لاأكون كناقل التمر إلى هجر، كما يقول

أجدادنا، أو كناقل الماء إلى البحر، كما يقول الفرنسيون..

وحسبي أن أقول إن سعيه الجريء إلى تخليص النحو العربي من كثير من شوائبه وتعقيداته، والرجوع به إلى وظيفته الطبيعية، هو سعي مشكور، نتقبله بالرضا والعرفان، ونعتبره أساساً لبرنامج اصلاحي، لم يعد جائزاً أبداً أن نتهاون فيه..

ولكن لايصح أبداً أن يُفْهم من تأييدنا لدعوات الإصلاح أننا نريد المساس بلغة الآباء، التي أصبحت عنوان كرامتنا ووعاء ثقافتنا وحضارتنا والأمانةَ التي ائْتُمِنَّا عليها تاريخُنا وقوميتُنا، لأننا إنما نريد إصلاحاً يحقق للعربية سبل التقدم، ويذلل لأبنائها أسباب استيعابها وسهولة التمكن من قواعدها، نحواً وصرفاً واشتقاقاً وإملاء، من منطلق الحفاظ على التراث، وفي إطاره.

ومن حسن الطالع، أن تترافق هذه الدعوة إلى تجديد النحو على طريق التطور الحضاري، بدعوات مماثلة لتجديد الفقه الإسلامي، الذي أخذت الأيدي الخيِّرة تمتد إليه، لكي يستوعب التطور العالمي ويفي بحاجات المسلمين في هذا المصطرع المتلاطم الأمواج..

ذلك أن بين النحو والفقه صلاتٍ وشيجةً، مستمدةً من قواعد تفسير النصوص الشرعية، المكتوبة باللغة العربية، والخاضعة من أجل فهمها وتوزيع العدل والحقوق بالقسطاس المستقيم، إلى معاني الألفاظ وقواعد النحو، سعياً للوصول إلى مقاصد الشارع، كما أرادها، ناظمةً لقواعد السلوك ومحققة للتوازن بين مصالح الأفراد والجماعة..

ويَعْرِفُ رجالُ القانون – وأنا واحد منهم – أن النصوص إنما توضع لتستمر، ولكن تفسيرها المتلاحق، يجعلها صالحة لكل زمان.. وبدون ذلك، تظل هذه النصوص في معزل عن المجتمع، وتضر ولا تنفع، لأنها تبقي حكم الأموات على الأحياء...

وكما كان ابن مضاء الأندلسي مشعلاً شع في القرن السادس الإسلامي في علم النحو، فإن مشعلاً آخر، سطع في المشرق بعده بقرنٍ في علم الفقه هو الفقيه الحنبلي، نجم الدين الطوفي البغدادي.. وهو كابن مضاء، وضع كتيباً صغير الحجم، جليل الفائدة عن «المصلحة».. ذهب فيه إلى أنه إذا تعارض النص– في مجال المعاملات والعادات، وليس العبادات– مع مصلحة المجتمع والأفراد، فإن المصلحة يجب أن تقدم ويهمل النص..

وقد انطلق، في دعوته هذه، من الحديث النبوي «لاضرر ولا ضرار»...

غير أن الجمود الذي ضرب الدراسات النحوية، أصاب الدراسات الفقهية، فلم يفهم الفقهاء حقيقة دعوة الطوفي إلى التجديد.. وظل الفقه يغط في سباته، قروناً طويلة.. والفقه والنحو، وجهان لعملةٍ واحدة، هي الفكر العربي الإسلامي..

ولكنْ، كما قُيِّضَ للنحو من يدعو إلى تجديده في أيامنا، نهض فقهاء معاصرون يدعون إلى تجديد الفقه أيضاً..

ويقول الشيخ محمد الغزالي:

«إنه لابد من صياغةٍ جديدة للعقل الإسلامي، فقد تاهت معالمُه وأصابَه العطب»[1] .

ويقول الشيخ مصطفى الزرقا:

«وبعد القرن الثامن الهجري، آل الفقه في جميع العالم الإسلامي إلى الجمود وفقد حركته وفعَّاليته، وأصبح كالعملاق المخدّر..»[2] .

وبفضل هذه الدعوات، أمكن تفسير الربا تفسيراً جديداً، أخرج منه

(١) من حديث أجرته معه جريدة القبس بتاريخ ٨ آذار ١٩٨٨..

(٢) مجلة الدراسات الإسلامية، كانون الأول ١٩٨٥..

الفوائد المصرفية وأرباح شهادات الاستثمار، وتخلى المسلمون في سورية ومصر عن بعض آراء أئمة السنة، في حالات الطلاق وتوريث أولاد المحروم.. وفي أمور أخرى، نفعت البلاد، من حيث تنميةُ مواردها، والعباد، من حيث تحقيقُ مصالحهم المادية والمعنوية..

غير أن جهود دعاة الإصلاح النحوي واللغوي المباركة، ستظل حبيسة الإقليمية، مالم تَتولَّ أمورَها هيئة عليا واحدة، تمثلُ جميع الأقطار العربية بالعدل، وتكونُ ذات استقلال تام عن الحكومات ومؤسسات الجامعة العربية، لتتخذ قراراتها، بالتعاون الوثيق مع المجامع المحلية، التي هي منها في الأصل، على أن يكون لهذه القرارات، في تطوير النحو والصرف والإملاء ووضع المصطلحات، سلطة ذات إلزام، حتى لاتظل نصائح أخلاقية.

وتتجه أفكاري إلى إنشاء «مجمع عربي موحَّد» يرعى لغة العرب، وينميها ويطورُها، لكي تستطيع أن تلبي حاجاتهم العلمية والثقافية، بيسر ورفق، في إطار المحافظة على الهوية والتراث.

(جلسة الختام)

كلمة الدكتور شاكر الفحام

أيها السادة العلماء

أحييكم أجمل تحية، وأعبر لكم عن سعادتي البالغة بهذا اللقاء الحميم. لقد اجتمعنا في ذكرى عزيزة غالية: ذكرى مرور خمسة وسبعين عاماً على تأسيس مجمع دمشق، هذا المجمع الرائد.

وأتاحت لنا المناسبة أن نطوف في الماضي نتبين ماحقق العلماء الرواد من خطوات في خدمة العربية المبينة لتغدو لغة العلم والبحث، تستجيب لمتطلبات العصر ومستحدثاته ومخترعاته، وأن نستعرض ماقاموا به لتضييق الفجوة مابين اللغة المحلية والفصحى.

وقد عرضت لنا الدراساتُ والبحوث التي ألقاها السادة العلماء المشاركون لُمَعاً مما قامت به المجامع العربية منفردة ومتعاونة، من جهود طيبة مثمرة، أغنت العربية بالمصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة. كما بيّنت ما قام به اتحاد المجامع اللغوية العربية في سبيل توحيد المصطلح ونشره.

وأشارت المناقشات والتعقيبات إلى ضرورة الإلزام بماتقره المجامع واتحادها لينتشر ويشيع على الألسنة والأقلام. وخير سبيل لذلك أن تقوم الوسائل المسعفة كالتلفاز والإذاعة بإيثار اللغة السليمة في منتجاتها الفنية لتألفها الأذن، وتأنس بها النفس، وأن تُدْرِج وسائلُ الاعلام والصحافة المصطلحات العربية في عباراتها بدل المقابلات الأجنبية، وأن تلتزم مؤسسات

التعليم باستعمال العربية الفصحى. فاللغة تلقين، يسهل تعلمها بالاستماع والمحاكاة. وإنما تعذب الكلمة بالاستعمال.

ولم تُغْفل الدراساتُ الحديثَ عن متطلبات المرحلة القادمة، وعن مسائل وقضايا هامة أثارها النظر في طريق التعريب وتحديث العربية، مما يوجب على المجامع واتحادها أن تضع منذ الآن الخطط الكفيلة للنهوض بتبعاتها العلمية مثل: وضع المعجمات العربية الحديثة التي تلبّي رغبة القراء: طلاباً ومدرسين ومثقفين، ووضع المعجمات الاصطلاحية في كل موضوع من موضوعات المعرفة. والإعداد لتأليف المعجم العربي الشامل، ورسم الخطة المحكمة لرفع مستوى أداء اتحاد المجامع كي يكون أكثر فاعلية وجدوى في موضوع توحيد المصطلح واشاعته.

ولا بد من أن يقوم تعاون مُجْدٍ بين المجامع والمؤسسات التعليمية والثقافية لمعالجة مسائل ومشكلات لا يجوز السكوت عليها، مثل ضعف الطلاب في اللغة العربية، وهو ضعف بادٍ على خريجي المدارس الثانوية الذين يدرسون العربية اثنتي عشرة سنة ثم لا يجيدونها. وقد يمتدُّ الضعف بعد ذلك إلى خريجي الجامعات، وهو أمر ينذر بأسوأ العواقب.

إن اللغة العربية عنوان هويتنا، وسياج حياتنا، وسجل مآثرنا، ورمز وحدتنا، إنها وطننا الروحي، إليه نئل، وبه نعتصم، ولطالما شنَّ عليها الاستعمارُ الغارات أيام سيطرته وغطرسته وبطشه ليطمسها فما أفلح.

ونحن مدعوون ومستنفرون ثُباتٍ وجميعاً، أن نذود عن الفصحى، وأن نحميها من العدوان عليها، وأن نيسّر سبل تعلمها، حتى لا يستصعب قارئها قاعدة نحوية أو صرفية، ولا يشكل على الكاتب رسم همزة أو ألف مقصورة أو سواها. وأمامنا كل تجارب علماء النفس والتربية، وكل وسائل التقانة، فلنحسن استخدامها لتقدم لنا ما قدمته للدول الغربية في تسهيل تعليم لغاتها.

إن اللغة العربية أطول اللغات الحية عمراً. إننا نقرأ شعر الجاهلية منذ ستة عشر قرناً أو يزيد، فتهتز له نفوسنا، ونحسّ الرابطة الوشيجة التي تشدنا إليه. وندرج من بعد الجاهلية إلي كتاب الله المنزل نقرأ آياته وسوره، فننتقل من روض إلى روض، ﴿ كتابٌ أُحكمت آياته ثم فُصِّلت من لدن حكيم خبير ﴾، إنه يبهر القارئ باعجازه وبلاغته، ونمضي إلى الحديث الشريف نهتدي بهداه، ونردّد : «إن من البيان لسحرا». ثم نتداول آثار العصور التالية من منظوم ومنثور، ومن كتب وتآليف لا يحصيها العد، فإذا هي قريبة المتناول، غضة، لا عسر فيها ولا صعوبة.

لقد رزقت العربية من الخصائص والصفات، ما جعلها على وجه الدهر، في شباب دائم، وربيع ناضر، ومنحها الطواعية والمرونة لتلبي كل ما يراد منها. فأيّ ثروة نفيسة عظيمة ضمتها هذه اللغة الخالدة، وأي غنى يحوزه قارئ هذه اللغة والمتحدث بها.

ولقد بذل أجدادنا مابذلوا لتظل العربية اللغة الوافية بمطالب العصر، لا يعجزها معنى، وما أكثر التآليف التي صنفوها مفتنين فيها، قد ذهبوا فيها كل مذهب، ليقربوها إلى كل طالب، وليجيبوا كل سائل. وإنك لتقرأ لهم فتحسّ أنهم قد تعشقوا هذه اللغة، ومحضوها حبهم فهي أغلى غال عليهم. وما أكثرأقوالهم في هذا الصدد. وأكتفي منها بقولة الزمخشري: « الحمد لله الذي فطرني على العصبية للعربية ».

ولئن كانت الفصحى أطول اللغات الحية عمرا، إنها اللغة التي ساحت أيضاً في أقطار المعمورة . لقد كانت اللغة العلمية التي اختارها المؤلفون والباحثون مابين سور الصين إلى جبال البرانس ليسطروا بها كتبهم مدة ستة قرون أو يزيد.

إن واجبنا اليوم أن ندأب ونعمل العمل الجادّ دون كلال لتتبوأ العربية

مكانتها، فتصبح لغة التعليم في جميع مراحله، ولغة البحث العلمي في الأرض العربية، وتتضافر جهود العلماء العرب بدل التبدد، فيكمل لاحق ما بدأه سابق، مما يهيئ لانبات العلم في الوطن العربي، ونشأة الحضارة وازدهارها.

لقد قضينا في رحاب مكتبة الأسد أياماً أربعة تعدّ من ربيع العمر، نعمنا فيها بالاستماع إلى الكلمات القيمة، والتعليقات المفيدة، والحوار البنّاء، نتحرى الحق والصواب، تشدّنا أواصر الألفة والود، ويجمعنا حبُّ العربية. نوالي العمل الحثيث، ويملؤنا الأمل، لتكون العربية المبينة لغة الحياة والعلم والتقانة، ولتستعيد مكانتها، لغةً حضارية عالمية.

وإني لأختتم حفلنا التذكاري، والرضا يملأ النفس بما تمّ وأُنجز. لقد قوّمنا مسيرتنا الماضية بعين العدل والانصاف، فتحدثنا عن الانجازات، ونبهنا على الثغرات، ثم خططنا لغدنا يملؤنا العزم والتصميم لنوالي العمل، ونحقق متطلبات المرحلة المقبلة.

وإني لأشكر لكم جميعاً، جميل مشاركتكم. وأخص السادة الوافدين الذين أكرمونا بحضورهم، وأفاضوا علينا من أدبهم.

ولقد كان للدراسات القيمة التي قُدمت أثرها الطيب، مما أغنى اجتماعنا، وفتح لنا آفاقاً من العمل نرجو أن نوفق للنهوض به. والله من وراء القصد.

أشكر في الختام لمكتبة الأسد العامرة (مديراً وإدارة وعاملين)جميل صنعها، وفرط كرمها، فيما أحاطت به حفلنا التذكاري حتى بدا في حلته القشيبة يروق الناظرين، ويرضي المشاركين.

كلمة الدكتور
أحمد طالب الإبراهيمي

السيد رئيس مجمعنا الدكتور شاكر الفحام

أخواني وأخواتي

لقد كلفني أمس اخواني أعضاء الوفود العربية المشاركون في العيد الماسي لمجمع اللغة العربية الدمشقي بإلقاء كلمة الاختتام.

فباسمكم جميعاً أتقدم قبل كل شيء بالشكر الجزيل لرئيس وأعضاء مجمعنا على حسن الاستقبال وكرم الضيافة وتنظيم الجلسات وعلى ما استمعنا إليه من بحوث ومحاضرات.

وفي الحقيقة فإن شكرنا وامتناننا لا يقتصران على هذه الفترة الزمنية القصيرة التي سعدنا بها، وإنما يمتدان إلى سنوات طويلة مضت، كانت تصلنا فيها بانتظام مجلة المجمع كهمزة وصل بين الباحثين العرب وغير العرب، وكلسان حال المجمع تعبر عن طموحاته في جعل اللغة العربية من جديد لغة العلم والحضارة، وتدافع عن مقومات شخصيتنا العربية الاسلامية، وتعرّف بنشاط المجمع وابداعه واسهامه في الحركة الفكرية والأدبية، كما كانت تصلنا مطبوعات المجمع وأهمها مايتصل بإحياء التراث، وهكذا تعرفنا على بعض موسوعة ابن عساكر في التاريخ، ودواوين شعراء الشام كالوأواء وابن

أبي حصينة في الأدب، ومصنفات ابن ماجد وسليمان المهري في العلوم، ورسالة ابن فضلان في الجغرافيا، ومؤلفات أبي الطيب اللغوي في اللغة، إضافة إلى المعاجم الحديثة وأبرزها معجم الأمير مصطفى الشهابي في النبات.

وبالرغم من هذا الجهد الضخم فإنني أرى ثغرة في قائمة مطبوعات المجمع، تجعلني أتقدم باقتراح إلى رئيسنا، وهو أن يضطلع المجمع بطبع موسوعة من نفائس تراثنا، انطلاقاً من قناعتي بأنّ نجاح المعجمية العربية مرهون بالتوفيق بين الثابت والمتحول، وبين الأصالة والحداثة، وبعد أن أخرج لنا مجمع القاهرة كتابي « الجيم »لأبي عمرو الشيباني و «ديوان الأدب » للفارابي، وبعد أن أخرج لنا مجمع بغداد كتاب « العين » للخليل بن أحمد ومجمع تونس «الغريب المصنف » لأبي عبيد القاسم بن سلام، فعلى مجمعنا الدمشقي أن يقوم بإخراج طبعة جديدة مع تحقيق علمي دقيق لكتاب «المخصص» لابن سيدة، لما أرى في هذه الموسوعة من فوائد علمية جمّة زيادة على الجانب اللغوي الصرف، وأنا على يقين أن مجمعنا قادر على جمع المحققين الأكفاء وتركيز جهودهم لإخراج موسوعة كالمخصص عوض أن تتبعثر تلك الجهود في مشاريع ضئيلة متعددة ذات فائدة محدودة.

أما الاعتمادات المالية اللازمة، فإن لم نجد آذاناً صاغية من قبل أثرياء الشام، فإن الحكومة السورية لن تبخل لتمويل مثل هذا المشروع.

أيها الأخوة، أيتها الأخوات

نحن العرب لا ننسى أن لسورية دور الريادة عندما أسّست مجمعاً يصون تراثنا وينشر كنوزه، وعندما أقرّت سيادة لغة الضاد في جميع مراحل التعليم، مما جعل الجزائر المستقلة تستفيد من التجربة السورية، ويسعدني اليوم أن أرى من بين أعضاء المجمع العاملين كثيراً ممن ساهموا في معركة التعريب بالجزائر، فلهم مني التحية العاطرة وهم يعلمون ما أحمله لهم من محبّة

وتقدير، ولا يفوتني أن أذكر هؤلاء الذين التحقوا بالرفيق الأعلى مثل الدكتور شكري فيصل والدكتور أسعد الدرقاوي والدكتور أسعد الخانجي رحمهم الله.

تلك حلقة من التواصل بين سورية والجزائر سبقتها حلقة تتمثل في وجود أستاذ الأدب العربي الوالد المرحوم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بدمشق إبان الحرب العالمية الأولى حيث كوّن جيلاً من المثقفين الذين لعبوا دوراً في نهضة سورية العلمية والسياسية، أذكر منهم المرحوم الدكتور جميل صليبا.

أيها الأخوة، أيتها الأخوات

قلتُ « معركة التعريب» ولم أقل « عملية التعريب » إيماناً منّي بأنّ الحملة التي نتعرض لها اليوم مركزة على الهوية والانتماء العربي الاسلامي، وبأنّ التمسك بالهوية والحفاظ على الانتماء يشكلان عائقاً أمام القوى الأجنبية الطامعة في سلامة الوطن.

نحن العرب لا ننسى أنّ سورية حمت العروبة من التتار والصليبيين في العصور الغابرة، وهي سائرة اليوم على نفس الدرب مستمدة قوتها من إرادة تصحيحية ومن رؤية قومية ومن شعور قوي بكرامة الأمة العربية.

هذه الأمة التي طبعت بطابع تراثها وثقافتها ومبادئها عالماً يمتدّ من بحر الصين إلى المحيط الأطلسي، والتي أقامت دولة عظيمة عرفها التاريخ بالعلم والعقل والعدل، هذه الأمّة هي نفسها اليوم تواجه الظلم والعدوان ومخططات الطامعين في الهيمنة على الأرض ونهب الموارد ومصادرة الإرادة، ومن المفارقات المأساوية أن جيلنا الذي كان يطمح إلى الوحدة العربية في الخمسينات، أصبح طموحه اليوم يقتصر على الحفاظ على الكيانات القطرية القائمة من التفكك.

هذا وفي الختام أجدد شكري لرئيس الحفل باسمكم جميعاً، وأبعث بالتحية الخالصة لراعي الحفل السيد الرئيس حافظ الأسد، رمز الوفاء، الوفاء للجذور العربية الاسلامية، والوفاء لتطلعات الأمّة.

والسلام عليكم



(آراء وأنباء)

انتخاب
الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد أميناً للمجمع

انتخب مجلس المجمع في جلسته السابعة للدورة المجمعية (١٩٩٥ - ١٩٩٦م) التي عقدها في (٨/ ٧/ ١٤١٦ هـ - ٣٠/١١/ ١٩٩٥م) الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد أميناً للمجمع.

وصدر عن السيدة وزيرة التعليم العالي الدكتورة صالحة سنقر القرار ذو الرقم (٢٣/ ت ع) في (١٨/٧/١٤١٦ هـ - ١٠/١٢/ ١٩٩٥م) بتعيين الدكتور عبد الله واثق شهيد أميناً لمجمع اللغة العربية بدمشق لمدة أربع سنوات.

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في مطلع عام ١٩٩٦م (شعبان ١٤١٦ هـ)

أ ـ الأعضاء العاملون

	تاريخ دخول المجمع		تاريخ دخول المجمع
الدكتور أمجد الطرابلسي	١٩٦١	الدكتور عبد الله واثق شهيد	١٩٨٨
الدكتور شاكر الفحام	١٩٧١	«أمين المجمع»	
«رئيس المجمع»		الدكتور محمد بديع الكسم	١٩٨٨
الدكتور عبد الرزاق قدورة	١٩٧٥	الدكتور مختار هاشم	١٩٨٨
الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦	الدكتور محمد زهير البابا	١٩٨٨
الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٧٦	الدكتور عادل العوا	١٩٩١
الدكتور محمد إحسان النص	١٩٧٩	الدكتور عبد الوهاب حومد	١٩٩١
«نائب رئيس المجمع»		الأستاذ جورج صدقني	١٩٩١
الدكتور محمد مروان محاسني	١٩٧٩	الأستاذ سليمان العيسى	١٩٩١
الدكتور عبد الحليم سويدان	١٩٨٣		

ب ـ الأعضاء المراسلون في البلدان العربية(*)

تاريخ دخول المجمع

المملكة الأردنية الهاشمية

الدكتور ناصر الدين الأسد ١٩٦٩
الدكتورسامي خلف حمارنة ١٩٧٧
الدكتور عبد الكريم خليفة ١٩٨٦
الدكتور محمود إبراهيم ١٩٨٦
الدكتور محمود السمرة ١٩٨٦

الجمهورية التونسية

الأستاذ محمد المزالي ١٩٧٨
الدكتور محمد الحبيب بلخوجة ١٩٨٦
الدكتور محمد سويسي ١٩٨٦
الدكتور رشاد حمزاوي ١٩٨٦
الأستاذ أبو القاسم محمدكرو ١٩٩٣
الدكتور إبراهم شبوح ١٩٩٣
الدكتور إبراهيم بن مراد ١٩٩٣
الدكتور سليم عمار ١٩٩٣

الجمهورية الجزائرية

الدكتورأحمدطالب الإبراهيمي ١٩٧٢
الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ١٩٧٧
الدكتور صالح الخرفي ١٩٨٦
الدكتور أبو القاسم سعد الله ١٩٩٢

المملكة العربية السعودية

الأستاذ حمد الجاسر ١٩٥١
الأستاذحسن عبد الله القرشي ١٩٩٢
الأستاذ عبد الله بن خميس ١٩٩٢

جمهورية السودان

الدكتور محيي الدين صابر ١٩٨٥
الدكتور عبد الله الطيب ١٩٨٥
الأستاذ سر الختم الخليفة ١٩٩٣
الأستاذ حسن فاتح قريب الله ١٩٩٣

الجمهورية العربية السورية

الدكتور قسطنطين زريق ١٩٥٤
الدكتور صلاح الدين المنجد ١٩٩٢
الدكتور شاكر مصطفى ١٩٩٢
الدكتور عبد الله عبد الدايم ١٩٩٢
الأستاذ عبد المعين الملوحي ١٩٩٢
الدكتور عبد السلام العجيلي ١٩٩٢
الدكتور عبد الكريم الأشتر ١٩٩٢
الدكتور عمر الدقاق ١٩٩٢

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني.

تاريخ دخول المجمع

الدكتور خالد الماغوط ١٩٩٢

الجمهورية العراقية

الشيخ محمد بهجت الأثري ١٩٣١

الأستاذ محمود شيت خطاب ١٩٦٩

الدكتور فيصل دبدوب ١٩٦٩

الدكتور عبد اللطيف البدري ١٩٧٣

الدكتور جميل الملائكة ١٩٧٣

الدكتور عبد العزيز الدوري ١٩٧٣

الدكتور محمود الجليلي ١٩٧٣

الدكتور عبد العزيز البسام ١٩٧٣

الدكتور صالح أحمد العلي ١٩٧٣

الدكتور يوسف عز الدين ١٩٧٣

الدكتور محمد تقي الحكيم ١٩٧٣

الدكتور إبراهيم السامرائي ١٩٩٣

الدكتور حسين علي محفوظ ١٩٩٣

فلسطين

الدكتور إحسان عباس ١٩٧٢

الأستاذ أكرم زعيتر ١٩٨٥

الأستاذ أحمد صدقي الدجاني ١٩٩٣

الدكتور إدوارد سعيد ١٩٩٣

الكويت

الدكتور عبد الله غنيم ١٩٩٣

الدكتور خالد عبد الكريم جمعة ١٩٩٣

تاريخ دخول المجمع

الجمهورية اللبنانية

الدكتور فريد سامي الحداد ١٩٧٢

الأستاذ عبد الله العلايلي ١٩٩٣

الدكتور محمد يوسف نجم ١٩٩٣

الجماهيرية الليبية

الدكتور علي فهمي خشيم ١٩٩٣

الدكتور محمد أحمد الشريف ١٩٩٣

جمهورية مصر العربية

الأستاذ محمود محمد شاكر ١٩٧٧

الدكتور رشدي الراشد ١٩٨٦

الأستاذ وديع فلسطين ١٩٨٦

الدكتور شوقي ضيف ١٩٩٢

الدكتور كمال بشر ١٩٩٢

الدكتور محمود علي مكي ١٩٩٣

الدكتور أمين علي السيد ١٩٩٣

الأستاذ مصطفى حجازي ١٩٩٣

الأستاذ محمود فهمي حجازي ١٩٩٣

المملكة المغربية

الأستاذ الأخضر غزال ١٩٧٨

الدكتور عبد الهادي التازي ١٩٨٦

الأستاذ عبد الرحمن الفاسي ١٩٨٦

الدكتور محمد بن شريفة ١٩٨٦

	تاريخ دخول المجمع
الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله	١٩٨٦
الأستاذمحمد المكي الناصري	١٩٩٣
الأستاذ عبدالوهاب بن منصور	١٩٩٣
الدكتور عباس الجراري	١٩٩٣

الجمهورية العربية اليمنية

	تاريخ دخول المجمع
الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع	١٩٨٥



ج ـ الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

تاريخ دخول المجمع

الاتحاد السوفيتي «سابقاً»

الدكتور غريغوري شرباتوف ١٩٨٦

ازبكستان

الدكتور نعمة الله إبراهيموف ١٩٩٣

إسبانية

الأستاذ اميليو غارسيا غومز ١٩٤٨

الدكتور خيسوس ريو ساليدو ١٩٩٢

ألمانية

الدكتور رودلف زلهايم ١٩٩٢

إيران

الدكتور فيروز حريرجي ١٩٨٦

الدكتور محمد باقر حجتي ١٩٨٦

الدكتور مهدي محقق ١٩٨٦

إيطالية

الأستاذ غبريلي (فرنسيسكو) ١٩٤٨

باكستان

الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي ١٩٦٦

تاريخ دخول المجمع

الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي ١٩٨٦

الدكتور أحمد خان ١٩٩٣

تركية

الدكتور فؤاد سزكين ١٩٧٧

الدكتور إحسان أكمل الدين اوغلو ١٩٨٦

السويد

الأستاذ ديدرينغ سفن ١٩٦٥

الصين

الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ ١٩٨٥

فرنسة

الأستاذ اندره ميكيل ١٩٨٦

الأستاذ جورج بوهاس ١٩٩٣

الأستاذ نيكيتا إيلييسيف ١٩٩٣

الأستاذ جيرار تروبو ١٩٩٣

الأستاذ جاك لانغاد ١٩٩٣

فنلانده

الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن) ١٩٢٣

	تاريخ دخول المجمع		تاريخ دخول المجمع
الهند		الدكتور مختار الدين أحمد	١٩٨٥
الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي	١٩٥٧	الدكتور عبد الحليم الندوي	١٩٨٦



رؤساء المجمع الراحلون

رئيس المجمع	مدة تولّيه رئاسة المجمع
الأستاذ محمد كرد علي	(١٩١٩ - ١٩٥٣)
الأستاذ خليل مردم بك	(١٩٥٣ - ١٩٥٩)
الأمير مصطفى الشهابي	(١٩٥٩ - ١٩٦٨)
الأستاذ الدكتور حسني سبح	(١٩٦٨ - ١٩٨٦)

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ ـ الأعضاء العاملون

	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ الياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٤
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٧
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الأستاذ محسن الأمين	١٩٥٢
الأستاذ محمد كرد علي (رئيس المجمع)	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥

	تاريخ الوفاة
الشيخ عبد القادر المغربي (نائب رئيس المجمع)	١٩٥٦
الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك (رئيس المجمع)	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي (نائب رئيس المجمع)	١٩٦٦
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي (رئيس المجمع)	١٩٦٨
الأمير جعفر الحسني (أمين المجمع)	١٩٧٠
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمد بهجت البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٧٩

	تاريخ الوفاة
الأستاذ شفيق جبري	١٩٨٠
الدكتور ميشيل الخوري	١٩٨٠
الأستاذ محمد المبارك	١٩٨١
الدكتور حكمة هاشم	١٩٨٢
الأستاذ عبدالكريم زهورعدي	١٩٨٥
الدكتور شكري فيصل «أمين المجمع»	١٩٨٥

	تاريخ الوفاة
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٨٦
الدكتور حسني سبح «رئيس المجمع»	١٩٨٦
الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٨٨
الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٩٢
الأستاذ المهندس وجيه السمان	١٩٩٢
الدكتور عدنان الخطيب «أمين المجمع»	١٩٩٥

ب ـ الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية(*)

	تاريخ الوفاة
المملكة الأردنية الهاشمية	
الأستاذ محمد الشريقي	١٩٧٠
الجمهورية التونسية	
الأستاذحسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور	١٩٧٠
الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور	١٩٧٣
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦
الدكتور سعد غراب	١٩٩٥
الجمهورية الجزائرية	
الشيخ محمد بن أبي شنب	١٩٢٩
الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي	١٩٦٥
محمد العيد محمد علي خليفة	١٩٧٩
الأستاذ مولود قاسم	١٩٩٢
المملكة العربية السعودية	
الأستاذ خير الدين الزركلي	١٩٧٦
الأستاذ عبد العزيز الرفاعي	١٩٩٣
جمهورية السودان	
الشيخ محمد نور الحسن	
الجمهورية العربية السورية	
الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الأب جرجس شلحت	١٩٢٨
الأب جرجس منش	١٩٣٣
الأستاذ جميل العظم	١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي	١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط	١٩٣٥
الأستاذ ميخائيل الصقال	١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي	١٩٤١
الشيخ سلمان الأحمد	١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني	١٩٤٣
الأستاذ ادوار مرقص	١٩٤٨
الأستاذ راغب الطباخ	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦
الشيخ محمد زين العابدين	١٩٥١

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني.

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٥٦
البطريرك مار اغناطيوس افرام	١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩
الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)	١٩٨١
الأستاذ عمر أبو ريشة	١٩٩٠

الجمهورية العراقية

الأستاذ محمود شكري الآلوسي	١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي	١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي	١٩٤٦
الأب انستاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي	١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي	١٩٦١
الأستاذ محمد رضا الشبيبي	١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري	١٩٦٩
الأستاذ منير القاضي	١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد	١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي	١٩٧١
الأستاذ كاظم الدجيلي	١٩٧٢
الأستاذ كمال إبراهيم	١٩٧٣

	تاريخ الوفاة
الدكتور ناجي معروف	١٩٧٧
البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث	١٩٨٠
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	١٩٨٣
الدكتور إبراهيم شوكة	١٩٨٣
الدكتور فاضل الطائي	١٩٨٣
الدكتور سليم النعيمي	١٩٨٤
الأستاذ طه باقر	١٩٨٤
الدكتور صالح مهدي حنتوش	١٩٨٤
الأستاذ أحمد حامد الصراف	١٩٨٥
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	١٩٨٨
الدكتور جميل سعيد	١٩٩٠
الأستاذ كوركيس عواد	١٩٩٢

فلسطين

الأستاذ نخلة زريق	١٩٢١
الشيخ خليل الخالدي	١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص	١٩٤٧
الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي	١٩٤٨
الأستاذ خليل السكاكيني	١٩٥٣
الأستاذ عادل زعيتر	١٩٥٧
الأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي	١٩٦٣

	تاريخ الوفاة
الأستاذ قدري حافظ طوقان	١٩٧١

الجمهورية اللبنانية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ حسن بيهم	١٩٢٥
الأب لويس شيخو	١٩٢٧
الأستاذ عباس الأزهري	١٩٢٧
الأستاذ عبد الباسط فتح الله	١٩٢٩
الشيخ عبد الله البستاني	١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط	١٩٣٠
الأستاذ أمين الريحاني	١٩٤٠
الأستاذ جرجي يني	١٩٤١
الشيخ مصطفى الغلاييني	١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٤٦
الأستاذ بولس الخولي	
الأمير شكيب أرسلان	١٩٤٦
الشيخ ابراهيم المنذر	١٩٥١
الشيخ أحمد رضا (العاملي)	١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرزي	١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض	١٩٥٨
الأستاذ سليمان ظاهر	١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود	١٩٦٢
الأستاذ بشارة الخوري (الأخطل الصغير)	١٩٦٨
الأستاذ أمين نخلة	١٩٧٦
الأستاذ أنيس مقدسي	١٩٧٧
الأستاذ محمد جميل بيهم	١٩٧٨
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٨٦
الدكتور عمر فرّوخ	١٩٨٧

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الشتراكية

الأستاذ علي الفقيه حسن	١٩٨٥

جمهورية مصر العربية

الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الأستاذ أحمد كمال	١٩٣٢
الأستاذ حافظ إبراهيم	١٩٣٢
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤
الأستاذ محمد رشيد رضا	١٩٣٥
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧
الأستاذ أحمد الاسكندري	١٩٣٨

	تاريخ الوفاة
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الأستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤
الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٥٦
الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٥٨
الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣

	تاريخ الوفاة
الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الأمير يوسف كمال	١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥
الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٨٤
الأستاذ محمد عبد الغني حسن	١٩٨٥

المملكة المغربية

الأستاذ محمد الحجوي	١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣
الأستاذ عبد الله كنون	١٩٨٩
الأستاذ محمد الفاسي	١٩٩١

ج ـ الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

	تاريخ الوفاة
الاتحاد السوڤييتي « سابقاً »	
الأستاذ كراتشكوفسكي (أغناطيوس)	١٩٥١
الأستاذ برتل (ايفكني ادوار دو فيتش)	١٩٥٧
اسبانية	
الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)	١٩٤٤
المانية	
الأستاذ هارتمان (مارتين)	١٩٢٨
الأستاذ ساخاو (ادوارد)	١٩٣٠
الأستاذ هوروفيتز (يوسف)	١٩٣١
الأستاذ هوميل (فبريتز)	١٩٣٦
الأستاذ ميتفوخ (أوجين)	١٩٤٢
الأستاذ هرزفلد (أرنست)	١٩٤٨
الأستاذ فيشر (أوغست)	١٩٤٩
الأستاذ بروكلمان (كارل)	١٩٥٦
الأستاذ هارتمان (ريشارد)	١٩٦٥
الدكتور ريتر (هلموت)	١٩٧١

	تاريخ الوفاة
ايران	
الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال	١٩٥٥
الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٨١
الدكتور محمدجواد مشكور	١٩٩٥
ايطالية	
الأستاذ غريفيني (اوجينيو)	١٩٢٥
الأستاذ كايتاني (ليون)	١٩٢٦
الأستاذ غويدي (اغنازيو)	١٩٣٥
الأستاذ نلّينو (كارلو)	١٩٣٨
باكستان	
الأستاذ محمديوسف البنوري	١٩٧٧
الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي	١٩٧٨
البرازيل	
الدكتور سعيد أبو جمرة	١٩٥٤
الأستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)	١٩٨٤

	تاريخ الوفاة
البرتغال	
الأستاذ لويس (دافيد)	١٩٤٢
بريطانية	
الأستاذ ادوارد (براون)	١٩٢٦
الأستاذ بفن (انطوني)	١٩٣٣
الأستاذ مرغليوث (د.س.)	١٩٤٠
الأستاذ كرينكو (فريتز)	١٩٥٣
الأستاذ غليوم (الفريد)	١٩٦٥
الأستاذ اربري (أ.ج.)	١٩٦٩
الأستاذ جيب (هاملتون أ.ر.)	١٩٧١
بولونية	
الأستاذ (كوفالسكي)	١٩٤٨
تركية	
الأستاذ أحمد اتش	
الأستاذ زكي مغامز	١٩٣٢
تشكوسلوفاكية	
الأستاذ موزل (ألوا)	١٩٤٤
الدانمرك	
الأستاذ بوهل (فرانز)	١٩٣٢
الأستاذ استروب (يحيى)	١٩٣٨
الأستاذ بدرسن (جون)	١٩٧٤

	تاريخ الوفاة
السويد	
الأستاذ سيترستين (ك.ف)	١٩٥٣
سويسرة	
الأستاذ مونته (ادوارد)	١٩٢٧
الأستاذ هيس (ح.ح)	١٩٤٩
فرنسة	
الأستاذ باسيه (رينه)	١٩٢٤
الأستاذ مالانجو	١٩٢٦
الأستاذ هوار (كليمان)	١٩٢٧
الأستاذ غي (ارثور)	١٩٢٨
الأستاذ ميشو (بلير)	١٩٢٩
الأستاذ بوفا (لوسيان)	١٩٤٢
الأستاذ فران (جبريل)	١٩٥٣
الأستاذ مارسيه (وليم)	١٩٥٦
الأستاذ دوسو (رينه)	١٩٥٨
الأستاذ ماسينيون (لويس)	١٩٦٢
الأستاذ ماسيه (هنري)	١٩٧٠
الدكتور بلاشير (ريجيس)	١٩٧٣
الأستاذ كولان (جورج)	
الأستاذ لاوست (هنري)	١٩٨٣
المجر	
الأستاذ غولدزيهر (اغناطيوس)	١٩٢١

تاريخ الوفاة

الأستاذ ماهلر (ادوارد)
الأستاذ عبد الكريم جرمانوس ١٩٧٩

النروج

الأستاذ موبرج

النمسا

الدكتور اشتولز (كارل)
الأستاذ جير (رودلف) ١٩٢٩
الدكتور موجيك (هانز) ١٩٦١

الهند

الحكيم محمد أجمل خان ١٩٢٧

هولاندة

الأستاذ هورغرونج (سنوك) ١٩٣٦

تاريخ الوفاة

الأستاذ هوتسما ١٩٤٣
(مارتينوس تيودوروس)
الأستاذ اراندونك (ك فان) ١٩٤٧
الأستاذ شخت (يوسف) ١٩٧٠

الولايات المتحدة الأمريكية

الدكتور مكدونالد (ب) ١٩٤٣
الأستاذ هرزفلد (ارنست) ١٩٤٨
الأستاذ سارطون (جورج) ١٩٥٦
الدكتور ضودج (بيارد) ١٩٧١
الدكتور فيليب حتي ١٩٧٨

فهرس الجزء الأول من المجلد الحادي والسبعين

العيد الماسي لمجمع اللغة العربية بدمشق

(جلسة الافتتاح)

(البحوث)

(جلسة الختام)

(آراء وأنباء)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٦

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٢٤ تحقيق مطاع الطرابيشي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٣٩ تحقيق سكينة الشهابي
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، ج٢ تحقيق غازي طليمات
- المسائل المنثورة في النحو لأبي علي الفارسي تحقيق مصطفى الحدري
- فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق٢ وضع ياسين السواس
- المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصبهاني تحقيق سبيع الحاكمي
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج٣ تحقيق إبراهيم عبد الله
- المستدرك على فهرس (الشعر) إعداد رياض مراد
- تاريخ دنيسر للطبيب أبي حفص عمر بن اللمش تحقيق إبراهيم صالح
- الدكتور شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً للدكتور عدنان الخطيب
- الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا للدكتور أحمد عروة

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٧

- المحب والمحبوب للسري الرفاء مج ١ - ٤ تحقيق غلاونجي والذهبي
- شعر خداش بن زهير العامري صنعة د. يحيى الجبوري
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٣٨، ٤٠ تحقيق سكينة الشهابي
- إعراب الحديث النبوي للعكبري (ط٢) تحقيق عبد الإله نبهان
- فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٦ وضع غزوة بدير
- الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية وضع الخيمي والحافظ
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، ج٤ تحقيق أحمد مختار الشريف
- علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب دراسة وتحقيق د. مراياتي وطيان ومير علم
- فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٥ وضع محمد خير محمد

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٨

- تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (ط ثالثة).
- رسالة ابن فضلان، تحقيق الدكتور سامي الدهان (ط ثانية).
- المصطلحات العلمية في اللغة العربية للأمير مصطفى الشهابي (ط ثانية).
- البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (ط ثانية).
- الإتباع لأبي الطيب اللغوي، تحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي (ط ثانية مع استدراك للأستاذ أحمد راتب النفاخ).